فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِرِ
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ :ISBN

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارِ النَّوَادِرِ م.ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة - ذ.م.م - الكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنفِيذِي

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الرابع

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ النَّحلِ

وكانت تسمَّى: سورةَ النِّعَمِ؛ بسببِ ما عَدَّدَ اللهُ فيها من نِعَمِه على عبادِه، وهي مكيةٌ، إلاَّ من قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرِها، نزلَ بالمدينةِ، وآيُها مئةٌ وثمانٍ وعشرونَ آيةً، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وسبعُ مئةٍ وسبعةُ أحرفٍ، وكَلِمُها ألفٌ وثماني مئةٍ وإحدى وأربعونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿أَتَىٰٓ﴾ قَرُبَ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابُه، وذلك أنَّ الكفارَ كانوا يستعجلونه استهزاءً، فنزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، فوثبَ النبيُّ ﷺ قائماً، وحَذَّرَ الناسَ مِنْ قيامِ الساعةِ، فنزل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾(١) لا تطلُبوا الأمرَ قبلَ حينهِ، فاطمأَنُّوا. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَتَى) بالإمالة، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ(٢)، ولما نزلَتْ هذهِ الآيةُ، قالَ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٠٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥، ٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦٧).

كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ»[1]؛ أي: كادتْ لتسبقني.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ﴾ تبرَّأ وتعاظَمَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بهِ من آلهتِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقونَ: بالغيب[2].

***

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ قراءة العامةِ: بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي (الْمَلاَئِكَةَ) نصبٌ، وهم في تشديدِ الزاي على أصولِهم المتقدمةِ في البقرةِ، فيخَفِّفُها منهم ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ورُويسٌ عن يعقوبَ. وقرأ روحٌ عن يعقوبَ (تنزَّلُ) بالتاءِ مفتوحةً، وفتح الزاي مشددةً، ورفعِ الملائكة[3]؛ كالمتفقِ عليهِ في سورةِ القدرِ.

﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: بما يحيي القلوبَ الميتةَ بالجهلِ من وحيِهِ.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ هم الأنبياءُ عليهم السلام، وتقدَّم في سورةِ

(١) رواه البخاري (٦١٣٨)، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ومسلم (٢٩٥٠)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦٧).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٨).

البقرةِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [الآية: ٩٨] عددُ نزولِ جبريلَ عليه السلام على جماعةٍ من الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام.

﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ خوِّفوا المشركينَ وعرِّفوهُمْ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ خافونِ. قرأ يعقوبُ: (فَاتَّقُونِي) بإثباتِ الياءِ، والباقونَ: بحذفِها(١).

***

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ بالواجبِ اللائقِ.

﴿تَعَٰلَىٰ﴾ ارتفعَ.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ واختلافُ القراء في (يُشْرِكُونَ) كالحرفِ المتقدِّمِ.

***

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ونزلَ في منكري البعثِ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ماءِ الرجلِ.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ مُجادِلٌ للخصومِ ﴿مُّبِينٌ﴾ للحجَّةِ بعدَ ما كانَ ميّتاً جَماداً.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٩).

رُوي أن أُبيَّ بنَ خَلَفٍ أتى النبيَّ ﷺ بعَظْمٍ رَميمٍ وقال: يا محمدُ! أَتَرى اللهَ يُحيي هذا بعدَما قَدْ رَمَّ؟! فنزلَتْ(١).

***

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ﴾ يعني: الإبلَ والبقرَ والغنمَ ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما استُدْفِيء به من الثيابِ والأخبيةِ المستعملةِ من أوبارِها.

﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾ بالنسلِ والركوبِ والحملِ وغيرِها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: لُحومَها.

***

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينةٌ ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ أي: الإبلَ، تردُّونها إلى المُراح، بضمِّ الميم، وهو المبيتُ والمأوى أيضاً.

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تُرْسِلونها غُدْوَةً إلى المراعي، وقَدَّمَ الإراحةَ على التسريح؛ لأنها في المراح أحسنُ خُلُقاً منها في المسرحِ، وأكثرُ لبناً، وأعجبُ إلى صاحبِها.

***

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨).

﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ ﴾ أحمالكم.

﴿ إِلَىٰ بَلَدٖ ﴾ هي مكةُ، أو جميعُ البلادِ.

﴿ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ ﴾ واصلينَ إليه لو لم تُخْلَقِ الإبلُ فَرَضاً.

﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ ﴾ بجهدِها. قرأ أبو جعفرٍ: (بِشَقِّ) بفتح الشينِ، والباقون: بكسرِها، وهما لغتان، مثلُ: رِطْلٍ ورَطْلٍ[١].

﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ بخلقِه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (رَؤُوفٌ) بالإشباعِ على وزنِ فَعولٍ حيثُ وقع[٢].

* * *

﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ ﴾ أي: وخلقَ الخيلَ، وهي اسمُ جنسٍ لا واحدَ لهُ من لفظِه؛ كالإبلِ، والنساءِ ﴿ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ ﴾ أي: وجعلَها زينةً لكم معَ المنافعِ التي فيها.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧-٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٠).

واحتجَّ بهذهِ الآيةِ مَنْ حَرَّمَ لحومَ الخيلِ، وهو قولُ أبي حنيفةَ ومالكٍ؛ لأنَّه عَلَّلَ خلقَ هذهِ الأشياءِ بالركوبِ والزينةِ، ولم يذكرِ الأكلَ، وعن مالكٍ روايةٌ أخرى أنَّها مكروهةٌ، وقالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأبو يوسفَ ومحمدُ بنُ الحسنِ بإباحةِ لحومِ الخيلِ، وقالوا: ليسَ المرادُ من الآيةِ بيانَ التحليلِ والتحريمِ، بل المرادُ منهُ تعريفُ اللهِ عبادَه نعمَهُ وتنبيهَهُم على كمالِ قدرتِه وحكمتِه، وحُجَّتُهم ما رُوي عن جابرٍ رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسولُ اللهِ ﷺ يومَ خيبرَ عن لحومِ الحمرِ، ورَخَّصَ في لُحومِ الخيلِ»[1]، وأمَّا لحومُ البغالِ والحُمُرِ الأهليَّةِ، فمحَرَّمَةٌ بالاتفاقِ[2]، ورُوي عن مالكٍ أنها مكروهةٌ كراهةً مغلَّظَةً.

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: إن مخلوقاتِ اللهِ من الحيوان وغيرِه لا يُحيط بعلمِها بَشَرٌ، بل ما يخفى عليه أكثرُ مما يعلمُه.

***

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: بيانُ الطريقِ الحقِّ لكم، والقَصْدُ: الطريقُ المستقيمُ.

﴿وَمِنْهَا﴾ أي: ومن السبيلِ؛ لأنها تُذَكَّر وتؤنَّثُ ﴿جَآئِرٌ﴾ أي: عادلٌ

---

(١) رواه البخاري (٥٢٠١)، كتاب: الذبائح والصيد، باب: لحوم الخيل، ومسلم (١٩٤١)، كتاب: الصيد والذبائح، باب: في أكل لحوم الخيل، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ت»: «على الاتفاق».

عن الحقِّ، فقصدُ السبيلِ: دينُ الإسلامِ، والجائرُ: سائرُ مللِ الكفرِ.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ إلى صلاحِكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ولم يَضِلَّ أحدٌ.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونَهُ.

﴿وَمِنْهُ﴾ أي: ينبتُ بسببِهِ.

﴿شَجَرٌ فِيهِ﴾ في النباتِ.

﴿تُسِيمُونَ﴾ ترْعَوْن دوابَّكم؛ من سامَتِ الماشيةُ: رَعَتْ.

* * *

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿يُنۢبِتُ﴾ اللهُ ﴿لَكُم بِهِ﴾ يعني: الماء. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (نُنْبِتُ) بنونِ العظَمة، والباقون: بالياء[١].

﴿ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وبعضِ كلِّها إن لم ينبتْ في الأرضِ كلُّ ما يمكنُ من الثمار.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الصنعةِ، فيستدلُّونَ بها على صانعِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧١-٢٧٢).

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلَّل.

﴿لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ مُذَلَّلاتٌ.

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بإذنه. قرأ ابنُ عامرٍ: (وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، والنُّجُومُ، مُسَخَّرَاتٌ) برفعِ الأسماءِ الأربعة على الابتداءِ، فـ(الشمسُ) مبتدأ، (والقمرُ والنجومُ) عطفٌ عليه، والخبرُ (مسخراتٌ بأمرِه)، وافقه حفصٌ عن عاصمٍ في الحرفينِ الأخيرينِ، وهما (والنجومُ مسخراتٌ)، فرفعَهما على الابتداءِ والخبرِ، وقرأ الباقون: بنصبِ الأربعةِ وكسرِ تاءِ (مُسَخَّراتٍ) عطفاً على (النهارَ)[١].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قالَ في الآيةِ قَبْلُ: (لآيَةً)؛ لأنَّ شيئاً واحداً منها يعمُّ تلكَ الأربعةَ، وهو النباتُ، وقالَ في هذه الآيةِ: (لآياتٍ)، لأنَّ كلَّ واحدٍ مما ذُكر آيةٌ في نفسِه، لا يشركُ معَ الآخرِ؛ فالليلُ لانتفاعِ البشرِ بالسكون فيه، والنهارُ للسَّعْي في المعاشِ وغيرِه، والشمسُ والقمرُ منافعُهما أكثرُ من أن تُحصى، والنجومُ هداياتٌ.

***

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ خلَقَ ﴿لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الأشجارِ والدوابِّ

---

(١) المصادر السابقة.

وغيرِها ﴿مُخْتَلِفًا﴾ نصبٌ على الحال ﴿أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أصنافُه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعتبرون.

* * *

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ العذبَ والمِلْحَ.

﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمكَ، وُصِفَ بالطَّراوةِ لتسارُعِ الفسادِ إليه، فَيُسارَعُ إلى أكلِه طرياً.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: من الملح، عطفٌ على (لِتَأْكُلُوا).

﴿حِلْيَةً﴾ زينةً ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وهي اللؤلؤُ والمرجانُ، فدلَّ على أنهما من الحليِّ.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ فواعلَ من مَخَرَتِ السفينةُ: إذا جَرَتْ فشقَّتِ الماءَ بصدرِها.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بركوبِها للتجارةِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ لتوالي نعمِه عليكم.

* * *

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ ثوابتَ؛ يعني: جبالاً.

﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي: لئلاَّ تميلَ وتضطربَ.

﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديرُه: وجعلَ فيها أنهاراً.

﴿ وَسُبُلًا ﴾ طُرُقاً ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ تعتبرونَ وترْشُدونَ.

* * *

﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ ﴾ هي معالمُ الطرقِ، وكُلُّ ما يُستدَلُّ به.

﴿ وَبِٱلنَّجْمِ ﴾ عامٌّ في كلِّ نَجْم.

﴿ هُمْ ﴾ أي: قريشٌ ﴿ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى القبلةِ، أو في السيرِ؛ لأنهم كانوا كثيري الأسفارِ للتجارةِ، مشهورينَ بالاهتداءِ في مسايرِهم بالنجومِ.

* * *

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ ﴾ أي: اللهُ ﴿ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ ﴾ أي: الأصنامُ، تلخيصُه: اللهُ الخالقُ خيرٌ أم آلهتُكم العَجَزَةُ؟ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتتَّعظونَ وتؤْمنون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَذْكُرُونَ) بالتخفيف حيثُ وقعَ.

* * *

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ لا تَضْبطوا عَدَّها.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ ﴾ لتقصيرِكم في أداءِ شكرِها ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بكم حيثُ لم يقطَعْها لتفريطِكم بالتقصيرِ.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ من عقائدكم وأعمالكم.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] و﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: الأصنامَ التي تعبدونَها من دونه. قرأ عاصمٌ، ويعقوبُ: (يَدْعُونَ) بالغيبِ، والباقونَ: بالخطابِ[١].

﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا ﴾ لعجزِهم ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ لأنهم يُتَّخذون من الحجارةِ وغيرِها.

* * *

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ أَمْوَٰتٌ ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ أي: لا يعقبُ موتَها حياةٌ.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: الأمواتُ ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ متى يُحشرونَ.

* * *

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ثم نفى ألوهيةَ الأصنامِ، وعرَّفَهم الإلهَ حقيقةً فقال: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ لا يُشارَكُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٤).

﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحِدَةٌ.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ متعظِّمونَ عن الإيمانِ.

* * *

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقّاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازِيهِم. قرأ حمزةُ: (لاَ جَرَمَ) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغُ الإشباعَ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عامٌّ في الكافرينَ والمؤمنين، في الحديثِ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»(1)، وفيه: أَنَّهُ مَنْ سَجَدَ للهِ سَجْدَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْكِبْرِ.

* * *

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ أي: لكفارِ مكةَ.

﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟﴾ استهزاءً.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلُهم.

* * *

---

(1) رواه مسلم (٩١)، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ ﴾ أي: قالوا ذلكَ ليحمِلوا ذنوبَهم.

﴿ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ وإنما ذَكَرَ الكمالَ؛ لأنَّ البلايا التي تلْحَقُهم في الدنيا، وما يفعلونَ من الحسناتِ، لا تُكَفِّرُ عنهم شيئاً.

﴿ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ﴾ أي: ذنوبِ ﴿ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ بغيرِ حُجَّةٍ، فيصدُّونَهم عن الإيمانِ ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ بِئْسَ شيئاً تحمَّلُوا.

* * *

﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ وهم نمرودُ بنُ كنعانَ، بنى الصرحَ ببابلَ ليصعدَ إلى السماء، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ مستوفىً في آخرِ سورةِ إبراهيمَ، فهبتْ ريحٌ فألقتْ رأسَهُ في البحر، وخرَّ عليهم الباقي وهم تحتَهُ، فذلك قولُه تعالى:

﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم ﴾ أي: قصدَ خرابَ بنائِهم.

﴿ مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴾ من أساسِهِ ﴿ فَخَرَّ ﴾ سَقَطَ ﴿ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ ﴾ يعني: أَعْلَى البيوتِ من فوقِهم.

﴿ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بمجيئِه.

* * *

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ اللهُ ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ بزعمِكم. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (شُرَكَايَ) بياءٍ مفتوحةٍ بغيرِ همزٍ ولا مَدٍّ، قال الكواشيُّ: لأنَّ الأصلَ تركُ المدِّ؛ لأن المدَّ إنما يكونُ بزيادةِ حرفٍ ليسَ من أصلِ الكلمةِ، فرجعَ إلى الأصلِ معَ صحةِ القراءة وتواترِها، فلا تأثيرَ لطعنِ الطاعنِ فيها، والباقون: بفتحِ الياءِ والمدِّ بلا همزٍ؛ لأن الأشهرَ في (فَعيل) أن يُجمع على (فُعَلاء)؛ كشهيدٍ وشهداءَ[(١)].

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ﴾ تخاصِمُون في شأنِهم. قرأ نافعٌ: (تُشَاقُّونِ) بكسر النونِ على الإضافةِ، أصلُه: تُشَاقُّونَنِي، فحُذِفَ أحدُ النونينِ والياء، وتُركتِ الكسرةُ تدلُّ عليها. وقرأ الباقون: بفتح النونِ إخبارٌ عن غيرِ مضافٍ[(٢)]، تلخيصُه: ليحضُرْ من تزعمونَ، وليدفَعْ عنكم العذابَ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: النبوةَ.

﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ﴾ الهوانَ ﴿ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ العذابَ.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وفائدةُ قولِهم إظهارُ الشماتةِ وزيادةُ الإهانةِ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧١ـ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٦).

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ ﴾ .

[٢٨] ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ يقبضُ أرواحَهم ملكُ الموتِ وأعوانُه. قرأ حمزةُ، وخلفٌ في هذا الحرفِ وفي الآتي: (يَتَوَفَّاهُمْ) بالياءِ على التذكيرِ، والباقونَ: بالتاء على التأنيث[١] ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالكفرِ. قرأ أبو عمرٍو (الْمَلاَئِكَة ظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بإدغامِ التاءِ في الظاء[٢].

﴿ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ ﴾ أي: استسلَموا وانقادوا حينَ عاينوا الموتَ، وقالوا:

﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ شِرْكٍ، فتُجيبهم الملائكةُ: ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فهو يُجازيكم عليه، قالَ عكرمةُ: المعنيُّ بذلك مَنْ قُتِلَ من[٣] الكفارِ ببدرٍ.

***

﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩ ﴾ .

[٢٩] ﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمانِ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٧).

(٣) «من» ساقطة من «ت».

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] وكانَ أحياءُ العربِ يبعثونَ أيامَ الموسمِ مَنْ يأتيهِمْ بخبرِ النبيِّ ﷺ، فإذا جاءَ، سأل الذين قعدوا على الطريقِ عنه، فيقولون: ساحرٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ، وكذابٌ، ومجنونٌ، ويأمرونَه بالانصرافِ، ويقولون: لا تَلْقَهُ خيرٌ لكَ، فيدخلونَ مكةَ ويسألونَ أصحابَ النبيِّ ﷺ، فيخبرون بصدقِهِ، وأنه نبيٌّ مبعوثٌ، فذلكَ قولُه تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ يعني: المؤمنين[١] ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ ﴾ أنزلَ ﴿ خَيْرًا ۗ ﴾ ثم ابتدأَ فقال: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ وَحَّدُوا ﴿ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ ﴾ كرامةٌ من الله، وهي تضعيفُ الأجرِ إلى العشرِ ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ ﴾ أي: ولثوابُهم في الآخرةِ خيرٌ منها ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الجنةُ.

* * *

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ثم فَسَّرَها فقالَ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ ﴾ من أنواعِ المشتهياتِ ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦١٢).

[٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ تقدَّمَ التنبيهُ على اختلاف القراء في (تَتَوَفَّاهُمْ) ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرينَ من الكفرِ والمعاصي.

﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عندَ الموتِ: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويقولونَ لهم في الآخرةِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بما كانَ من أعمالِكم.

***

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرُ الكفارُ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ لقبضِ أرواحِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَأْتِيهِمُ) بالياءِ مُذَكَّراً، والباقون: بالتاءِ مؤنثاً[(١)].

﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وعيدٌ يتضمَّنُ قيامَ الساعةِ وعذابَ الدنيا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلَ ذلكَ الفعلِ من الشركِ والتكذيبِ.

﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فعُوقبوا.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بتدميرِهم ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: آذَوْا أنفسَهم، وظلموها بنفسِ فعلِهم، وإن كانوا لم يقصِدوا ظُلْمَها.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٨).

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ جزاءُ سيئاتِ عملِهم الخبيثِ ﴿ وَحَاقَ ﴾ نزلَ.

﴿ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ والحَيْقُ لا يُستعملُ إلا بالشرِّ.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ يعني البَحيرةَ والسائبةَ والوصيلَةَ والحاميَ، فلولا أنَّ اللهَ رَضِيَها لنا، لَغَيَّرَ ذلكَ، وهدانا إلى غيرِها، قالوا ذلكَ بغياً واستهزاءً لَمَّا نزلَ قولُه تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير: ٢٩].

﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾ فأشركوا وكَذَّبوا الرسُلَ.

﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الموضِّحُ للحقِّ، وليس إليهم الهدايةُ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ كما بَعَثْنا فيكم ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَنُ اعْبُدُوا) بضمِّ النونِ وشبهَه حيثُ وقعَ[١].

﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ وهو كلُّ معبودٍ من[٢] دونِ الله.

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ وفَّقهم للإيمانِ ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ ثبَتَتْ بالسابقةِ حتى ماتَ على كفرِه.

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يا معشرَ قريشٍ.

﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: عاقبةُ أمرِهم لعلَّكم تعتبرونَ.

* * *

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٧) ﴾.

[٣٧] ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ ﴾ يا محمدُ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ قرأ الكوفيون: بفتحِ الياءِ وكسرِ الدالِ؛ أي: لا يهدي اللهُ من أَضَلَّهُ، وقرأ الباقون: بضمِّ الياءِ وفتحِ الدال، يعني: من أضلَّه اللهُ فلا هاديَ له[٣].

﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ بدفعِ العذابِ عنهم.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٨).

(٢) «من» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٩).

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ .

[٣٨] ونزل فيمَنْ حلفَ أن اللهَ لا يبعثُ الموتى ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[١] قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثُه.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مَصْدَران.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأكثرُ الناسِ في هذه الآية: الكفارُ المكذِّبونَ بالبعثِ من القبور.

***

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ .

[٣٩] ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ المعنى: يبعثُ اللهُ جميعَ الخلائقِ يومَ القيامةِ ليبينَ لهم الحقَّ من الباطلِ المختلَف فيهما.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ في إنكارِ البعثِ.

***

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ .

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ لا يتعاظَمُنا شيء. قرأ ابن عامرٍ، والكسائيُّ: (فَيَكُونَ) بنصبِ النونِ، والباقونَ:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣١١ ـ ٣١٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨ ـ ١٥٩).

بالرفع[١]، وتقدَّمَ توجيهُ قراءتهم في سورةِ البقرةِ عندَ تفسير قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية: ١١٧].

***

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ونزل في شأنِ النبيِّ ﷺ والصحابةِ حيثُ أُخرجوا من مكةَ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: في طلبِ رضاهُ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ من أهلِ مكةَ.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فأنزلَهم المدينةَ، وأطعَمَهُمُ الغنيمةَ، فهذا الثوابُ في الدنيا، وكان عُمَرُ إذا أعطى الرجلَ من المهاجرينَ عطاءً يقولُ: «خُذْ، هذا ما وعدَ اللهُ لكَ في الدنيا حسنة، وما ادخر لكَ في الآخرةِ أفضلُ، ثم تلا هذهِ الآيةَ»[٢]. قرأ أبو جعفرٍ: (لَنُبَوِّيَنَّهُمْ) بفتحِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ الضميرُ للكفارِ؛ أي: لو علموا أن المؤمنين مُكْرَمون عند اللهِ، لآمنوا.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٠).

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على الشدائدِ من أذى الكفارِ ومفارقةِ الوطنِ.

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ مُفوِّضينَ الأمرَ إليه.

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ونزلَ لما قالَتْ قريشٌ: إنَّ اللهَ أعظمُ من أن يكونَ رسولُه بشراً، فهلاَّ بعثَ إلينا مَلَكاً: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾[١] أي: أهلَ الكتبِ المتقدمةِ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (نُوحِي) بالنونِ وكسرِ الحاءِ على لفظِ الجمعِ، وقرأ الباقون: بالياءِ وفتحِ الحاءِ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه[٢]، وقرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلُوا) بالنقلِ، والباقون: بالهمزِ[٣].

﴿ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ وفي الآيةِ دليلٌ على أنه تعالى لم يرسلِ امرأةً ولا مَلَكاً للدعوةِ العَّامةِ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨١).

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] وقوله: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ متعلقٌ بفعلٍ مضمرٍ تقديرُه: أرسلناهم بالبيناتِ.

﴿ وَٱلزُّبُرِ ﴾ الكتب.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ القرآن.

﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ من الشرائعِ والأحكامِ.

﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يتأمّلونَ الحقائقَ.

***

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي: عملوا المُنْكراتِ السيئاتِ، وهم كفارُ مكةَ ﴿ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ كما خسف بقارونَ.

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ كما فعل بقومِ لوطٍ.

***

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ ﴾ أي: متقلِّبينَ في متاجِرهم ومسايِرهم.

﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائِتينَ.

***

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ تنقُّصٍ؛ أي: يأخذهم بنقصِ أموالِهم وآجالِهم حتى يَهْلِكوا جميعاً ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيثُ أمهلَكُم. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (لَرؤُوفٌ).

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ استفهامُ إنكارٍ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (ترَوا) بالخطابِ، وقرأ الباقون: بالغيبِ خبراً عن الذين يمكرونَ السيئات[1]، وهو اختيارُ الأئمةِ.

﴿ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ من جسمٍ قائمٍ له ظِلٌّ ﴿ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ ﴾ ترجعُ من جانبٍ إلى جانبٍ. قرأ أبو عمروٍ، ويعقوبُ: (تتفَيَّؤُا): بالتاءِ على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير[2].

﴿ عَنِ الْيَمِينِ ﴾ بمعنى الأيمان، يوضِّحُه أن قابلَه بجمعٍ فقالَ:

﴿ وَالشَّمَائِلِ ﴾ جمعُ شِمال، فهي في أولِ النهارِ على حالٍ، ثم تنقصُ ثم تعودَ في آخرِ النهارِ إلى حالٍ أخرى، فاليمينُ أولَ النهارِ، والشمائلُ آخرَهُ،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٢).

ويقال للظلِّ بالعشيِّ: فَيْءٌ؛ لأنه فاءَ؛ أي: رجعَ من المشرقِ إلى المغربِ، ولا يقالُ قبلَ الزوالِ إلاَّ ظِلٌّ فقط.

﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ فميلانُها ودورانُها سجودُها لله تعالى.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون أذلاء.

* * *

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)﴾.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يستسلِمُ، وأخبرَ بـ(ما)؛ لأنها أعمُّ من (مَنْ)، وقوله: ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ بيانٌ لِما في السمواتِ والأرضِ، والمرادُ: كلُّ نفسٍ دبَّتْ على وجهِ الأرض، عَقَلَتْ أو لم تعقِلْ.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصَّهم بالذكرِ، وهم من جملةِ ما في السمواتِ؛ لرفعِ شأنِهم، أو لخروجِهم من جملةِ الموصوفينَ بِالدَّبيبِ؛ لأن لهم أجنحة كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، وكانَ الطيرانُ أغلبَ عليهم من الدَّبيبِ.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعظَّمون.

* * *

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أي: غالباً قاهراً لهم؛ كقوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فلا يعجزُه شيءٌ، ولا يغلِبُه أحدٌ، أو يخافونَ أن يأتيَهم العذابُ من فوقِهم إن عَصَوه.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ به، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتِّفاقِ، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوةِ، وحكمِه، وسجودِ الشكرِ آخرَ سورةِ الأعرافِ مستوفًى.

* * *

﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ ذُكِّرَ العددُ مع أنَّ المعدودَ يدلُّ عليهِ؛ دلالةً على أنَ مساقَ النهي إيماءٌ بأن الاثنينيةَ تُنافي الأُلوهيةَ كما في ذكرِ الواحدِ في قولهِ:

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ للدلالةِ على أن المقصودَ إثباتُ الوحدانيةِ دونَ الإلهيةِ، أو للتنبيهِ على أن الوحدةَ من لوازمِ الإلهيةِ.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ نقلَ من الغيبةِ إلى التكلمِ مبالغةً في الترهيبِ، وتصريحاً بالمقصودِ، كأنه قالَ: فأنا ذلكَ الإلهُ الواحدُ، فإيايَ فارهبونِ لا غيرُ. قرأ يعقوب: (فَارْهَبُونِي) بإثباتِ الياءِ، والباقون: بحذفها[١].

* * *

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خلْقاً ومُلْكاً.

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ الطاعةُ والإخلاصُ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٣).

﴿ وَاصِبًاۚ ﴾ دائماً ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ تخافونَ؟ استفهامُ إنكارٍ.

* * *

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَمَا بِكُم ﴾ أي: وأيُّ شيءٍ اتصلَ بكم ﴿ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ لا يأتي بها أحد سواه.

﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾ القحطُ والمرضُ ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ تتضرَّعونَ.

* * *

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم ﴾ وهمُ الكفارُ.

﴿ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ بعبادةِ غيرِه.

* * *

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُوا۟ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ ﴾ وهذهِ اللامُ تُسمَّى: لامَ العاقبةِ؛ أي: حاصلُ أمرِهم هو كفرُهم ﴿ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ ﴾ من نعمةِ الكشفِ.

﴿ فَتَمَتَّعُوا۟ۖ ﴾ عِيشوا في اللذَّةِ، وهو أمرُ تهديدٍ.

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ أمرِكُم، أغلظُ الوعيدِ.

* * *

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: الأصنامِ ﴿ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ ﴾ من

الأموالِ، وهو ما جعلوهُ لأصنامِهم من حُروثِهم وأنعامِهم، فقالوا: ﴿ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ثم رجعَ من الخبرِ إلى الخطابِ فقال: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ ﴾ يومَ القيامةِ ﴿ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ۝٥٧ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ ﴾ وهم خزاعةُ وكِنانةُ، قالوا[١]: الملائكةُ بناتُ اللهِ ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾ هو مُنزَّهٌ عن الولدِ والوالدِ.

﴿ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ أي: ويجعلونَ لأنفسِهم ما يتمنَّوْنَ، وهم البنونَ.

* * *

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ ﴾ أي: صارَ.

﴿ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا ﴾ أي: مُتغيِّراً.

﴿ وَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ مملوءٌ غيظاً، فهو يَكْظِمُهُ؛ أي: يُمْسِكُه ولا يُظْهِره.

* * *

﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩ ﴾.

[٥٩] ﴿ يَتَوَٰرَىٰ ﴾ يَسْتَخْفي ﴿ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ حياءً.

﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ ﴾ من البناتِ، ثم يتردَّدُ فيما يصنعُ بولدِه.

---

(١) في «ت»: «وقالوا».

﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ أي: هوانٍ وذلٍّ ﴿ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ ﴾ يَدْفِنُه حيّاً.

﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ حيثُ وَأَدوا البناتِ خوفَ الفقرِ والعارِ، وحيثُ نسبوا إلى اللهِ تعالى ما هو مستقبَحٌ عندَهم.

***

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ يعني: لهؤلاءِ الذين يصفونَ للهِ البناتِ ﴿ مَثَلُ ﴾ أي: صفةُ ﴿ ٱلسَّوۡءِۚ ﴾ وهو كفرُهم، ووأدُ البناتِ مع احتياجِهم إليهنَّ طلبَ النكاحِ.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾ الصفةُ العليا، وهي التوحيدُ والغنى عن جميعِ خلقِه.

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ المنفرِدُ بكمالِ القدرةِ والحكمةِ.

***

﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم ﴾ فيعاجِلُهم بالعقوبةِ على كفرِهم ومعَاصيهم.

﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا ﴾ أي: الأرضِ ﴿ مِن دَآبَّةٖ ﴾ مَنْ يَدِبُّ أصلاً بشؤمِ ظلمِهم، فهلاكُ الدوابِّ بآجالِها، وهلاكُ الناسِ عقوبةً.

﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ ﴾ يُمْهِلُهم بحلمِه ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ سَمَّاهُ لأعمارِهم.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ مُذْ هلكوا أو عُذِّبوا حينئذٍ لا محالة. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (يُوَاخِذُ) (يُوَخِّرُ) بفتح الواوِ من غيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ[1]، واختلافُهم في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهُمْ) كاختلافِهم فيهما في قولِه: (وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم) في سورة النساء.

***

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البناتِ، والمشاركةِ، والاستخفافِ بالرسلِ، وأراذِلِ الأموالِ.

﴿وَتَصِفُ﴾ أي: تقولُ ﴿أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني: الذكورَ من الأولاد، وهو قولُ مجاهدٍ وقَتادةَ، قالَ ابنُ عطية: وهو الأسبقُ من معنى الآية، وقالت فرقة: يريدُ: الجنةَ في المعاد إن كان محمدٌ صادقاً في البعثِ[2]، ويؤيدُ هذا قولُه:

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ في الآخرةِ ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ قرأ نافعٌ بكسرِ الراءِ وتخفيفِها؛ من الإفراطِ في المعاصي، وقرأ أبو جعفرٍ بكسرِ الراءِ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٤).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٠٣). وانظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ١٢٠)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٤١).

وتشديدِها معَ فتحِ الفاءِ؛ من التفريطِ في الطاعاتِ، وقرأ الباقون: بفتحِ الراءِ وتخفيفِها؛ أي: مُقَدَّمون إلى النارِ[1].

* * *

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ كما أرسَلْناك إلى هذهِ الأمةِ.

﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الخبيثةَ.

﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾ ناصرُهم ﴿ الْيَوْمَ ﴾ أي: يومَ القيامةِ، والألفُ واللامُ فيه للعهدِ؛ أي: هو وليُّهم في اليومِ المشهودِ، وهو وقتُ الحاجة، وهو عاجزٌ عن نصرِ نفسهِ، فكيف ينصرُ غيره؟! وهذهِ حكايةُ حالٍ آتيةٍ؛ أي: في حالِ كونِهم مُعَذَّبين في النارِ.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قرأ أبو عمرٍو (فَهُو وَّلِيُّهُمْ) بإدغامِ الواوِ في الواو[2].

* * *

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦).

[٦٤] ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ للناسِ.

﴿ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ من الدينِ والأحكامِ.

﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ وعطف بالهدى والرحمة على موضع قولِه: (لِتُبيِّنَ)؛ لأن محلَّه النصبُ، ومجازُ الكلامِ: وما أنزلنا عليكَ الكتابَ إلا بياناً للناس، وهدًى ورحمةً للمؤمنينَ.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٦٥ ﴾.

[٦٥] ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ يعني: المطرَ ﴿ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ بالنبات ﴿ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾ يُبْسِها.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾ سماعَ تدبُّرٍ وإنصافٍ.

* * *

﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ ﴾ لعظةً ﴿ نُّسۡقِيكُم ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (تَسْقِيكُمْ) بالتاء مفتوحةً، والباقون: بالنونِ، وفتحَها نافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وأبو بكرٍ، وضمَّها الباقون[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٧)، وقراءة أبي جعفر ضعيفة، =

﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ أي: بطونِ الأنعامِ؛ لأنه يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ، فمن أَنَّثَ فلمعنى الجمعِ، ومن ذَكَّرَ فلحكمِ اللفظِ.

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ﴾ هو ما في الكرشِ من السّرجينِ.

﴿وَدَمٖ﴾ المعروفِ، وذلك أن الكرشَ إذا طحنَتِ العلفَ، صارَ أسفلُه فرثاً، وأوسطُه ﴿لَّبَنًا خَالِصٗا﴾ لا يشوبُه شيءٌ، وأعلاه دماً، وبينها حاجزٌ من قدرةِ اللهِ تعالى، لا يختلطُ أحدُها بالآخرِ بلونٍ ولا طعمٍ ولا رائحةٍ، معَ شدةِ الاتصالِ، والكبدُ مسلَّطَةٌ عليها، تقسمِهُا بقدرةِ اللهِ تعالى، فَتُجري الدمَ في العروقِ، واللبنَ في الضَّرْعِ، ويبقى الفرثُ في الكرشِ، فسبحانَ القادرِ على ما يشاءُ.

﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ سَهْلاً لا يغصُّ بهِ شاربُهُ. قرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة، بخلافٍ عنه[1]، فيه دليلٌ لمن يقولُ بطهارةِ مَنِيِّ الآدمِيِّ، وإن جرى مجرى البولِ؛ لأنه لا يمتنعُ خروجُه طاهراً وإن جرى مجرى البول، كما لا يمتنعُ خروجُ اللبنِ من بينِ الفرثِ والدم طاهراً، وهو مذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ، وقالَ أبو حنيفةَ ومالكٌ: هو نجسٌ إلاَّ أن أبا حنيفة عندَه إنْ كانَ رَطْباً غُسِلَ، وإن كان يابِساً فُرِكَ، وعندَ مالكٍ يُغْسَلُ رَطْباً ويابِساً.

* * *

= كذا في «تفسير القرطبي» (١٠/ ١٢٣).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٨).

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ فالكنايةُ في (مِنْهُ) عائدة إلى (ما) محذوفةٍ[1]؛ أي: ما تتَّخذون منه ﴿سَكَرًا﴾ أي: خَمْراً، ثم نُسِخَتْ بقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]؛ لأنَّ النحلَ مكيةٌ، والمائدةَ مدنيةٌ ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ الرُّطَبَ والتمرَ والعنبَ والزبيبَ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بالتأمُّلِ في الآياتِ.

* * *

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ أَلْهَمَها، وهو مُذكَّر، وربما[2] أُنِّثَ حملاً على المعنى.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوينَ إليها.

﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يَبْنُون لكِ من الأماكن. **قرأ** ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَعْرُشُونَ) بضمِّ الراء، والباقون: بكسرِها[3].

* * *

---

(١) في «ت»: «إلى محذوفه».

(٢) في «ت»: «مذكور بما».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٨)، والقراءة بخلاف عن عاصم.

﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ حُلْوِها وحامِضِها وُمرِّها وغيرِ ذلكَ.

﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ أي: الطرق التي يطلب فيها الرعي. قرأ أبو عمرو: (سُبُل رَّبِّكِ) بإدغامِ اللامِ في الراء[(١)] ﴿ ذُلُلًا ﴾ منقادةً بالتسخيرِ.

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا ﴾ أفواهِها ﴿ شَرَابٌ ﴾ هو العسلُ ينزلُ من السماء، فينبتُ في أماكنَ، فيأتي النحلُ فيشربُه، ثم يأتي الخليةَ فيلقيه في الشمعِ المهيأ له، لا كما يتوهَّمُ بعضُ الناسِ أنه من فضلاتِ الغذاءِ، وأنه يستحيلُ في المعدةِ عسلاً.

﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ من أبيضَ وأسودَ وأحمرَ، وغيرِ ذلكَ.

﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: في العسلِ، قاله الجمهورُ، وقيل: في القرآنِ، قال البغويُّ: والأولُ أولى[(٢)]، ولا يقتضي العمومَ في كل علَّةٍ وفي كلِّ إنسانٍ، بل هو خبرٌ عن أنه يَشْفي كما يَشْفي غيرُه من الأدويةِ في بعضٍ، ورُويَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «عَلَيْكُم بِالشِّفَاءَيْنِ: العَسَلِ وَالْقُرْآنِ»[(٣)].

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيعتبرونَ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٣).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢)، كتاب: الطب، باب: العسل، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٤٤)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال البيهقي: رفعه غير صحيح، والصحيح موقوف؛ رواه وكيع عن سفيان موقوفاً.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ صبياناً أو شُبَّاناً أو كُهولاً ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ الهرَم ﴿ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ ﴾ عِلمَهُ في حالِ شَبيبتِه.

﴿ شَيْـًٔا ﴾ أي: إذا علمَ شيئاً اعتراهُ النسيانُ، فيصيرُ بعدَ العلمِ ناسياً.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ قرر تعالى علمَه وقدرتَه التي لا تتبدَّلُ ولا تدخلُها الحوادثُ، ولا تتغيرُ.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ بسطَ على واحدٍ، وضيَّقَ على آخرَ.

﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾(١) المعنى: لا يعتقد الموالي أنهم يَرُدُّون شيئاً من الرزقِ على عبيدِهم، وإنما أنا الرادُّ عليهم فهم في الرزق سواء.

﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ بالإشراكِ به. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (تَجْحَدُونَ) بالخطابِ؛ لقوله: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ

---

(١) من قوله: «على التأنيث والباقون...» (ص ٢٨) إلى هنا سقط من «ش»، بمقدار لوحتين تقريباً من النسخ الخطية.

عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ وقرأ الباقون: بالغيب؛ لقولهِ ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ﴾[1].

***

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ۝٧٢﴾.

[٧٢] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ من جنسِكم، والمرادُ حواءُ؛ لأنها خُلقت من قصيراءِ آدمَ ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ نساءً.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾ أعواناً وخدَماً، جمعُ حافدٍ، وهو المعينُ المسرعُ في الطاعةِ، غريباً كانَ أو قريباً. قرأ أبو عمروٍ، ورويسٌ: (جَعَل لَّكُمْ) بإدغامِ اللامِ في اللامِ كُلَّ ما في هذهِ السورةِ[2].

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ الحلالاتِ، ثم وبَّخهم بقوله: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي: الأصنام، وما يُفضي إلى الشرك ﴿يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ القرآنِ.

﴿هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ (بِنِعْمَتِ) رُسِمَتْ بالتاءِ، وكذلك في الموضعين بعدَها، وهما: (نِعْمَتَ اللهِ) وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٩).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، (٢/ ٣٠٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٩).

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ يعني: المطرَ ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: النباتَ ﴿ شَيْـًٔا ﴾ بدلٌ من ﴿ رِزْقًا ﴾ أي: لا يملكونَ من الرزقِ شيئاً قليلاً ولا كثيراً، ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلكَ لعجزِهم.

* * *

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ لا تُسَوُّوه بخلقِه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أَنْ لا شبهَ.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ثم ضربَ اللهُ مثلاً للمؤمنِ والكافرِ، فقالَ تعالى: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا ﴾ بدلٌ من (مَثَلاً) ﴿ مَّمْلُوكًا ﴾ ليخرجَ منهُ الحر؛ لأن الخلقَ عبيدُ الله ﴿ لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ ليخرجَ عنهُ المكاتَبَ.

﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ ﴾ أي: حُرّاً رزقناه ﴿ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ﴾ يعني: جماعةَ الأحرارِ والعبيدِ، وهذا مثلٌ

ضربه الله تعالى للكافرِ، رزقه الله مالاً، فلم يقدِّم فيه خيراً، والمؤمنِ يعملُ في مالِه بطاعة الله تعالى.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الثناءُ له، لا يستحقُّه غيرُه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: الكفارَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفون نعمَه إلى غيرِه.

***

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ثم ضربَ مثلاً للأصنام فقالَ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ أخرسُ.

﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ﴾ عِيالٌ وثِقْلٌ ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ مَنْ يلِي أمرَه.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يُرْسِلْهُ ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لأنه لا يَفْهَمُ، ولا يُفْهَمُ عنه، هذا مثلُ الأصنامِ لا تسمعُ ولا تنطقُ، وهي كَلٌّ على عابدِها، تحتاج إلى حملِها ووضعِها وخدمتِها.

﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وهو اللهُ سبحانه قادرٌ متكلمٌ يأمرُ بالتوحيدِ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يعني: يدلُّكم على صراطٍ مستقيمٍ.

***

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ولما سُئل رسولُ الله ﷺ عن الساعة، نزل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[١] أي: ما غاب عن العباد.

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: أمرُ مجيئِها.

﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ وهو النظرُ بسرعةٍ.

﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ ﴾ لأنها كائنةٌ لا محالةَ، وكل ما هو آتٍ قريب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ثم دلَّ على قدرته فقالَ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ قرأ حمزةُ: (إِمِّهَاتِكُمْ) بكسرِ الهمزةِ والميمِ في الوصلِ، والكسائيُّ يكسرُ الهمزةَ في الوصلِ ويفتحُ الميمَ، والباقون: يضمُّونَ الهمزةَ ويفتحون الميمَ في الحالين، والابتداء للجميع بضمِّ الهمزةِ وفتح الميم.

﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ جُهَّالاً ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ ﴾ المعنى: أوجدَكم ضُلاَّلاً ورزقَكم الفهمَ والعلمَ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نِعمَ اللهِ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٨).

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (تَرَوا) بالخطابِ على أنه خطابُ العامةِ، والباقون: بالغيب؛ لقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(١)].

﴿ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ ﴾ مُذَلَّلاتٍ للطيرانِ.

﴿ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ والجوُّ: مسافةُ ما بينَ السماءِ والأرضِ، وقيل: المتباعدُ من الأرضِ.

﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ في الهواءِ.

﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لأنهم هم المنتفعونَ بها.

***

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ هو ما يُسْكَنُ إليه، ويُنْقَطَعُ فيه.

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا ﴾ قِباباً وأَخْبِيَةً مُتَّخَذَةً من أَدَمٍ. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في كسرِ الباء من (بِيُوتاً) في سورة البقرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٠).

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: يَخِفَّ عليكم حَمْلُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ رَحِيلكم. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: بإسكانِ العينِ، والباقون: بفتحِها، وهو أجزلُ اللغتينِ(١).

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في بلدِكم لا تثقلُ عليكم في الحالتين.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: الضأنِ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ الإبلِ ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ المَعْزِ. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ من روايةِ الدوريِّ (وَأَوْبِارِهَا وَأَشْعَارِهَا) بالإمالة، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ، ورُوي عن ورشٍ، وحمزةَ بالإمالةِ بينَ بينَ، وقرأهما الباقون: بالفتح(٢) ﴿أَثَٰثًا﴾.

متاعَ البيتِ ﴿وَمَتَٰعًا﴾ أي: شيئاً يُنتفعُ به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموتِ.

***

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)﴾.

[٨١] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ جمعُ ظُلَّةٍ وهو ما يُستظَلُّ به.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ وهو ما يُستَكنُّ به(٣) من كهوفِ الجبالِ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٠ـ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٢).

(٣) «به» ساقطة من «ت».

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ ﴾ قُمُصاً من الكتانِ والقطنِ والصوفِ.

﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ ولم يذكرِ البردَ؛ لدلالتهِ عليه؛ لأنه نقيضُه.

﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ أي: الدروعَ والجواشنَ تدفعُ عنكم ألمَ الحربِ والطعنِ والضربِ.

﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ تُخْلِصون لله.

* * *

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أعرضوا، فلا يلحقُكَ في ذلك عَتَبٌ.

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ وقد بَلَّغْتَ.

* * *

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ التي عَدَّدَها عليهم.

﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ بعبادةِ غيرِ اللهِ، وقيل: يعرفون نعمةَ اللهِ على محمدٍ ﷺ بالنبوةِ، ثم يُنكرونها بتكذيبِهِ.

﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أي: جميعُهم، والكفر: الجحود.

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ أي: نبياً شهد لهم وعليهم.

﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: في الاعتذارِ.

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ يُطْلَبُ منهم العتبىٰ.

***

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أي: كفروا ﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾ يعني: جهنمَ.

﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ﴾ العذابُ ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يُمْهلون.

***

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ يومَ القيامةِ ﴿ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ أوثانهم التي دَعَوْها شركاءَ. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (رأى الذين) في سورةِ الأنعامِ.

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ ﴾ أرباباً، ونعبدُهم، كأنَّهم أرادوا بذلك تذنيبَ المعبودينَ، وإدخالَهم في المعصيةِ.

﴿ فَأَلْقَوْا۟ ﴾ يعني: الأوثانَ.

﴿ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ أي: أجابوهم بقدرةِ اللهِ تعالى.

﴿ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ما كُنَّا ندعوكم إلى عبادتِنا فكأنهم كذَّبوهم في التذنيبِ لهم.

***

﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ وَأَلْقَوْا۟ ﴾ يعني : المشركينَ .

﴿ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ استسلموا ، وانقادوا لحكمِه بعدَ استكبارِهِمْ في الدنيا .

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ ضاعَ وبطَلَ .

﴿ مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ من أن الآلهةَ تشفعُ لهم .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

[٨٨] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بمنعِ الناسِ عن الإسلام .

﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ المُعَدِّ لهم منَ النارِ ، رُوِيَ أن اللهَ يُسلِّطُ عليهم حياتٍ لها أنيابٌ كالنخلِ ، وعقاربَ كالبِغالِ الدُّهْمِ ، ونحوَ ذلك .

﴿ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ في الدنيا بالكفرِ .

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم ﴾ يعني : نبياً ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فإنَّ كلَّ نبيٍّ بُعِثَ إلى الأُمَمِ منها .

﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الذين بُعِثْتَ إليهم .

﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآنَ ﴿ تِبۡيَٰنًا ﴾ تِفْعالاً من البيانِ.

﴿ لِّكُلِّ شَيۡءٍ ﴾ يُحتاجُ إليه، وما كانَ فيه مُجْمَلاً، فأنتَ تُفَصِّله لهم.

﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالةِ ﴿ وَرَحۡمَةً ﴾ للجميعِ، وإنما حِرمانُ المحرومِ من تفريطِهِ.

﴿ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ بالجنةِ.

***

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾.

[٩٠] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ بالتوحيدِ والإنصافِ ﴿ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ هو أداءُ الفرائضِ ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ صلةِ الرَّحِمِ.

﴿ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ الزنا والمعاصي ﴿ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ الشِّرْكِ، وما لا يُعرفُ في شريعةٍ ولا سُنَّةٍ ﴿ وَٱلۡبَغۡيِۚ ﴾ الظلمِ والتجبُّرِ على الناسِ.

﴿ يَعِظُكُمۡ ﴾ بالأمرِ والنهيِ.

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ تتَّعظونَ، رُوِيَ أن الوليدَ بنَ المغيرةِ لما سمعَ هذه الآيةَ من النبيِّ ﷺ قال: واللهِ إنَّ لهُ لحلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً، وإنَّ أسفلَهُ لَمُغدقٌ، وإن أعلاهُ لَمُثْمِرٌ، وما يقولُ هذا بَشَرٌ(١).

***

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ ﴾.

---

(١) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٢).

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ وعهدُ اللهِ: لفظٌ عامٌّ لجميعِ ما يُعْقَدُ باللسانِ، ويلتزمُه الإنسانُ من نفعٍ، أو صلةٍ، أو مواثقةٍ في أمرٍ موافقٍ للديانة.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقِها بذكرِ اللهِ، فتحنثوا فيها.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: شاهداً ورقيباً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من نقضِ العهدِ والوفاءِ.

* * *

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ثم ضربَ لنقضِ العهدِ مثلاً؛ تَبْشيعاً له، وتحذيراً منه، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ التي غزلَتْهُ من صوفٍ وغيرِه.

﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكامٍ وبَرْمٍ، فجعلَتْه ﴿أَنكَٰثًا﴾ حالٌ، جمع نكثٍ، وهو ما يُنْكَثُ فتلُه؛ أي: يُنقَضُ، والمرادُ به: تشبيهُ الناقضِ بمن هذا شأنُه، ورُوِيَ أنَّ امرأةً من قريشٍ يقالُ لها: ريطَةُ بنتُ سعدِ بنِ تيم كانَتْ حمقاءَ، وكانَتْ هي وجواريها يَغْزِلْنَ من أولِ النهار إلى الظهرِ، ثم ينقضْنَ ما غزلْنَ[١].

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أي: دَغَلاً وخِيانةً بينكم بسببِ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٨٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٦٢).

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعةٌ ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أي: أكثرَ عدداً.

﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ من الجماعة التي حالفتموها، وهذا نهيٌ لمن يحالفُ قوماً، فإنْ وجدَ أيسرَ منهم وأكثرَ ذهبَ إليهم، وتركَ مَنْ[1] حالفَ.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ أي: يختبرُكم.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا؛ من نقضِ العهودِ وغيرِها.

***

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على ملَّةِ الإسلامِ ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ بخذلانِه عدْلاً ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بتوفيقِه فضْلاً.

﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذا سؤالُ توبيخٍ، ليس ثَمَّ سؤالُ تفهُّم.

***

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ثم كررَ النهيَ تأكيداً وإنذاراً فقال: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ فتغرُّونَ بها الناسَ فيسكنونَ إلى إيمانِكم، ويأمنونَ، ثم تنقضونها ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أي: قدمُكم.

---

(١) في «ت»: «ما».

﴿بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتِها على الإيمانِ، يقالُ لكل مُبْتَلًى بعدَ عافيةٍ: زَلَّتْ قدمُه.

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ العقوبةَ في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ بصدودِكم عن الوفاءِ إذا نقضْتُم، استنَّ بكم غيرُكم.

﴿وَلَكُمۡ﴾ في الآخرةِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

* * *

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾.

[٩٥] ونزلَ فيمَنْ نقضَ العهدَ لينالَ شيئاً من حُطامِ الدنيا: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا﴾ عَرَضاً ﴿قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثوابِ.

﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من المال ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فضلَ ما بينَ العِوَضَيْنِ.

* * *

﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾.

[٩٦] ﴿مَا عِندَكُمۡ﴾ من حُطامِ الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى(١).

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ دائمٌ. رويَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (بَاقِي) و(مُفْتَرِي)(٢).

---

(١) «يفنىٰ» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٥).

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ: (وَلَنَجْزِيَنَّ) بالنون، والباقون: بالياء، واختلِفَ عن ابن ذكوان[1].

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ على الوفاءِ في السراءِ والضراءِ.

﴿ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من الطاعاتِ دونَ سواها، ويغفرُ سيئاتِهم بفضلِه، قالَ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى ما يَفْنَى»[2].

***

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ ﴾ في الدنيا ﴿ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ هي الرزقُ الحلالُ.

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ وهذا وعدٌ بنعيمِ الآخرةِ. واتفقَ القراءُ على النونِ في (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) لأجلِ (فَلَنُحْيِيَنَّهُ) قبلَه.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٥٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤١٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٣٠٨)، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ﴾ أي: إذا أردتَ أن تقرأَ ﴿ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ تقدَّمَ الكلامُ في أولِ التفسيرِ على الاستعاذةِ وتفسيرِها ومذاهبِ الأئمةِ والقراءِ فيها مستوفىً في فصلِ الاستعاذةِ.

* * *

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ ﴾ تسلُّط.

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فإنَّهم لا يُطيعون أوامرَه، ولا يَقبلون وساوسَهُ إلا فيما يحتقرون على نُدورٍ وغَفْلَةٍ.

* * *

﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ يُطيعونه.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ ﴾ أي: باللهِ ﴿ مُشْرِكُونَ ﴾ وقيل: الكنايةُ راجعةٌ على الشيطان؛ أي: والذينَ هم بسببِهِ مشركونَ بالله.

* * *

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ ﴾ أي: نَسَخْنا آيةً بآيةٍ مصلحةً للعبادِ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ مما هو أصلحُ لخلقِه فيما يُغيِّرُ ويُبدِّلُ من أحكامِه. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ: (يُنْزِلُ) بالتخفيف، والباقون: بفتحِ النونِ والتشديدِ[1].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمدُ ﴿مُفْتَرٍ﴾ مُخْتَلِقٌ ذلكَ من تلقاءِ نفسِك. وتقدَّم ما رُوي عن قنبلٍ ويعقوبَ في (مُفْتَرٍ) عندَ (بَاقٍ).

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حكمةَ الأحكامِ وبيانَ الناسخِ من المنسوخِ، وعبَّرَ بالأكثرِ مراعاةً لما كانَ عند قليلٍ منهم من توقُّفٍ وقلةِ مبالغةٍ في التكذيبِ والظنِّ.

***

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿قُلْ﴾ ردّاً عليهم: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآنَ ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ هو جبريلُ عليه السلام. قرأ ابنُ كثيرٍ: (القُدْسِ) بإسكانِ الدالِ، والباقونَ: بضمِّها[2].

﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدقِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالناسخِ، ويعلمون صدقَ ذلكَ.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادينَ لحكمِه.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٦).

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] قال ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما: كانَ رسولُ الله ﷺ يعلِّمُ قَيْناً بمكةَ اسمُه بلعامُ وكان نصرانياً أعجميَّ اللسانِ، فكانَ المشركون يرونَ رسولَ اللهِ ﷺ يدخلُ عليه ويخرجُ، فقالوا: إنما يعلِّمُه بلعامُ، فنزل تكذيباً لهم وتهديداً: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾(١) آدميٌّ، ثم أبطلَ قولَهم بقولِه:

﴿لِّسَانُ﴾ أي: لغةُ ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ألسنتَهم ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ هو الذي لا يُفْصِحُ، وإن كانَ عربياً، والأعجميُّ: المنسوبُ إلى العجمِ وإنْ كانَ فَصيحاً، والأعرابيُّ: البدويُّ، والعربيُّ: منسوبٌ إلى العربِ وإنْ لم يكنْ فصيحاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء والحاء من لَحَدَ، والباقون: بضمِّ الياءِ وكسرِ الحاءِ من أَلْحَدَ(٢).

﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآنُ ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ فصيحٌ، المعنى: لسانُ الذي يُشيرونَ إليه أنه يعلِّمُ محمداً ﷺ فيه عُجْمَةٌ، والقرآنُ ذو بيانٍ وفصاحةٍ، فكيفَ يصدرُ عن أعجميٍّ؟!

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٧٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٦).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ثم تهدَّدَهم بقولِهِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لا يصدِّقون أنها من عندِ الله.

﴿ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ ﴾ لا يرشدُهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرةِ.

* * *

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ثم أخبرَ تعالى أنَّ الكفارَ هم المفترونَ فقالَ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ إشارةٌ إلى قريشٍ ﴿ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ على الحقيقةِ، لأن تكذيبَ الآياتِ والطعنَ فيها بهذهِ الخرافاتِ أعظمُ الكذبِ.

* * *

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] رُوِيَ أنَّ عمارَ بنَ ياسرٍ سَبَّ النبيَّ ﷺ عندَ المشركينَ مُكْرَهاً، فقالَ المسلمونَ: قد كفرَ عمارٌ، فقالَ ﷺ: «كلاَّ، إنَّ عَمَّاراً قَدْ مُلِىء إيماناً مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الإيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِه»، فأتى عمارٌ رسولَ الله ﷺ فقال: نلتُ منكَ يا رسولَ الله، قالَ: «كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئناً،

فجعلَ النبيُّ ﷺ يمسحُ عيني عمارٍ ويقول: «إنْ عَادُوا فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ»، فنزلَ فيه وفيمن جرى مجراه: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾[1] على كلمةِ الكفر استثناءٌ متصلٌ؛ لأنَّ الكفرَ يطلق على القولِ والاعتقادِ.

﴿ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ لم تتغيرْ عقيدتهُ، لا يدخلُ في هذا الحكمِ.

﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾ أي: طابَ بهِ نفساً.

﴿ فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ إذ لا أعظمَ من جرمِهِ.

واتفقَ الأئمةُ على أنَّ من أُكرِهَ على كلمةِ الكفر، يجوزُ له أن يقولَ بلسانه، وإذا قالَ غيرَ معتقدٍ بقلبه، لا يكفرُ، وإن أَبى حتى يُقتل كانَ أفضلَ.

واختلفوا في طلاقِ المُكْرَهِ، فأجازه أبو حنيفةَ، وأبطَلَهُ الثلاثةُ، وأما المكره بحقٍّ، فهو مكلَّفٌ بالاتفاق.

***

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ ﴾.

[١٠٧] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوعيدُ ﴿ بِأَنَّهُمُ ﴾ الضميرُ لمن شرحَ بالكفرِ صدراً.

﴿ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ بسببِ أنهم آثروها عليها.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ لا يعصمُهم عن الزَّيْغِ.

***

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٧٢).

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ﴾ فصرَفَهم عن طريقِ الهدى، وسَدَّ طرقَ هذهِ الحواسِّ حتى لا ينتفعَ بها في اعتبارٍ ولا تأملٍ.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

* * *

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ﴾ تقدَّمَ تفسيرهُ ومذهبُ حمزةَ فيه.

﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ المغبونون.

* * *

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (فَتَنُوا) بفتحِ الفاءِ والتاءِ، يعني: مَنْ أسلمَ من المشركينَ الذين فَتَنوا المسلمينَ. وقرأ الباقون: بضمِّ الفاءِ وكسرِ التاء(١)، يعني: الذين فُتِنوا: عُذِّبوا ومُنِعوا من الإسلامِ، فتَنَهم المشركون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٧).

﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الهجرةِ والجهادِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي: الفتنةِ والغفلةِ.

﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ قيل: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ أبي سَرْحٍ حينَ ارتدَّ، ثم أسلمَ وحَسُنَ إسلامُه.

* * *

﴿۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾.

[١١١] ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي﴾ المعنى: لغفورٌ رحيمٌ يوم تأتي ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ أي: ذو نَفْسٍ ﴿تُجَٰدِلُ﴾ تُحاجُّ.

﴿عَن نَّفۡسِهَا﴾ فالنفسُ الأولى هي المعروفةُ، والثانيةُ بمعنى الذاتِ؛ كما تقولُ: نفسُ الشيءِ وعينُه؛ أي: ذاتُه، المعنى: يومَ يأتي كلُّ إنسانٍ يُجادِلُ عن ذاتِه، لا فكرةَ له بغيرِه.

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جزاءَ.

﴿مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ لا ينقصون أجورَهم.

* * *

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾.

[١١٢] ثم ضربَ مثلاً بمن أنعمَ عليه فلم يَشْكُرْ، وأبطرَتْه النعمةُ فكفرَ، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ﴾ هي مكةُ ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ لا يُهاجُ أهلُها،

ولا يُغارُ عليها ﴿ مُّطْمَئِنَّةً ﴾ لا ينتقلون منها إلى غيرِها؛ لحسنِها.

﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ واسعاً ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ يُحْمَلُ إليها من البرِّ والبحرِ.

﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ جمعُ نعمةٍ، رُوِيَ أن أهلَها كانوا يستنجون بالخبزِ.

﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ ﴾ أي: أهلَها ﴿ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ ﴾ أي: ابتلاهم به حتى أكلوا الجِيَفَ والكلابَ الميتةَ، حتى كانَ أحدُهم ينظرُ إلى السماءِ فيرى شبهَ الدخانِ من الجوعِ.

﴿ وَٱلْخَوْفِ ﴾ بِشَنِّ الغاراتِ عليهم من بُعوثِ النبيِّ ﷺ وسراياه التي كانت تُطيفُ بهم.

﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ ولما كانَ الخوفُ يَتَغَشَّاهم من كلِّ جانبٍ تَغَشِّيَ الثوبِ للأبسِ، استعارَ اللباسَ له، فكأنَّ اللباسَ قد صارَ جوعاً وخوفاً؛ كأنه قال: فأذاقَهم الله(1) ما يتغشَّاهم من الجوعِ والخوفِ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ ﴾ يعني: أهلَ مكةَ.

﴿ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ في حالِ ظلمِهم.

---

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ أَمَرَهم بأكلِ ما أحلَّ اللهُ لهم، وشكرِ ما أنعمَ عليهم بعدَما زجرَهم على الكفرِ، وهَدَّدَهم عليه بما ذكرَ من التمثيلِ والعذابِ الذي حلَّ بهم؛ صَدّاً لهم عن صنيعِ الجاهليةِ.

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تُطيعونَ.

* * *

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾.

[١١٥] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُ نظيرِها، ومذاهبُ القراءِ فيها، واختلافُ الأئمةِ في حكمِها في سورةِ البقرة.

* * *

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ ﴾ أي: تنْعَتُ ﴿ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ ﴾ إشارة إلى ما تقدَّمَ من السائبةِ والوصيلةِ والحام، المعنى: لا تُحِلُّوا حراماً، ولا تحرِّموا حلالاً؛ لتفتروا على اللهِ الكذبَ فتقولوا: إن الله أمرنا بها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ لا يبلغون الأملَ.

* * *

﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ﴿ مَتَٰعٞ ﴾ أي: بقاؤهم فيها متاعٌ.

﴿ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ في الآخرةِ.

* * *

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ ﴾ وهو ما ذُكر في سورةِ الأنعامِ، وهو كلُّ ذي ظُفُرٍ ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ ﴾ بالتحريمِ.

﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ بالمعاصي.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ أي: بسببِها.

﴿ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ ﴾ والإصلاحُ: الاستقامةُ على التوبةِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ أي: بعدَ التوبةِ.

﴿ لَغَفُورٞ ﴾ لذلك السوءِ ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ يُثيب على الإنابةِ.

* * *

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (إبراهام) بالألفِ في هذا الحرف والآتي[١].

﴿ كَانَ ﴾ وَحْدَهُ ﴿ أُمَّةً ﴾ من الأممِ؛ لكمالِه في جميعِ صفاتِ الخير ﴿ قَانِتًا ﴾ مُطيعاً.

﴿ لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الباطلِ.

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ كما زعموا؛ فإن قريشاً كانوا يزعمونَ أنهم[٢] على مِلَّتِهِ.

***

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[١٢١] ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ رُوي أنه كانَ لا يأكلُ إلاَّ مع ضيفٍ، فجاءه فوجٌ من الملائكةِ في زِيِّ البشر، فقدَّم لهم الطعامَ، فخيلوا إليه أنَّ بهم جُذاماً، فقالَ: الآنَ وجبتْ مؤاكَلَتُكُمْ شكراً لله على أنْ عافاني وابتلاكم.

﴿ ٱجْتَبَىٰهُ ﴾ اختارَهُ للنبوةِ ﴿ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ دينِ الإسلام.

***

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ هي التنويهُ بذكرِه حتى ليسَ من أهلِ

---

(١) كما تقدم عنه. وانظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١-٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٩).

(٢) «أنهم» ساقطة من «ت».

دينٍ إلا وهم يتولَّوْنَهُ ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أهلِ الجنة.

***

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمدُ.

﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بلْ كان قدوةً للموحِّدين.

***

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه، وحكمُ طلبِ القاضي لليهوديِّ في يوم السبتِ في سورةِ البقرةِ، ونُبِّهَ عليه في الأعراف؛ أي: جُعِلَ تعظيمُه والتخلِّي فيه للعبادةِ.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: على نبيِّهم، وهم اليهودُ، أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادةِ يومَ الجمعة، فأبوا وقالوا: نريدُ يومَ السبت؛ لأنه تعالى فرغَ فيه من خلقِ السمواتِ والأرضِ، فألزمَهم اللهُ السبتَ، وشَدَّدَ الأمرَ عليهم، وقيل: معناه: إنما جُعِلَ وبالُ السبتِ، وهو المسخُ، على المختلفين فيه بتحليلِ الصيدِ تارةً، وتحريمه أُخرى، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في سورةِ البقرةِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمجازاةِ على الاختلاف بما يستحقُّه كلُّ فريقٍ.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

[١٢٥] ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي: الإسلام. قرأ أبو عمرٍو: (سَبيل رَّبِّكَ) بإدغامِ اللامِ في الراءِ[١].

﴿ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ بالمقالةِ المحكمةِ ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ التلطُّفِ من غيرِ تعنيفٍ، قالَ ﷺ: «أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»[٢].

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ بالرفقِ واللينِ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ وهو المجازي لهم، وهذا منسوخٌ بآيةِ السيفِ.

* * *

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

[١٢٦] ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ لما مَثَّلَ المشركونَ بحمزةَ رضي الله عنه يومَ أُحُدٍ، قال النبيُّ ﷺ: «وَاللهِ لَئِن أَظْفَرَنِي اللهُ بِهِمْ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ»، فنزلت، وهو إشارةٌ إلى وجوبِ التقاصُصِ على السَّواءِ.

﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ ﴾ على تركِ القِصاصِ ﴿ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ معناهُ:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٠).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٦١١)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وسنده ضعيف جداً، كما نقل العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٢٦) عن السخاوي والسيوطي وغيرهما.

العفوُ خيرٌ من الانتقام، فقالَ النبيُّ ﷺ: «بَلْ أَصْبِرُ»، وأَمسكَ عما أرادَ، وكَفَّرَ عن يمينه[1].

* * *

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ثم صرَّحَ بالأمرِ بالصبرِ، فقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي: بمعونتِهِ وتثبيتِهِ ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إنْ لم يؤمنوا.

﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (ضِيقٍ) بكسر الضادِ؛ أي: شِدَّة، وقرأ الباقون: بالفتحِ؛ أي: غَمٍّ[2].

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ المعاصيَ.

﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ في العملِ، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٣)، و«شرح معاني الآثار» للطحاوي (٣/ ١٨٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٩٣٧)، و«المستدرك» للحاكم (٤٨٩٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦١) وما بعدها، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٠_٣٠١).

سورة الإسراء

مكيةٌ إلا قولَه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى آخرِ ثماني آياتٍ، قدرُ آيِها مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً، وحروفُها ستةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وستونَ حرفاً، وكَلِمُها ألفٌ وخمسُ مئةٍ وثلاثٌ وثلاثونَ كلمةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ (سُبْحَانَ) تنزيهُ اللهِ من كلِّ سوءٍ، ووصفُه بالبراءةِ من كلِّ نقصٍ، وتكونُ (سُبْحَانَ) بمعنى التعجُّبِ، (أَسْرَى)؛ أي: سَيَّرَهُ، و(العبدُ) هو محمدٌ ﷺ، لم يختلفْ في ذلكَ أحدٌ من الأمة، و(ليلاً) نصبٌ على الظرف.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو المسجدُ المحيطُ بالكعبةِ، وقيلَ: من بيتِ أُمِّ هانِىء من الحرم، قالَ ابنُ عباسٍ: «الحرمُ كلُّهُ مسجدٌ»(١).

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ هو مسجدُ بيتِ المقدسِ، وبينَهما مسيرةُ شهرٍ،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٧).

وسُمِّيَ الأقصى، لبعدِ المسافةِ بينَهُ وبينَ المسجدِ الحرامِ، وقيل: كانَ هذا أبعدَ مسجدٍ عن أهلِ[1] مكةَ في الأرض يُعَظَّمُ بالزيارةِ، وقيل: لبعدِه عن الأقذارِ والخبائثِ، ورُوي أنه سُمِّيَ الأقصى؛ لأنه وسطُ الدنيا لا يزيدُ شيئاً ولا ينقُصُ.

﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ والبركةُ حولَه من جهتين: إحداهُما: بالنبوةِ والشرائعِ والرسلِ الذين كانوا في ذلك القطرِ في نواحيهِ وبواديه، والأخرى: النِّعَمُ من الأشجارِ والمياهِ والأرضِ المفيدةِ التي خَصَّ اللهُ الشامَ بها، وعنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ بَارَكَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرِيشِ إِلَى الْفُرَاتِ»[2]، وخصَّ فلسطينَ بالتقديسِ، ولو لم يكنْ له من الفضيلةِ غيرُ هذهِ الآيةِ، لكانَتْ كافيةً فيه؛ لأنه إذا بورِكَ حولَهُ، فالبركَةُ فيه مضاعَفَةٌ.

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ أي: محمداً ﷺ بعينِه ﴿مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ في السمواتِ والملائكةِ والجنةِ والنارِ، ولقيا الأنبياءِ، وغيرِ ذلكَ مما رآه تلكَ الليلةَ من العجائبِ، وذهابِه ورجوعِه في جزءٍ من ليلةٍ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما تقولون ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأفعالِكم، وعيدٌ من اللهِ للكفارِ على تكذيبِهم محمداً ﷺ في أمرِ الإسراءِ.

وأما قصةُ الإسراءِ، فملَخَّصُها: أن الله سبحانه وتعالى بعثَ رسوله ﷺ، وأنزلَ عليهِ الوحيَ، وأمرهُ بإظهارِ دينهِ، وأيَّدَهُ بالمعجزاتِ الظاهرةِ، والآياتِ الباهِرَةِ، أسرى به ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى، وهو بيتُ المقدسِ من إيليا، وقد فشا الإسلامُ في قريشٍ وفي

---

(١) في «ش»: «لأهل».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ١٤١)، (١/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

القبائلِ كلِّها، وكانَ الإسراءُ ليلةَ سبعَ عشرةَ من ربيعٍ الأولِ قبلَ الهجرةِ بسنةٍ.

وقال ابن الجوزيِّ: وقد قيلَ: كانَ في ليلةِ سبعٍ وعشرينَ من شهرِ رجبٍ.

وقيل: في شهرِ رمضانَ، والنبيُّ ﷺ ابنُ إحدى وخمسينَ سنةً وتسعةِ أشهرٍ وثمانيةٍ وعشرين يوماً.

واختلِفَ في الإسراءِ برسولِ الله ﷺ، فقيل: إنما كانَ جميعُ ذلكَ في المنام، والحقُّ الذي عليه أكثرُ الناسِ ومعظمُ السَّلَفِ، وعامةُ المتأخرين من الفقهاءِ والمحدِّثينَ والمتكلِّمين أنه أُسري بجسدِهِ ﷺ يقظةً؛ لأَن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] تدلُّ على ذلك، ولو كانت رؤيا نومٍ، ما افتتنَ بها الناسُ حتى ارتدَّ كثيرٌ ممن كانَ أسلمَ، وقالَ الكفارُ: يزعمُ محمدٌ أنه أَتى بيتَ المقدسِ ورجعَ إلى مكةَ في ليلةٍ واحدةٍ، والعيرُ تطردُ إليه شهراً مدبرةً، وشهراً مقبلةً، ولو كانت رؤيا نوم، لم يُستبعَدْ ذلك منه.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «هي رُؤْيا عينٍ رآها النبيُّ ﷺ لا رُؤْيا مَنامٍ»(١)، قالَ الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] أضافَ الأمرَ للبصرِ، وقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]؛ أي: لم يُوهِمِ القلبُ العينَ غيرَ الحقيقة، بل صدق رُؤْيتَها.

واختلفَ السلفُ والخلفُ هل رأى نبيُّنا ﷺ ربَّهُ ليلةَ الإسراءِ؟ فأنكرته

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج.

عائشةُ رضي الله عنها، ورُوي عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: «رآهُ بعينِهِ»[1]، ومثلُه عن أبي ذرٍّ، وكعبٍ، والحسنِ، وكان يحلفُ على ذلكَ، وحُكِيَ مثله عن ابنِ مسعودٍ، وأبي هريرةَ، والإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه، وحَكى النقاشُ عن الإمامِ أحمدَ أنه قالَ: «أنا أقولُ بحديثِ ابنِ عباسٍ: «بعينِه رآهُ» رآه، حتى انقطعَ نَفَسُ الإمامِ أحمدَ»[2]، وعنِ ابنِ عباسٍ: أنه قال: «إنَّ اللهَ اختصَّ موسى بالكلامِ، وإبراهيمَ بالخُلَّةِ، ومحمداً بالرُّؤْية»[3]، وحجتُه قولُه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١١-١٣].

واختلفوا في أنَّ نبينا ﷺ هل كَلَّمَ ربَّه عز وجل ليلةَ الإسراءِ؟ فذكرَ عن جعفرِ بنِ محمدٍ الصادقِ أنه قال: «أُوحِيَ إِلَيْه بِلا واسِطَةٍ»، وإلى هذا ذهبَ بعضُ المتكلِّمينَ أن محمداً كلَّمَ ربَّهُ ليلةَ الإسراءِ، وحكوه عن ابنِ عباس، وابنِ مسعود.

واختلِفَ في المكانِ الذي أُسري به منه، فروي عنه ﷺ: أنه قالَ: «بَيْنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعٌ، ومنهم من قال: بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»[4]، وفي رواية أنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِىءِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ» والذي رجَّحه الطبريُّ أنه من المسجدِ المحيطِ بالكعبةِ، قالَ:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٠).

(٢) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٥/ ١٤٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٠٤).

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج، عن مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ.

وهذا الذي يُعرف إذا ذكرَ هذا الاسمُ[١]، وكانت ليلةَ الاثنين «إِذْ هَبَطَ عَلَيَّ الأَمِينُ جِبْرِيلُ عليه السلام» وَذَكَرَ القصةَ.

وكان من حديثِ المعراجِ الشريفِ ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قال: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ»، وفي روايةٍ: «فَلَمَّا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، إِذَا أَنَا بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ قَدْ حُشِرُوا إِلَيَّ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَمَثَلُوا لِي[٢]، وَقَدْ قَعَدُوا صُفُوفاً صُفُوفاً يَنْتَظِرُونِي، فَسَلَّمُوا عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: إِخْوَانُكَ الأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، زَعَمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ للهِ شَرِيكاً، وَزَعَمَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ للهِ وَلَداً، اسْأَلْ هَؤُلاَءِ النَّبِيِّينَ هَلْ كَانَ للهِ عز وجل شَرِيكٌ؟ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فَلَمْ يشْكُكْ ﷺ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ، وَكَانَ أَثْبَتَ يَقِيناً مِنْ ذَلِكَ».

قالَ أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمدِ بن حبيبِ المفسِّرُ في «كتاب التنزيل» له: أن هذهِ الآيةَ أُنزلت على النبيِّ ﷺ ببيتِ المقدسِ ليلةَ أُسريَ به، وقد عدَّها غيرُه من العلماء في الشاميِّ، والذي قالَه أبو القاسم أخصُّ مما ذكروه.

وقال جماعةٌ من المفسِّرينَ: فلما أُنزلت، وسمعَها الأنبياءُ عليهم السلام، أقروا لله عز وجل.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٥).

(٢) في «ت»: «إليَّ».

قال ﷺ: «ثُمَّ جَمَعَهُمْ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ، قال ﷺ: ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا بِآدَمَ ﷺ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا بِي، وَدَعَوا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فذكرَ مثلَ الأولِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ وَذَكَرَ مِثْلَهَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عليه السلام، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فذكرَ مثلَه، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فذكرَ مثلَه، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَذَكَرَ مثلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذُهِبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ، تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ

يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنزَلْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: ما فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قال: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتَ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ[(١)] وفي رواية: يَا مُوسَى! قد وَاللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللهِ[(٢)]، قال ﷺ: ثُمَّ حَمَلَنِي حَتَّى أَنْزَلَنِي عَلَى جَبَلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَإِذَا أَنَا بِالْبُرَاقِ وَاقِفٌ عَلَى حَالِهِ فِي مُوْضِعِهِ، فَسَمَّيْتُ اللهَ، وَاسْتَوَيْتُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ أَشْرَفْتُ عَلَى مَكَّةَ وَمَعِي جِبْرِيلُ، قال ﷺ: لَمَّا كَانَتْ صَبِيحَةُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، أَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ مُتَحَيِّراً فِي أَمْرِي، وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ يُكَذِّبُونِي، فَعُدْتُ مُعْتَزِلاً حَزِيناً إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ، فَمَرَّ بِي أَبُو جَهْلٍ عَدُوُّ اللهِ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ

---

(١) رواه مسلم (١٦٢)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٩)، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.

إِلَيَّ، فقَالَ لِي كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! هَلُمُّوا، فَانْتَقَضَتِ الْمَجَالِسُ، وَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: حَدِّثْ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدُ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! قَالَ: نَعَمْ، فَبَقِيَ مِنْهُمُ الْمُتَعَجِّبُ، وَمِنْهُمُ الْمُصَفِّقُ، وَمِنْهُمُ الْوَاضِعُ يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالُوا: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْعَتُهُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ؛ لِكَوْنِي دَخَلْتُهُ لَيْلاً، فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، قالَ ﷺ: وَآيَةُ ذَلِكَ أَنني مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلانٍ بِوَادي كَذَا وَكَذَا، فَأَنفرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ، فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ، فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ نَحْوَ الشَّامِ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِضُجْنَانَ مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلانٍ، فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَاماً، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطَّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتَ مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَإِنَّ عِيرَهُمُ الآنَ تُصَوِّبُ مِنَ الْبَيْضَاءِ ثَنِيَّةِ التَّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ، إِحْدَاهُما سَوْدَاءُ، وَالأُخْرَى بَرْقَاءُ، فَابْتَدَرَ الْقَوْمُ الثَّنِيَّةَ، فَلَمْ يَلْقَهُمْ أَوَّلاً إِلاَّ الْجَمَلُ الَّذي وَصَفَ لَهُمْ، وَسَأَلُوهُمْ عَنِ الإِنَاءِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءاً مَاءً، ثُمَّ غَطَّوْهُ، وَأَنَّهُمُ افْتَقَدُوهُ مِنَ اللَّيْلِ فَوَجَدُوهُ كَمَا غَطَّوْهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً، وَسَأَلُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ نَدَّ لَهُمُ الْبَعِيرُ، فَقَالُوا: صَدَقَ وَاللهِ، لَقَدْ نَدَّ لَنَا بَعِيرٌ بِالْوَادِي الَّذِي ذَكَرَهُ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ لأَشْبَهُ الأَصْوَاتِ بِصَوتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَجِئْنَا حَتَّى أَخَذْنَاهُ، وفي

رواية: ومَرَرْتُ بِعِيرِكُمْ بالتَّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَخَرَجُوا إِلَى الثَّنِيَّةِ وَجَلَسُوا يَنْتَظِرُونَ طُلُوعَ الشَّمْسِ لِيُكَذِّبُوهُ إِذْ قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ، قالَ آخرُ: هذهِ العيرُ قدْ أقبلَتْ يقدُمُها بعيرٌ أورقُ كما قالَ، فقالوا: إنْ هَذَا إلاَّ سحرٌ مبينٌ[1]، فحينئذٍ آمَنَ من آمنَ، وكفرَ مَنْ كفرَ، وذهبَ الناسُ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه، فقالوا: هلَ لكَ يا أبا بكرٍ في صاحبِكَ أنَّه يزعُمُ أنه قد جاءَ الليلةَ بيتَ المقدسِ، وصلَّى فيهِ ورجعَ إلى مكةَ، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «واللهِ لئنْ كان قالَ، لقد صدقَ، فما يُعْجِبُكم من ذلك؟ فو اللهِ إنَّه لَيُخْبِرُنا عنِ الوحيِ من اللهِ يأتيهِ من السَّماءِ إلى الأرضِ في ساعةٍ واحدةٍ من ليلٍ أو نهارٍ، فنصدِّقُه، فهذا أبعدُ مما تعجبونَ منهُ، ثم أقبلَ حتى انتهى إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا نبيَّ الله! أَحَدَّثْتَ هؤلاءِ أنكَ جئتَ بيتَ المقدسِ هذهِ الليلةَ؟ قالَ: نعم، قالَ: صَدَقْتَ، فصفْه لي يا نبيَّ اللهِ؛ فإني جئتُه، قالَ رسول الله ﷺ: «فَرُفِعَ إِلَيَّ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ»، وجعلَ يصفُه لأبي بكرٍ وهو يقولُ: صدقْتَ، أشهدُ أنكَ رسولُ الله، حتى انتهى، فقالَ النبيُّ ﷺ: «وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق» فسمِّي من ذلكَ اليوم صديقاً، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]، ثم أنزلَ اللهُ سورةَ النجمِ تصديقاً له ﷺ[2].

***

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٨٥). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢٥٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧).

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٨): بعد أن ذكر السياق الذي نقله المصنف هنا: هذا سياق فيه غرائب عجيبة.

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراةَ ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا ﴾ أي: هديناهم لئلاَّ ﴿ تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ أي: ربّاً يَكِلونَ إليهِ الأمورَ. قرأ أبو عمرٍو: (يَتَّخِذُوا) بالغيب؛ لأنه خبرٌ عنهم، وقرأ الباقون: بالخطاب، يعني: قلْنا لهم: (لا تتَّخِذُوا)[١].

***

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ منادًى؛ أي: يا ذرية قوم نوحٍ! وهذا مِنَّةٌ على جميعِ الناسِ؛ لأنهم كلَّهم من ذريةِ مَنْ أُنْجِيَ في السفينةِ من الغرقِ، وهو إيماءٌ إلى توبيخِ مَنْ أشركَ باللهِ؛ لأنهم موجودون من ذريةِ مَنْ أُنجيَ في السفينةِ، المعنى: كانوا مؤمنينَ، فكونوا مثلَهم واسْتَنُّوا بسنَّتِهم، ثم زادَهم توبيخاً بقوله:

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: نوحاً ﴿ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ كثيرَ الشكرِ، فكونوا مثلَه، وكانَ ﷺ يستعظمُ القليلَ من فضلِ اللهِ عليه، ويستصغرُ كثيرَ خدمتِه له.

***

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٦).

[٤] ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أعلَمْناهم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراةِ.

﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ لامُ القسم، مجازُهُ: واللهِ لَتُفسِدُنَّ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرضِ الشامِ وبيتِ المقدسِ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ لتَسْتَكْبِرُنَّ عن طاعةِ الله.

* * *

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: وعدُ عقابِ أولاهما، وهي مخالفةُ التوراةِ، وإحداثُهم المعاصي، وقتلُ أشعياءَ النبيِّ، الذي بَشَّرَ بعيسى ومحمدٍ عليهم الصلاة والسلام.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ هو بُخْتَ نَصَّر وأصحابهُ على الأظهرِ ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي قوة وبطش ﴿فَجَاسُوا۟﴾ طافوا ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وسطَ المنازلِ ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: قضاءً كائناً لا خُلْفَ فيه، وتقدَّمَ خبرُ قصةِ بخت نَصَّرَ وتخريبه بيتَ المقدسِ في سورةِ البقرةِ عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الآية: ٢٥٩].

* * *

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾.

[٦] وقد روي أن سيدنا سليمانَ بنَ داودَ عليهما السلام عمرَ بيتَ المقدسِ من ذهبٍ وفضةٍ وياقوتٍ وزبرجدٍ، وكان عمدُه ذهباً، أعطاهُ اللهُ ذلكَ، وسخَّرَ له الجنَّ والشياطينَ يأتونَه بهذه الأشياءِ في طَرْفةِ عين، وعملَ

فيه عملاً لا يُوصَفُ، فلم يكنْ يومئذٍ في الأرضِ بيتٌ أبهى ولا أنورَ من ذلكَ المسجدِ، كان يضيءُ في الظلمةِ كالقمرِ ليلةَ البدرِ، وكانتْ صخرةُ بيتِ المقدسِ أيامَ سليمانَ ارتفاعُها اثنا عشرَ ذراعاً، وكان الذراعُ ذراعَ الأمان ذراعٌ وشبرٌ وقَبْضةٌ، وكانَ ارتفاعُ القبةِ التي عليها ثمانيةَ عشرَ ميلاً، وفوقَ القبةِ غزالٌ من ذهبٍ بينَ عينيهِ دُرَّةٌ أو ياقوتةٌ حمراءُ تغزلُ نساءُ أهلِ البلقاءِ على ضوئِها بالليل، وهي من فوقِ مرحلتينِ من القدسِ، وكانَ أهلُ عمواسَ يستظلُّونَ بظلِّ القبةِ إذا طلعتِ الشمسُ من المشرقِ، وعمواسُ بفتح الميم وسكونها، وهي التي سُمِّي بها الطاعونُ على الراجحِ؛ لأنه منها ابتدأ، وكان في سنةِ ثماني عشرةَ من الهجرةِ، وهي بالقربِ من رملةِ فلسطينَ، مسافتُها عن بيتِ المقدسِ نحوُ بريدٍ ونصفٍ، وإذا غربتِ الشمسُ استظلَّ بها أهلُ بيت الرامةِ من الغور، ومسافتُها عن بيتِ المقدسِ أبعدُ من عمواسَ، وبينَ عمارةِ سليمانَ عليه السلام للمسجدِ الأقصى وبينَ الهجرةِ النبويةِ الشريفةِ على صاحبِها الصلاةُ والسلام ألفٌ وثمانُ مئةٍ وقريبُ سنتين، وسيأتي ذكر بنائِه في تفسيرِ سورةِ سبأ عندَ قولِه تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [الآية: ١٣]، واستمرَّ على العمارةِ السليمانيةِ أربعَ مئةٍ وثلاثاً وخمسينَ سنةً إلى أَنْ غزاهم بُخْتَ نَصَّرُ، وخَرَّبَ العمارةَ السليمانيةَ، وأحرقَ بيتَ المقدسِ وخرَّبَهُ، واحتمل منه ثمانين عجلةً ذهباً وفضةً، وأبادَ بني إسرائيل قتلاً وتشريداً، واستمرَ بيتُ المقدسِ خراباً سبعينَ سنةً كما تقدَّمَ ذكرُه في سورة البقرة، ثم أهلكَ الله بُخْتَ نَصَّرَ ببعوضةٍ دخلتْ دماغَهُ، ونَجَّى اللهُ مَنْ بقيَ من بني إسرائيلَ، ولم يمتْ ببابلَ(١).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٥٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٢٤٣).

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ﴾ الدولةَ العليّةَ.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على الذين قتلوكم حينَ تبتُمْ.

﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ رُوي أنَّ الله تعالى أوحى إلى أرمياءَ النبيِّ عليه السلام أنَّ كورشَ يعمرُ بيتَ المقدسِ، وهو ملكٌ من ملوكِ الفرسِ، وكان مؤمناً، فسار كورشُ ببني إسرائيلَ، وحُلِّي بيتُ المقدسِ حتى ردَّه إليه، وعمر بيت المقدس، وعادَ البلدُ أحسنَ مما كانَ، وأصعدَ إليها من بني إسرائيل أربعينَ ألفاً، وقرَّبوا القرابينَ على رسومِهم الأولى، ورجعت إليهم دولتُهم، وعظم محلُّهم عندَ الأممِ، واستمرَّ بيتُ المقدسِ عامراً سبعَ مئةٍ وإحدى وعشرينَ سنةً.

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ عدداً، والنفيرُ: من يَنْفِرُ مع الرجلِ من قومِه.

* * *

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ ﴾ لأن ثوابه لها.

﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ فإنَّ وبالَها عليها.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: عقابُ المرةِ الآخرةِ من إفسادِكم، وذلك قصدُهم قتلَ عيسى عليه السلام حينَ رُفعَ، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِهم مستوفىً في سورةِ آلِ عمرانَ، وقتلهم يحيى عليه السلام، وسببُه أنَّ عيسى عليه السلام كان قد حَرَّمَ نكاحَ بنتِ الأخِ، فكانَ لهرودوس، وهو الحاكمُ على بني

إسرائيلَ بنتُ أخٍ، وأرادَ أن يتزوَّجَها كما هو جائزٌ في ملةِ اليهودِ، فنهاه يحيى عن ذلكَ، فطلبتْ أمُّ البنتِ من هرودوسَ أن يقتلَ يحيى، فلم يُجبْها إلى ذلك، فعاوَدَتْه، وسألته البنتُ أيضاً، وَأَلَحَّتْ عليه، فأجابهما إلى ذلك، وأمر بيحيى فَذُبح ووُضِعَ رأسُه بينَ يدي هرودوسَ، فكانَ الرأسُ يتكلَّمُ ويقولُ: لا تَحِلُّ لكَ، واستمرَّ غَلَيانُ دمِه، فأمر بترابٍ فألقي عليهِ حتى بلغَ سورَ المدينة، فما زادَ إلا انبعاثاً، فبعث اللهُ عليهم مَلِكاً من جهة المشرق من ملوكِ بابل يقال له: خُرْدوسُ، فقتلَ منهم على دمِ يحيى سبعينَ ألفاً إلى أن سكنَ دمُه، وزعم قومٌ أن بخت نصر هو الذي غزاهم وقتلَهم على دمِ يحيى، وليسَ بصحيح؛ لأن بُخْتَ نَصَّرَ خَرَّبَ بيتَ المقدسِ قبلَ ولادةِ يحيى بنحو خمسِ مئةِ سنةٍ، ثم غزاهم طيطوسُ الروميُّ، وكان محلُّ ملكِه مدينةَ روما من بلادِ الفرنجِ، فقصدَ بيتَ المقدسِ، وأَوقعَ باليهودِ وقتلَهم وأسرَهم على آخرِهم إلاَّ من اختفى، ونهبَ القدسَ وَخَرَّبه، وخَرَّبَ البيتَ المقدَّسَ، وأحرقَ الهيكلَ، وخلا القدسُ من بني إسرائيلَ كأَنْ لم تَغْنَ بالأمسِ، وكانتْ أعظمَ الوقعتينِ، فلم يعدْ لهم بعدَ ذلك رئاسةٌ ولا حكمٌ، وكانَ ذلكَ بعدَ رفعِ المسيحِ بنحوِ أربعينَ سنةً، وبينَ هذا التخريبِ والهجرةِ الشريفةِ خمسُ مئةٍ وثمانٌ وخمسونَ سنةً بالتقريبِ، فذلكَ قولُه تعالى:

﴿لِيَسُـُٔوا۟﴾ أي: بعثناهم ليسوؤوا ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ يُخزوها، ويُدْخِلوا عليها الغمَّ والحزنَ، والضميرُ لأولي البأسِ الشديدِ. **قرأ** الكسائيُّ: (لنَسُوءَ) بالنونِ ونصبِ الهمزةِ على التعظيم إخباراً من الله عن نفسه، **وقرأ** ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (لِيَسُوءَ) بالياءِ ونصبِ الهمزةِ؛

أي: ليسوءَ اللهُ وجوهكم، وقرأ الباقون: بالياءِ وضمِّ الهمزةِ وبعدَها واوُ الجمعِ على المعنى الأول[1].

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ أي: بيتَ المقدسِ.

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ من المرتينِ.

﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ يُهْلِكوا ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ غَلَبوا عليه ﴿تَتۡبِيرًا﴾ مصدرٌ.

***

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾.

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ بعدَ انتقامِه منكُم إن تبتُمْ، فيردَّ الدولةَ إليكم، فتابوا، فرحمهم ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ إلى المعصيةِ ﴿عُدۡنَا﴾ إلى العقوبةِ، فعادوا بتكذيبِ محمدٍ ﷺ، فعاد الله بتسليطِه عليهم، فقتلَ قريظةَ وأجلى بني النضيرِ، وضربَ الجزيةَ على الباقينَ، فهم يُعطونها عن يَدٍ وهم صاغِرونَ.

﴿وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ سِجْناً؛ من الحَصْرِ، لا يقدرون على الخروج منها، واستمرَّ بيتُ المقدسِ ومسجدُه خراباً إلى أنْ تراجعَ البلدُ إلى العمارةِ قليلاً قليلاً، وترمَّمَ شعثُه، وملكَهُ الرومُ واستوطنوه، واستمرَّ المسجدُ الأقصى خراباً يُلْقى فيه القماماتُ، وبقيَ الحالُ على ذلك حتى جاءَ الإسلامُ، وقدمَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، وفتحَ القدسَ، وعمرَ المسجدَ الأقصى زادَ اللهُ شرفهَ في سنةِ خمسَ عشرةَ من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٨).

الهجرةِ الشريفةِ، وقيل: في سنةِ ستَّ عشرةَ في ربيعِ الأولِ، وقيل: لخمسٍ خَلَوْنَ من ذي القعدة، والله أعلم.

***

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى ﴾ أي: للطريقة التي ﴿ هِىَ أَقْوَمُ ﴾ أَصْوَبُ، وهي الإيمانُ ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (وَيَبْشُرُ) بفتحِ الياءِ وتخفيفِ الشينِ وضمِّها، من البشرِ، وهو البُشْرى والبشارةُ، وقرأ الباقون: بضم الياءِ وتشديد الشينِ مكسورةً من بَشَّرَ المضعَّفِ على التكثير[1].

***

﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وهو النارُ، عطفٌ على (وَيُبَشِّرُ)؛ أي: يبشرُ المؤمنين بِشارتين: بثوابِهم في الآخرةِ، وبعقابِ أعدائهم.

***

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ عندَ غضبِهِ ﴿ بِٱلشَّرِّ ﴾ على نفسه ﴿ دُعَآءَهُۥ ﴾ أي:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٠).

كما يدعو اللهَ ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾ ولو استجابَ اللهُ دعاءَهُ على نفسِه، لهلكَ، ولكنَّ اللهَ لا يستجيبُ له بفضلِه.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ ضجراً لا صبرَ له على السَّراءِ والضَّراءِ. وحُذفت الواوُ من (يَدْعُ) في اللفظِ والخطِّ، ولم تحذفْ في المعنى؛ لأنها في موضعِ رفعٍ، فكان حذفُها باستقبالِها اللامَ الساكنة؛ كقولِه: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦].

* * *

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ علامتينِ يُستدَلُّ باختلافِهما على الوحدانيةِ والقدرةِ ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ طَمَسْنا ضوءَهُ.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: بيِّنَةً يُبْصَرُ بها الأشياءُ.

﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ لتطْلُبوا ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في النهارِ أسبابَ معاشِكم.

﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بها ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ أي: لو تركَ اللهُ الشمسَ والقمرَ كما خَلَقَهما، لم يُعْرَفِ الليلُ من النهار، ولم يُعْلَمْ وقتُ فطرِ الصائمِ، ولا وقتُ الحجِّ ونحوِهما ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه بياناً ظاهراً.

* * *

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ عملَه ﴿ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ لا يفارقُه، وخُصَّ العنقُ بالذكرِ؛ لأنَّ الإلزامَ فيها أشدُّ.

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا ﴾ هي صحيفةُ عملِه ﴿ يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ مبيناً مشروحاً. **قرأ** أبو جعفرٍ: (وَيُخْرَجُ) بالياءِ وضمِّها وفتح الراء، مجهولٌ، وعنهُ وجهٌ بكسرِ الراء؛ أي: الفاعلُ اللهُ تعالى، **وقرأ** يعقوبُ: بالياءِ وفتحِها وضمِّ الراء؛ أي: ويخرجُ له الطائر يوم القيامة كتاباً، **وقرأ** الباقون: بالنونِ وضمِّها وكسرِ الراء[1]؛ أي: يقول الله: ونحنُ نخرجُ له يومَ القيامةِ كتاباً، واتفقوا على نصبِ (كتاباً)، ووجهُ نصبِه على **قراءة** أبي جعفرٍ أنْ يكونَ حالاً؛ أي: ويخرج الطائرُ كتاباً، وكذا وجهُ النصبِ على **قراءة** يعقوبَ أيضاً، فتتفقُ القراءتانِ في التوجيهِ على الصحيحِ الفصيحِ الذي لا يختلَفُ فيه، **وقرأ** أبو جعفرٍ وابنُ عامر: (يُلَقَّاهُ) بضمِّ الياءِ وفتحِ اللامِ وتشديدِ القاف، يعني: يُلَقَّى الإنسانُ ذلكَ الكتابَ؛ أي: يُؤْتاه، **وقرأ** الباقون: بفتح الياءِ وإسكانِ اللامِ وتخفيفِ القاف[2]؛ أي: يراه منشوراً، وأمالَهُ ابنُ ذكوانَ راوي ابنِ عامرٍ بخلافٍ عنه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٢).

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ أي: يقال له: اقرأ ﴿ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ أي: محاسباً، ونصبهُ على التمييز، وفوَّضَ تعالى حسابَ العبدِ إليه لئلاَّ يُنْسَبَ إلى الظلمِ، ولتجبَ الحجةُ عليهِ باعترافِه.

* * *

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي: من اجتهدَ حتى يهتديَ، فلها ثوابُه.

﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ أي: تغافلَ حتى ضلَّ.

﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ لأنَّ عليها عقابَه.

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ ﴾ ولا تحملُ نفسٌ آثمةٌ ﴿ وِزْرَ ﴾ إثمَ نفس ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ لأن كُلاًّ مطالَبٌ بعملِه، وأصلُ الوزرِ: الثقلُ، رُوي أنَّ سببَها أنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ المخزوميَّ قالَ لأهلِ مكَّةَ: اكفُروا بمحمدٍ، وإثْمُكُمْ عليَّ، فنزلَتْ هذهِ الآية[١]؛ أي: إن الوليدَ لا يحملُ آثامَكم، وإنما إثمُ كُلِّ واحدٍ عليهِ.

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ينذرُ ويبينُ الشرائعَ، فلا حكمَ قبلَ الشرع، بل الأمرُ موقوفٌ إلى ورودِه بالاتفاقِ.

* * *

---

(١) انظر: «روح المعاني» للألوسي (١٥/ ٣٥).

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ مُنعَّمِيها . قراءة العامة : (أَمَرْنَا) بالقصر ؛ أي : أمرناهم بالطاعةِ ، وقرأ يعقوبُ : (آمَرْنَا) بالمدِّ ؛ أي : كَثَّرْنا ، وَ(أَمَّرْنا) بالتشديدِ سَلَّطْنا ، والتلاوةُ بالأولِ والثاني[(١)] .

﴿ فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ فخرجوا عن الطاعةِ ﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾ وجبَ عليها الوعيدُ .

﴿ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ أهلكناها وما فيها هلاكَ استئصالٍ .

* * *

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ المكذِّبَةِ ﴿ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ ﴾ كعادٍ وثمودَ مثالٌ لقريشٍ ووعيدٌ ؛ أي : لستُمْ ببعيدٍ مما حصلوا فيه من العذابِ إذْ أنتم كَذَّبْتُم نبيَّكم ، والقرنُ مئةُ سنةٍ على الأصحِّ ، يعضُدُه الحديثُ في قولِه عليه السلام : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»[(٢)] ، وروى محمدُ بنُ القاسمِ في ختنِهِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرٍ قال : وضعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَه على رأسِهِ وقالَ : «سَيَعِيشُ

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦).

(٢) رواه البخاري (٢٥٠٩)، كتاب : الشهادات، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ومسلم (٢٥٣٣)، كتاب : فضائل الصحابة، باب : فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

هَذَا الْغُلَامَ قَرْناً» قلتُ: كم القرنُ؟ قالَ: «مئةُ سنةٍ»، قالَ محمدُ بنُ القاسمِ: فما زِلْنا نَعُدُّ له حتى أكملَ مئةَ سنة، وماتَ رحمه الله(١).

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ فيعاقِبُ عليها، والباءُ في (بِرَبِّكَ) زائدةٌ، والتقديرُ: وكفى ربُّك، هذه الباءُ إنما تجيءُ في الأغلبِ في مدحٍ أو ذمٍّ، فكأنها تُعطي معنى: اكْتَفِ بِرَبِّكَ؛ أي: ما أكفاه في هذا!

***

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا، مقصوراً عليها هَمُّهُ، وجوابُ (مَنْ كَانَ) ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ من البسطِ والتقتيرِ وغيرِهما، لا ما يشاء هو.

﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ أن نفعلَ له ذلكَ، أو إهلاكُه قَيَّدَ المعجَّلَ، والمعجَّلَ له بالمشيئةِ والإرادةِ؛ لأنه لا يجدُ كُلُّ مُتَمَنٍّ ما يتمناه، ولا كلُّ واحدٍ جميعَ ما يهواه.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يدخُلُها.

﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطروداً من رحمةِ اللهِ.

***

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٥).

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ إرادةَ يقينٍ بها، وإيمانٍ باللهِ وبرسالاته.

﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ وهي ملازمةُ أعمالِ الخيرِ وأقواله على حكمِ الشرعِ.

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ مقبولاً، ولا يشكرُ اللهُ عملاً ولا سعياً إلا أثابَ عليهِ، وغفرَ بسببهِ.

* * *

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ كُلًّا ﴾ نصبٌ بقولِهِ: ﴿ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: نُمِدُّ كلَّ واحدٍ من الخلائقِ الطائعَ والعاصي ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ ﴾ رزقِهِ.

﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ممنوعاً في الدنيا عن مؤمنٍ وكافرٍ تفضُّلاً.

* * *

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمدُ ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ في الرزقِ والعملِ، يعني: طالبَ العاجلةِ وطالبَ الآخرةِ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ،

وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (مَحْظُوراً انْظُرْ) بضمِّ التنوينِ، والباقون: بكسره[1].

﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ ﴾ للمؤمنينَ.

﴿ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ لأَن التفاوتَ فيها بالجنةِ ودرجاتِها، والنارِ ودَرَكاتِها.

* * *

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ ﴾ فتصيرَ.

﴿ مَذْمُومًا ﴾ من غيرِ حمدٍ.

﴿ مَّخْذُولًا ﴾ ذليلاً بلا ناصرٍ، الخطابُ مع النبي ﷺ، والمرادُ غيرُه.

* * *

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ مقتصرينَ على عبادتِه تعالى.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ برّاً بهما، وعَطْفاً عليهما.

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (يَبْلُغَانِ) بألفٍ مطولةٍ بعدَ الغينِ وكسرِ النونِ على التثنية، وقرأ الباقونَ: بغير ألفٍ، وفتحِ النون على

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٤).

التوحيدِ، واتفقوا على تشديدِ النونِ في الحالتين[1].

﴿عِندَكَ﴾ إشارةً إلى كفالتِهِ ﴿ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ المعنى: إذا أسنَّ والداك، أو أحدُهما، واحتاجا، أو أحدُهما في حالِ كبرِهما إلى أن تتولَّى منهما ما كانا يتولَّيانِهِ منكَ في حالِ الطفولةِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (كِلاَهُمَا) بالإمالةِ[2].

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ لفظٌ يقال لما يضجَرُ منه، وهي كلمةُ كراهيةٍ، وهذه اللفظةُ مثالٌ لجميعِ ما يمكنُ أن يقابَلَ به الآباءُ مما يكرهون، فلم تُرَدْ هذه في نفسِها، وإنما هي مثالٌ لأعظمَ منها. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (أُفَّ) بفتح الفاءِ من غير تنوينٍ، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بكسر الفاءِ مع التنوينِ، وقرأ الباقون: بكسرِ الفاءِ من غيرِ تنوينٍ، والقراءاتُ الثلاثُ لغاتٌ معناها واحدٌ[3].

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تَزْجُرْهما، والانتهارُ: إظهارُ الغضبِ في الصوتِ واللفظِ.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ليناً جيدَ المعنى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦ـ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٦ـ٣١٧).

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾ تذَلَّلْ لهما وتواضعْ.

﴿ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ من أجلِ رحمتِكَ لهما.

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ وهذا كلُّه في الأبوينِ المؤمنينِ، وقد نهى القرآنُ عن الاستغفارِ للمشركينَ الأمواتِ، ولو كانوا أُولي قربى، قالَ ﷺ: «رِضَا اللهِ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُهُ في سَخَطِ الوالدِ»[1]، وقال: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ وَلاَ عَاقٌّ وَلا مُدْمِنُ خَمْرٍ»[2].

* * *

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ ﴾ من برِّ الوالدينِ وعقوقِهما.

﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ ﴾ أبراراً مطيعينَ بعدَ تقصيرِكم في حقِّ الوالدينِ وغيرِه.

﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ ﴾ الراجعينَ بالتوبةِ ﴿ غَفُورٗا ﴾ ما فرط منكُمْ.

---

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٢٩)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه النسائي (٥٦٧٢)، كتاب: الأشربة، باب: الرواية في المدمنين في الخمر، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠١)، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ والمرادُ: صلةُ الرحمِ، خوطبَ بذلكَ النبيُّ ﷺ، والمرادُ: الأمة ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ من الزكاةِ المفروضةِ.

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ التبذيرُ: الإتلافُ وإنفاقُ المالِ في فسادٍ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ أي: أمثالَهم؛ لأنهم أطاعوهم.

﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ مبالِغاً في الكفرِ.

* * *

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ عن ذَوي القربى والمذكورينَ قبلُ حياءً من الرَّدِّ.

﴿ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ انتظارَ رزقٍ من اللهِ ترجوهُ أن يأتيَكَ.

﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ طَيِّباً؛ أي: عِدْهُم جميلاً، وقلْ: يرزقُنا اللهُ وإياكم.

* * *

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ونزل لما أعطى رسولُ الله ﷺ قميصَه، ولم يبقَ له ثوبٌ يخرجُ به إلى الصلاةِ:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾[1] كنايةٌ عن نهايةِ الإمساكِ.

﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ كنايةٌ عن نهايةِ البَذْلِ.

﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ تُلامَ على إتلافِ مالِكَ.

﴿ مَّحْسُورًا ﴾ منقَطِعاً عن النفقةِ والتصرُّفِ.

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ﴾ يوسِّعُ ﴿ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضيِّقُ.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ فيعلَمُ من مصالِحهم ما يَخْفى عليهم.

* * *

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ مخافةَ فقرٍ.

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ وذلكَ أنَّ الجاهليةَ كانوا يَئِدُونَ بناتِهم خشيةَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٤).

الفاقة، فَنُهوا عن ذلكَ، وأخبرَهم أن رزقَهم ورزقَ أولادِهم على اللهِ.

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ إثماً عظيماً. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (خَطَأً) بفتحِ الخاءِ والطاءِ مقصوراً، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بكسرِ الخاءِ وفتحِ الطاءِ ممدوداً، وقرأ الباقون: بكسر الخاء وجزم الطاءِ، والقراءاتُ الثلاثُ معناها واحدٌ[1].

***

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ نهيٌ عن مقدِّماتِه؛ كالنظرةِ والغمزةِ، فَضْلاً عن مباشرتِه، وإذا نُهي عن مقدماتِه، فالنهيُ عنه أَوْلى، ولو أرادَ النهيَ عن نفسِ الزنى لقالَ: ولا تزنوا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ فعلةً ظاهرةَ القبحِ.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ بئسَ طريقاً طريقُه.

***

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قولُه (وَلَا تَقْتُلُوا) وما قبلَه من الأفعال جزمٌ بالنهيِ، والألفُ واللامُ التي في النفس هي

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩ـ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٨ـ٣١٩).

للجنس، والحقُّ الذي يُقْتَلُ بهِ النفسُ هو ما فَسَّرَهُ النبيُّ ﷺ في قولِه: «لاَ يَحِلُّ دَمُ الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنىً بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ»[1]، وهي الحرابةُ، ومن ذلكَ الزندقةُ، ومسألةُ تركِ الصلاةِ؛ لأنها في معنى الكفرِ بعدَ الإيمانِ، ومنهُ قتلُ أبي بكرٍ مَنَعَةَ الزكاةِ، وقتلُ من امتنعَ في المدنِ من فروضِ الكفاياتِ.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ نصبٌ على الحالِ، ومعناه: بغيرِ هذهِ الوجوهِ المذكورةِ.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: لقرابتِهِ الذي يَلي دمَهُ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ تسلُّطاً على القاتلِ، إنْ شاءَ قتلَ، وإن شاءَ عفا، وإن شاءَ أخذَ الديةَ.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُسْرِفْ) بالخطاب لوليِّ القتيلِ، وقرأ الباقونَ: بالغيبِ[2]؛ أي: لا يُسْرِفِ الوليُّ في القتلِ، والإسرافُ: أَنْ يقتلَ غيرَ القاتلِ، أو يقتلَ اثنينِ أو أكثرَ بالواحدِ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الوليُّ ﴿كَانَ مَنصُورًا﴾ بنصرةِ الشرعِ والسلطانِ، وقيل: الضميرُ عائدٌ على المقتولِ، ونصرُهُ قتلُ قاتلِهِ، وحصولُ الأجرِ له، واختارَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٠٢)، كتاب: الديات، باب: الإمام يأمر بالعفو في الدم، والترمذي (٢١٥٨)، كتاب: الفتن، باب: ما جاء لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث، وابن ماجه (٢٥٣٣)، كتاب: الحدود، باب: لايحل دم امرىء مسلم إلا في ثلاث، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٠)، وثمة رواية عن ابن عامر أنه قرأ «تسرف» بالتاء.

ابنُ عطيةَ أن هذا أرجحُ الأقوال؛ لأنه المظلومُ، ولفظةُ النصرِ تقابِلُ أبداً الظلمَ[1].

***

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بالفعلةِ التي هي أسرعُ إلى إصلاحِ حالِه ومالِه.

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾ منتهى بلوغِه، وتقدَّمَ الكلامُ على الرشدِ، وأحكامِ البلوغِ، واختلافُ الأئمةِ فيه مستوفىً في سورةِ النساء عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [الآية: ٦].

﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ إذا عاهدْتُم لكلِّ أحدٍ ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ عنهُ.

***

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ﴾ ولا تبْخَسوا فيه.

﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ بالميزانِ السَّوِيِّ، وهو روميٌّ عُرِّبَ، ولا يقدحُ ذلكَ في عربيةِ القرآنِ؛ لأنَّ العجميَّ إذا استعملَتْه العربُ وأَجرته مُجرى كلامِهم في الإعرابِ والتعريفِ والتنكيرِ ونحوِها، صار عربياً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (بالْقِسْطَاسِ) بكسرِ

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٥٣).

القافِ، والباقون: بضمِّها وهما لغتان[1].

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبةً وما يؤول إليه الأمرُ.

* * *

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتبَعْ ولا تقُلْ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ والقفوُ: اتِّباعُ الأثرِ، وأصلُه من القفا؛ أي: لا تقلْ سمعتُ ولم تسمعْ، ورأيتُ ولم ترَ، وعلمتُ ولم تعلمْ.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ قرأ ورشٌ عن نافعٍ: (وَالْفُوَادَ) بفتحِ الواوِ بغيرِ همزٍ، والضمير في (عنه) يعودُ على ما ليسَ للإنسانِ به علمٌ، ويكون المعنى: إن اللهَ تعالى يسألُ سمعَ الإنسانِ وبصرَهُ وفؤادَهُ عمَّا قالَ مما لا علمَ له به، فيقعُ تكذيبُه من جوارحِهِ، وتلكَ غايةُ الخِزْيِ، ويحتملُ أن يعودَ الضميرُ في (عنه) على (كُلُّ) التي هي السمعُ والبصرُ والفؤادُ، والمعنى: إنَّ اللهَ يسألُ الإنسانَ عمَّا حواهُ سمعهُ وبصرُه وفؤادُه، فكأنه قالَ: كلُّ هذهِ كانَ الإنسانُ عنهُ مسؤولاً؛ أي: عما حصلَ لهؤلاءِ من الإدراكاتِ، ووقعَ منها من الخطإِ، فالتقديرُ: عن أعمالِها مسؤولاً، فهو على حذفِ مضافٍ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢١).

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴾ خيلاءَ ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ لنْ تقطعَها بكبرِكَ حتى تبلغَ آخِرَها ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ أي: لن تقدرَ أن تُجاوزَها أو تُساويَها بكبرِكَ، وهو تهكُّمٌ بالمختالِ، وملخَّصُه: أنتَ عاجزٌ فلا تتكبَّرْ.

***

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورِ من المناهي ﴿ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: (سَيِّئُهُ) بضمِّ الهمزةِ والهاءِ وإلحاقِها واواً في اللفظِ على الإضافة والتذكيرِ، ومعناه: كلُّ الذي ذكرناه من قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (كانَ سيئه)؛ أي: سَيِّىء ما عَدَّدْنا عليكَ عندَ ربِّكَ مَكْروهاً؛ لأن فيما عدَّ أموراً حسنةً؛ كقولِه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾ وغير ذلك، وقرأ الباقون: بفتحِ الهمزةِ ونصبِ تاءِ التأنيثِ معَ التنوين على التوحيدِ(١)، ومعناه: كلُّ الذي ذَكَرْنا من قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ إلى هذا الموضعِ سيئةً، لا حسنةً، والكلُّ يرجعُ إلى المنهيِّ عنه دونَ غيرِه، ولم يقل: مكروهةً؛ لأن فيه تقديماً وتأخيراً، تقديرُه: كل ذلكَ كانَ مكروهاً، سيئةً، وقوله: مكروهاً على التكريرِ لا على الصفةِ، مجازُهُ كلُّ ذلكَ كانَ سيئةً، وكانَ مكروهاً، أو رجعَ إلى المعنى دونَ اللفظ؛ لأن السيئةَ الذنبُ، وهو مذكَّرٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٢).

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾.

[٣٩] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ من الأحكامِ المتقدمةِ ﴿مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ وهو الموحى؛ لأنه في غايةِ الإحكام، ثم خوطبَ النبيُّ ﷺ، والمرادُ غيرُه بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا﴾ تلومُ نفسَكَ ﴿مَّدۡحُورًا﴾ مُبْعَداً عن الخيرِ.

***

﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ٤٠﴾.

[٤٠] ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾ أَخصَّكُم أيها المشركونَ ﴿رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ لأنهم كانوا يقولون: الملائكةُ بناتُ اللهِ، والهمزةُ في (أَفَأَصْفَاكُمْ) للإنكارِ.

﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا﴾ بإضافتِكم الأولادَ إليه، وبتفضيلِ أنفسِكم عليه.

***

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ٤١﴾.

[٤١] ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ نوَّعْنا القولَ ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لِيَذْكُرُوا) بسكونِ الذالِ وضمِّ الكافِ مخفَّفاً؛ من الذكرِ بعدَ النسيان، وقرأ الباقونَ: بفتحِ الذالِ والكافِ مع تشديدِهما[1]، من التذكُّرِ: التدبُّرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، =

﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ تصريفُنا ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴾ عن الحقِّ.

***

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ قُل ﴾ قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ المشركين: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَقُولُونَ) بالغيبِ على أنَّ الخطابَ معَ الرسولِ ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب[1]؛ أي: كما تقولونَ أيُّها المشركونَ.

﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ ﴾ أي: طلبوا، يعني: الآلهةُ.

﴿ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: صاحبِ العرشِ.

﴿ سَبِيلًا ﴾ طريقاً ليغالبوهُ ويقهروهُ؛ كفعلِ ملوكِ الدنيا بعضِهم ببعضٍ.
قرأ أبو عمرٍو: (ذِي الْعَرْش سَّبِيلاً) بإدغامِ الشينِ في السينِ[2].

***

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ:

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٤).

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، وذكر أنه لم يقع في القرآن إدغام شين في سين إلا في هذا؛ من أجل زيادة الشين بالتفشّي، وينظر: «معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٤).

(تقُولُونَ) بالخطابِ، والباقون: بالغيبِ[1] ﴿عُلُوًّا﴾ تعالياً.

﴿كَبِيرًا﴾ متباعِداً عما يقولونَ.

* * *

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: تُنَزِّهُهُ السمواتُ والأرضُ ومَنْ فيهنَّ من الملائكةِ والإنسِ والجنِّ عن هذهِ المقالةِ التي لكم، والاشتراك الذي أنتم بسبيلهِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (يُسَبِّحُ) بالياءِ على التذكيرِ؛ لقيامِ (لهُ) مقامَ تاءِ التأنيثِ؛ ولأن تأنيثَ (السمواتِ) غيرُ حقيقيٍّ، وقرأ الباقون: بالتاء مؤنثاً على اللفظ، والقراءتان حسنتان[2].

﴿وَإِن﴾ أي: وما ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من حيٍّ وجمادٍ حتى صريرُ البابِ ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: ينزِّهُ اللهَ ويحمَدُهُ ويمجِّدُه ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ تفهمونَ ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليسَ بلغتِكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ فلذلكَ أمهلَكُم ﴿غَفُورًا﴾ لمن تابَ منكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٥).

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] وكانَ المشركونَ يؤذون النبيَّ ﷺ مصلِّياً، وجاءتْ أُمُّ لهبٍ بحجرٍ لترضخَ به رأسَه، فلم ترَهُ، فنزل: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا ﴾[١] على قلوبهم عن الفهم ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ ساتراً.

***

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطيةً؛ كراهةَ.

﴿ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ صَمَماً يمنعُهم عن استماعِه.

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ ﴾ غيرَ مشفوعٍ به آلهتُهم ﴿ وَلَّوْا۟ ﴾ رجعوا.

﴿ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ جمعُ نافرٍ؛ أي: نافرينَ. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ من روايةِ الدوريِّ: (أَدْبَارِهِمْ) بالإمالةِ، واختلفَ عن ابنِ ذكوانَ، ورُوِيَ عن ورشٍ، وحمزةَ بينَ اللفظينِ، وقرأ الباقونَ: بإخلاصِ الفتحِ[٢].

***

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٥).

[٤٧] ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ بسببِه ولأجله؛ من الهزءِ بكَ وبالقرآنِ.

﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ وأنتَ تقرأُ القرآنَ ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ جمعُ نَجِيٍّ، وهم القومُ يتناجَوْن يتحدَّثون.

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ المشركونَ، وهم الوليدُ بنُ المغيرةِ وأصحابهُ.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ شَبَّهوا الخيالَ الذي عندَه بزعمِهم، وأقوالَه الوخيمةَ برأيهم بما يكونُ من المسحورِ الذي قد خبَّلَ السحرُ عقلَه، وأفسدَ كلامَه.

* * *

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمدُ ﴿ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ مَثَّلوكَ بالشاعرِ والساحرِ والكاهنِ والمجنونِ. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في ضَمِّ التنوينِ وكسرِه عندَ قولِه: (مَحْظُوراً انْظُرْ)، وكذلك اختلافُهم في قوله: (مَسْحُوراً انْظُرْ).

﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾ في جميعِ ما نَسبوه إليكَ.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لا يجدونَ ﴿ سَبِيلًا ﴾ إلى الهدى، أو إلى إفسادِ أمرِك وإطفاءِ نورِ اللهِ فيكَ بضربِهم الأمثالَ لكَ، واتِّباعِهم كلَّ حيلةٍ في جهتِك.

* * *

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ تعجُّباً وإنكاراً للبعثِ، واستبعاداً له:

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا ﴾ وهو ما مرَّ عليهِ الزمنُ حتى إنه بلغَ به غايةَ البِلى وَقرَّبه من عالمِ الترابِ.

﴿ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ تلخيصُه: قالوا: حياتُنا بعدَ الموتِ محالٌ. واختلافُ القراء في (أَإِذا) (أَإِنا) كاختلافِهم فيهما في سورة الرعدِ.

* * *

﴿ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ ﴾.

[٥٠] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ جواباً لهم تعجيزاً وتوبيخاً ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾.

* * *

﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ ﴾.

[٥١] ﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ أي: يعظُم في نفوسِكم؛ كالسمواتِ والأرضِ مما لم يقبلِ الحياةَ إن استطعتم هذه الأشياءَ، ثمَّ انظروا بأدلَّةِ العقلِ هل نحن قادرونَ على جعلِ الروحِ فيه؛ لأنا أوجدناكم، ثم أحييناكم، فلا يمتنعُ علينا إيجادُنا الروحَ.

﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ استبعاداً ﴿ مَن يُعِيدُنَا ﴾ بعدَ الموتَ؟

﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ ﴾ أنشأَكُم ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فإنَّ القادرَ على الإنشاءِ قادرٌ على الإعادةِ ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ أي: يحرِّكونَ.

﴿ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ ﴾ استهزاءً بك.

﴿ مَتَى هُوَ ﴾ أي: الإعادةُ والبعثُ.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريبٌ؛ لأنَّ (عَسَى) من اللهِ واجبٌ، نظيرُه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الشورى: ١٧].

* * *

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ﴾ تقديرُه: يعيدُكم يومَ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ من قبورِكم بالنفخةِ الآخرةِ ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتُجيبون ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ بأمرِه، وقيلَ: تُبعثونَ من قبورِكم طائعينَ حامِدين.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا، وفي القبورِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن الإنسانَ لو مكثَ ألوفاً من السنينَ في الدنيا وفي القبر، عُدَّ ذلكَ قليلاً في مدةِ القيامةِ والخلودِ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (لَبِثْتُمْ) و(لَبِثْت) بإظهارِ الثاءِ عندَ التاءِ حيثُ وقعَ، والباقون: بالإدغام[(١)]، وروي عن أبي جعفرٍ: (فَسَيُنْغِضُونَ) بإخفاءِ النونِ عندَ الغينِ، ورُوي عنهُ الإظهارُ، وهو أشهرُ، وتقدَّمَ ذكرُ مذهبِه في ذلك مستوفىً في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: (إِن يَكُنْ غَنِيّاً).

* * *

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٦).

[٥٣] وكانَ المشركونَ يؤذونَ المسلمينَ، فشكَوْا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾[١] المؤمنينَ ﴿يَقُولُوا۟﴾ للكافرينَ الكلمةَ ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهو ألاَّ يكافئوهم على أذاهُم، ويقولوا لهم: يَهديكم اللهُ، وسببُ الآيةِ أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه شَتَمَهُ بعضُ الكفرةِ، فشتمَهُ عمرُ، وهَمَّ بقتلِه، فكادَ أن يثيرَ فتنةً، فنزلتِ الآيةُ[٢]، وهذا نُسخ بآيةِ السيفِ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ﴾ يفسِدُ ويهيجُ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ المراءَ والشرَّ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ظاهرَ العداوة.

* * *

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ خطابٌ لكفارِ مكةَ ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ يوفِّقْكُم فتؤمنوا ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ يُمِتْكُم على الشركِ فَتُعَذَّبوا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حَفيظاً وكَفيلاً، قيل: نُسِخَتْ بآيةِ القتالِ.

* * *

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو عالمٌ بهم وبأحوالِهم.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٤).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ففضلَ إبراهيمَ بالخلَّةِ، وموسى بالتكليمِ، ومحمداً بالمعراجِ.

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ تفضيلاً لهُ، كانَ زبورُ داود مئةً وخمسينَ سورةً ليسَ فيها حلالٌ ولا حرامٌ، بل تمجيدٌ وتحميدٌ، ودعاءٌ، صلواتُ اللهِ تعالى وسلامُه عليهم أجمعينَ، وهذا خطابٌ مع الذينَ يعترفون بتفضيلِ الأنبياءِ، المعنى: إذا اعترفْتُم بتفضيلِهم، فلِمَ تنكرونَ فضلَ محمدٍ ﷺ، وهو واحدٌ منهم. قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (زُبُوراً) بضمِّ الزاي، والباقون: بفتحها[1].

* * *

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ونزلَ فيمن عبدَ غيرَ اللهِ تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنَّهم أولياؤكم.

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: دونِ اللهِ؛ ليكشفوا عنكم البلاءَ والضرَّ، وذلكَ أن المشركينَ أصابَهم قحطٌ شديدٌ، حتى أكلوا الكلابَ والجِيَفَ، فاستغاثوا بالنبيِّ ﷺ ليدعوَ لهم، فنزلت. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (قُلِ ادْعُوا) بكسرِ اللامِ في الوصلِ، والباقون: بالضمِّ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٧)، ورويت عن الكسائي بضم اللام.

﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾ القحطِ والجوعِ ﴿عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ لكم من العسرِ إلى اليسرِ.

* * *

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ أي: الأنبياءُ المذكورونَ في أولِ الآيةِ في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يتضرَّعونَ ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبونَ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ القربةَ إليه ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ إلى رحمةِ اللهِ تعالى، يبتغي الوسيلةَ إليهِ بصالحِ الأعمال.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ وأكبرُهم عيسى وأمُّه، وعزيرٌ، والملائكةُ، والشمسُ، والقمرُ والنجومُ، وما عُبِدَ من دونِ اللهِ، وهو مطيعٌ لله، وقيلَ غيرُ ذلكَ.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ لا أمانَ لأحدٍ منه، بل يحذَرُه كلُّ مَلَكٍ مقرَّبٍ، ونبيٍّ مرسَلٍ لشدتِه.

* * *

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] رُوي أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ يوماً على أصحابِه، فقال: «هَلْ

تَدْرُونَ مَا يُخَرِّبُ الْقُرَى؟»، قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «أَعْمَالُ السُّوءِ فَاجْتَنِبُوهَا»، وتلا: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالموتِ والاستِئْصالِ.

﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتلِ وأنواعِ العقابِ إنْ لم يؤمنوا.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ في اللوحِ المحفوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

* * *

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ أي: وما صرَفَنا.

﴿أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ التي اقترحَتْها قريشٌ.

﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الذين أمثالُهم في الطبعِ؛ كعادٍ وثمودَ؛ لأنَّ سنةَ اللهِ فيمَنْ تقدَّمَ أنه كانَ إذا أُتِيَ بآيةٍ فلم يؤمنْ أن يهلِكَهُ، وكان تعالى قد حكمَ بإمهالِهم لإتمامِ أمرِ محمدٍ ﷺ، فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ بيِّنَةً واضحةً ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: جحَدوا بها أنها من عندِ اللهِ، فعاجلناهم بالعقوبةِ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ المعجزاتِ ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعبادِ؛ ليؤمنوا.

* * *

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) ﴾ .

[٦٠] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ ﴾ أي: واذكرْ وقتَ إيحائِنا إليك.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ علمَ بمكرِهِمْ بكَ، فهو حافِظُكَ منهم، فأَمْضِ أمرَكَ، ولا تَخَفْ أحداً.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴾ ليلةَ الإسراءِ ﴿ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ أي: اختباراً ﴿ لِلنَّاسِ ﴾، وتقدَّمَ الكلامُ على ذلكَ في أولِ السورةِ عندَ ذكرِ قصةِ المعراجِ. قرأ الكسائيُّ، وخَلَفٌ: (الرُّؤْيا) بالإمالةِ في الوقف فقطْ[١].

﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾ أي: الملعونَ آكلُها، وهي المذكورةُ.

﴿ فِي الْقُرْءَانِ ﴾ وهي الزقُّوم، وقولُه: (وَالشَّجَرَةَ) عطفٌ على قولِه: (الرُّؤْيا)؛ أي: جعلْنا الرؤيا والشجرةَ فتنةً، فكانتِ الفتنةُ في الرؤيا ما تقدَّمَ في قصةِ المعراجِ من ارتدادِ كثيرٍ ممَّنْ أسلمَ، والفتنةُ في الشجرةِ الملعونةِ أنه لما نزلَ أمرُها في سورةِ الصافات، قالَ أبو جهلٍ وغيرُه: هذا محمدٌ يتوعَّدُكم بنارٍ تحرقُ الحجارةَ، ثم يزعُمُ أنها تُنبت الشجرَ، وقد علمتُم أن النارَ تحرقُ الشجرَ، وما نعرفُ الزقُّوم إلا التمرَ بالزُّبْدِ، ثم أمرَ أبو جهلٍ جاريةً له فأحضرَتْ تمراً وزُبْداً، وقال لأصحابه: تزَقَّموا، فافتتن أيضاً بهذهِ المقالةِ بعضُ الضُّعفاءِ، فأخبرَ اللهُ نبيَّه أنما جعلَ الإسراءَ وذكرَ شجرةِ الزقوم

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٨).

فتنةً واختباراً؛ ليكفرَ مَنْ سبقَ عليهِ الكفرُ، ويصدِّقَ مَنْ سبقَ عليه الإيمانُ[1]، كما رُويَ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه ما سبقَ ذكرُه في قصةِ المعراجِ، قالَ الكواشيُّ رحمه الله: لو نظرَ، يعني: أبا جهلٍ، النظرَ الصحيحَ، لما استبعدَ ذلك؛ لأنه يمكنُ وجودُ جسمٍ لطيفٍ في النارِ لا يحترقُ كالسَّمَنْدَرِ وَبْرُ دُوَيْبَةٍ تكونُ ببلادِ التركِ لا تؤثرُ فيهِ النارُ، وتُتَّخَذُ منهُ مناديلُ، فإذا اتَّسَخَت المنديلُ، أُلقيتْ في النارِ، فيذهبُ الوسخُ ويبقى المِنْديل، وأعجبُ من ذلكَ أكلُ النَّعامِ النارَ والحديدَ المحمَّى، انتهى.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواعِ التخويفِ ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفُنا.

﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ تمرُّداً وعُتُوّاً عظيماً.

* * *

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أي: واذكرْ إذْ قُلْنا ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي: خلقتَهُ من طينٍ، ونُصِبَ بنزعِ الخافضِ، وقاسَ إبليسُ في هذهِ النازلةِ فأخطأَ، وذلك أنه لما رأى الفضيلةَ لنفسِه من حيثُ رأى أن النارَ أفضلُ من الطين، وجهلَ أنَّ الفضائل في الأشياءِ إنما تكونُ حيثُ خَصَّها الله تعالى، ولا يُنْظَرُ إلى أُصولِها. واختلافُ القراءِ في: (أَأَسْجُدُ) كاختلافِهم في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ في سورةِ البقرةِ [الآية: ٦]، وتقدَّمَ مذهبُ أبي جعفرٍ في ضمِّ التاءِ من قولِه (لِلْمَلَائِكَةُ اسْجُدُوا) في سورةِ البقرةِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥).

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ولما أُمِرَ الخبيثُ بالسجودِ لآدمَ ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ ﴾ أَخْبِرْني عن.

﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ ﴾ أي: فَضَّلْتَ، لِمَ فَضَّلْتَهُ ﴿ عَلَىَّ ﴾ وأنا خيرٌ منه، وتمَّ سؤالُ الخبيثِ، ثم ابتدأ آتياً باللامِ الموطِّئَةِ للقسَمِ المحذوفِ فقال:

﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أثبتَ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ: الياءَ في (أَخَّرْتَنِي) وَصْلاً، وأثبتَها يعقوبُ وَصْلاً ووَقْفاً، وحذفها الباقونَ في الحالين[١].

﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ﴾ لأستأصِلَنَّ ﴿ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ بالإغواءِ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم، وهم المستثنَوْنَ بقولِه: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

* * *

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ اللهُ تهديداً له، وتحذيراً منه؛ لئلاَّ يُطاعَ:

﴿ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ من الإنسِ.

﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ ﴾ على صنيعِكم ﴿ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ موفراً مُكَمَّلاً. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلادٌ، وحمزةُ: (اذْهَب فَّمَنْ) بإدغامِ الباءِ في الفاء، والباقون: بالإظهار[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٢٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ ﴾ اسْتَخِفَّ واسْتَزِلَّ ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم ﴾ يعني: من ذريةِ آدمَ ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾ أي: بالوسوسةِ.

﴿ وَأَجْلِبْ ﴾ اجمعْ ﴿ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ جمع راجل، المعنى: اجهدْ جهدَكَ، واجمعْ عليهم مكرَكَ وحيلَكَ ما أمكنَكَ، فلن أعجزَ عن منعِك ومنعِهم إذا شئتُ، قال أهلُ التفسير: كلُّ راكبٍ وماشٍ في معاصي الله فهو من جُنْدِ إبليسَ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (وَرَجِلِكَ) بكسر الجيم، والباقون: بإسكانِها، وهما لغتان(١).

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾ المحرَّمَةِ؛ كالربا والغُصوب ﴿ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ من الزنى، وما كانوا يَئِدونَهُ من البناتِ، ويُهَوِّدونه ويُمَجِّسونه ويُنَصِّرونه من أولادِهم.

﴿ وَعِدْهُمْۚ ﴾ بما لا يتمُّ لهم، وبأنهم غَيْرُ مبعوثينَ، فهذهِ مشاركَةٌ في النفوسِ.

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطِلاً؛ لأنه لا يُغْني عنهم شيئاً.

***

= الجزري (٢/ ٨ـ٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٠).

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ يعني : المخلَصينَ ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : على إغوائِهم ﴿ سُلْطَٰنٌ ﴾ قدرةٌ ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ حافِظاً لمن اعتمدَ عليه .

***

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى ﴾ يسوقُ .

﴿ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ لتطلبوا من رزقِه .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ حيثُ هَيَّأَ لكم ما تحتاجونَ إليه ، وسَهَّلَ عليكم ما يَعْسُرُ من أسبابِه .

***

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ خوفَ الغرقِ .

﴿ ضَلَّ ﴾ ذهبَ عن أوهامِكم .

﴿ مَن تَدْعُونَ ﴾ من الآلهةِ ﴿ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ فلا تدعونَ في ذلكَ الوقتِ سواهُ .

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ ﴾ من الغرقِ ﴿ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ عن الإيمانِ .

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ للنعمِ ، والإنسانُ هنا للجنسِ ، وكلُّ واحدٍ لا يكادُ يؤدِّي شكرَ اللهِ كما يجبُ .

***

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ أَفَأَمِنتُمْ ﴾ الهمزةُ للإنكار، والفاءُ للعطفِ على محذوفٍ؛ أي: نجوتُم من البحرِ، فَأَمِنْتُمْ ﴿ أَن يَخْسِفَ ﴾ نُغَوِّرَ.

﴿ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ ناحيتَهُ عن الأرضِ؛ كقارونَ.

﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ ريحاً عاصِفاً ترمي بالحصباءِ، وهي الأحجارُ الصغارُ.

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ مَنْ يَتَوَكَّلُ بصرفِ ذلكَ عنكم.

* * *

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾ أي: في البحرِ ﴿ تَارَةً ﴾ مرةً.

﴿ أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ ريحاً شديدةً تقصفُ الشجرَ.

﴿ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ أي: تابعاً مطالباً بالثأر. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (أَنْ نَخْسِفَ) (أَوْ نُرْسِلَ) (أَنْ نُعِيدَكُمْ) (فَنُرْسِلَ عَلَيْكُمْ) (فَنُغْرِقَكُمْ) بالنونِ في الخمسة؛ لقوله: (عَلَيْنَا)، **وقرأ** الباقون: بالياءِ، سوى أبي جعفرٍ ورويسٍ في قوله: (فَنُغْرِقَكُمْ) لقوله: (إِلاَّ إِيَّاهُ)، **وقرأ** أبو جعفرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (فَتُغْرِقَكُمْ) بالتاء على التأنيث، يعني: الريحَ، ورُوِيَ عن أبي جعفرٍ وجهٌ ثانٍ: (فَتُغَرِّقَكُمْ) بفتحِ

الغينِ وتشديدِ الراءِ[1]، وقرأ أبو جعفرٍ: (الرِّيَاحَ) على الجمعِ، والباقون: على التوحيد[2].

* * *

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ۝٧٠﴾.

[٧٠] ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ جعلْنا لهم شَرَفاً وفَضْلاً، وهذا هو كرمُ نفيِ النقصانِ، لا كرمُ المالِ، قالَ ابنُ عباسٍ: «هو أنَّهم يأكلونَ بالأيدي، وغيرُ الآدميِّ يأكلُ بفيهِ منَ الأرضِ»[3].

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدوابِّ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السُّفُنِ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ لذيذِ المطاعمِ والمشاربِ.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا﴾ وظاهرُ الآيةِ أن فضلَهم على كثيرٍ ممن خلقه، لا على الكُلِّ، وقال قومٌ: فُضِّلوا على جميعِ الخلقِ إلاَّ على الملائكةِ، وقيلَ: إلاَّ على جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ وملكِ الموتِ وأشباهِهم، وفي تفضيلِ الملائكةِ على البشرِ اختلافٌ، والتفضيلُ حقيقةً لا يعلمُه إلا الله ومن شاءَ من خلقِه، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قوله

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٠-٣٣٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٩٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيَّان (٦/ ٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (ص: ٦٩٦).

تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [الآية: ٣١] أنَّ مذهبَ أهلِ السنةِ أنَّ الأنبياءَ أفضلُ من الملائكةِ، وإنْ كانوا رُسُلاً.

* * *

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي: واذكرْ يومَ.

﴿ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ أي: بمنِ ائْتمُّوا به من نبيٍّ وغيرِه.

﴿ فَمَنْ أُوتِىَ ﴾ من المدعُوِّينَ ﴿ كِتَٰبَهُۥ ﴾ أي: كتابَ عملِه.

﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وهمُ السعداءُ.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ ﴾ أي: ما فيه من الحسناتِ، ولم يذكرِ الأشقياءَ، وإنْ كانوا يقرؤون كتبَهم أيضاً؛ لأنهم إذا قرؤوا ما فيها، لم يُفْصِحوا به؛ خوفاً وحياءً، بخلافِ السعداءِ، فإنهم يقرؤون كتبَهم ظاهراً مشهوراً ويُقْرِئُونها غيرَهم سُروراً ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: جميعُ المدعوِّينَ ﴿ فَتِيلًا ﴾ وهو ما في شقِّ النواةِ طولاً، وتقدَّم في سورةِ النساءِ.

* * *

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ ﴾ الدنيا ﴿ أَعْمَىٰ ﴾ عن الهدايةِ ﴿ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ عن إثباتِ الحجَّةِ ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أَخْطَأُ طريقاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (أَعْمَى) بالإمالةِ في الحرفينِ؛ لأن أَلِفَها طرفٌ؛ لأنها بمعنى عامٍ، وهو من عَمَى

القلبِ، وافقَهم أبو عمرٍو ويعقوبُ في إمالةِ الأولِ، وفتحا الثانيَ، جَعلاهُ من أفعلِ التفضيل؛ لأن أفعلَ التفضيلِ يتصل بـ(من)، فصارتْ ألفُه وَسَطاً كألفِ (أَعْمَالكم)، فلم يمل، وقرأ الباقون: بفتحِهما على الأصلِ[1].

***

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ولما طلَب المشركونَ من النبيِّ ﷺ أن يجعلَ آيةَ رحمةٍ مكانَ آيةِ عذابٍ، وبالعكسِ، وأن يستلمَ آلهتَهم، وأن يطردَ الضعفاءَ والمساكينَ عنه، وأطمعوه في إسلامِهم، قالوا: فمالَ إلى بعضِ ذلكَ بخطراتِ القلبِ مما لا يمكن دفعُه، ولم يكنْ عَزْماً؛ كَهَمِّ يوسفَ، والقولُ فيهما واحدٌ، وقد عفا الله عن حديثِ النفسِ، فنزل:

﴿وَإِن كَادُواْ﴾[2] المعنى: إن الشأنَ قاربوا.

﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ لَيَصْرِفونَكَ بخدْعِهم.

﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآنِ ﴿لِتَفْتَرِىَ﴾ لتتقوَّلَ ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا﴾ لو فعلْتَ ما طلبوا منكَ ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ صديقاً.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٣).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥).

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ .

[٧٤] ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحقِّ بعصمتِنا إياكَ .

﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ المعنى : لَقاربتَ أن تسكُنَ إلى قولهم .

﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ دليلٌ على أنه ﷺ عُصِمَ ولم يَرْكَنْ إليهم في شيءٍ ما ، فبعدَ أن عصمَه خاطبَه تحذيراً لغيره ، وتقديره : ولو رَكَنْتَ .

***

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ .

[٧٥] ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي : عذابِ الدنيا .

﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ في الآخرةِ ؛ أي : لعذبناك عذاباً مضاعَفاً في الدارينِ .

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانِعاً يمنعُ عنكَ عذابَنا .

***

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ .

[٧٦] ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ لينتزعونَكَ بسرعةٍ .

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ من أرضِ المدينةِ ، قالتْ له اليهودُ : ما المدينةُ بأرضِ الأنبياءِ ، إنما أرضُهم الشامُ ، وهي الأرضُ المقدسةُ ، ولكنك تخافُ الرومَ ، فإن كنتَ نبياً ، فاخرجْ إليها ؛ فإن اللهَ سيحميكَ كما حَمَى غيرَكَ من الأنبياءِ ، فنزلتِ الآيةُ .

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾[1] ولو خَرَجْتَ، لا يَبْقَوْنَ بعدَ خروجِك.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بعدَ إخراجك كُنَّا نُهْلِكُهم. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (خَلْفَكَ) بفتحِ الخاءِ وإسكانِ اللامِ من غيرِ ألفٍ، وقرأ الباقون: (خِلَافَكَ) بكسرِ الخاءِ وفتحِ اللامِ وألفٍ بعدَها، ومعناهما واحدٌ[2].

* * *

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] ﴿سُنَّةَ﴾ نصبُ مصدرٌ ﴿مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: هذه سنتُنا أنَّ الأممَ إذا أَخْرجوا نبيَّهم، أو قتلوهُ، أُهْلِكوا.

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾ لعادتِنا ﴿تَحْوِيلًا﴾ تغييراً.

* * *

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ ميلِها من الزوالِ إلى الغروبِ، فيتناولُ صلاةَ الظهرِ والعصرِ ﴿إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾ ظلامِه، يتناولُ المغربَ والعشاءَ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٤)، وفيها أن قراءة ابن عامر: «خلافك».

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ صلاةَ الصبحِ، سُمِّيت قرآناً؛ لأن القرآنَ هو عُظْمُها؛ إذْ قراءتُها طويلةٌ مجهورٌ بها ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ تشهدُه ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ إذا صَعِدَ هؤلاءِ ونزلَ هؤلاءِ.

***

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي: وعليكَ صلاةُ بعضِ الليلِ.

﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآنِ، والتهجُّدُ لا يكونُ إلا بعدَ النومِ.

﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ زيادةً على الفرائضِ، وكانتْ صلاةُ الليلِ فَرْضاً على النبيِّ ﷺ وعلى أُمَّتِه، فَنُسِخَ في حقِّ أمتِهِ بالصلواتِ الخمسِ، وبقيَ الوجوبُ في حقِّهِ، وذهبَ قومٌ إلى أنَّ الوجوبَ نُسِخَ في حقِّه كأمتِهِ.

﴿ عَسَىٰٓ ﴾ من اللهِ واجبٌ، لأنه لا يدعُ أن يعطيَ عبادَه أو يفعلَ بهم ما أَطمَعَهم فيه.

﴿ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ ﴾ يومَ القيامةِ فيقيمَك.

﴿ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ هو مقامُ الشفاعةِ، يَغْبطُهُ به الأولونَ والآخِرون؛ لأنَّ كلَّ مَنْ قُصِدَ من الأنبياءِ للشفاعةِ يحيدُ عنها، ويُحيلُ على غيرِه حتى يأتوا محمداً ﷺ للشفاعة، فيقول: «أَنَا لَهَا»[١]، ثم يشفعُ، فَيُشَفَّعُ فيمن كانَ من أهلِها.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٧٢)، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب ـ عز وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (١٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ المدينةَ ﴿ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ مكةَ، المعنى: حيثُما أدخلْتَني وأخرجْتَني فليكنْ بالصدقِ مِنِّي، ولا تجعلْني ذا الوجهينِ؛ فإن ذا الوجهينِ لا يجوزُ أن يكونَ أميناً، نزلتْ حينَ أُمِرَ النبيُّ ﷺ بالهجرةِ(١).

﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ حجةً تنصرُني على المخالِف.

* * *

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ الإسلامُ ﴿ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ ﴾ بطلَ الكفرُ.

﴿ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ هالِكاً عند مجيءِ الإسلام.

* * *

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: بإسكانِ النونِ الثانيةِ، وتخفيفِ الزاي، والباقون: بفتحِ النونِ وتشديدِ الزاي(٢).

﴿ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾ للقلوبِ من الضلالة، و(مِنْ) يصحُّ أن تكونَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٥).

لابتداءِ الغايةِ، ويصحُّ أن تكونَ لبيانِ الجنسِ؛ كأَنه قال: ونُنْزِلُ ما فيه شفاءٌ من القرآنِ، قال ابنُ عطية: وأنكرَ بعضُ المتأوِّلينَ أن تكونَ (من) للتبعيضِ؛ لأنه تحفَّظَ من أن يلزمَه أن بعضَهُ لا شفاءَ فيه، وليس يلزمُه هذا، بل يصحُّ أن تكونَ للتبعيضِ بحسبِ أنَّ إنزالَه إنما هو مبعَّضٌ؛ كأنه قالَ: (وننزلُ من القرآنِ) شيئاً شيئاً (ما) فيهِ كلّه (شفاءٌ)، واستعارةُ الشفاءِ للقرآنِ هو بحسبِ إزالتهِ للريبِ، وكشفِهِ غطاءَ القلبِ لفهمِ المعجزاتِ والأمورِ الدالةِ على الله تعالى المقررة لشرعه، انتهى[1].

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنه سببُ الرحمة.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ نَقْصاً؛ لأنهم يُنكرونَ القرآنَ فيخسرونَ.

***

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] ونزلَ فيمنْ كان يدعو ويلجأُ إلى اللهِ في البلاءِ، ويتركُ ذلكَ في الرخاء: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بِسَعَةِ الرزقِ وكشفِ البلاءِ ﴿أَعْرَضَ﴾ وَلَّى عن التضرُّعِ.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ بَعُدَ بناحيتِهِ، كأنه مستغنٍ مستبدٌّ بأمرِه. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (وَنَاءَ) بهمزةٍ بعدَ الألفِ، مثل فاعَ وجاءَ من النَّوْءِ، وهو النهوضُ والقيامُ، والباقون: يجعلونَ الهمزةَ قبلَ الألفِ[2]،

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

وأمالَ الكسائيُّ وخلفٌ لنفسِه، وعن حمزةَ فتحة النونِ والهمزةِ، وأمال أبو بكرٍ عن عاصمٍ، والسوسيُّ عن أبي عمرٍو بخلافٍ عنه، وخلادٌ عن حمزةَ فتحَ الهمزةِ فقط، وفتحوا النونَ، وقرأ الباقون: بفتحِ النونِ والهمزةِ على وزنِ نَعَى(1).

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الشدةُ والبلاءُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ شديدَ القنوطِ من رحمةِ اللهِ تعالى.

***

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ طريقتِهِ.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أوضحُ طريقاً.

***

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] روى عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: أنه كانَ مع رسولِ الله ﷺ، فمرَّ على حرثٍ بالمدينةِ، وإذا فيه جماعةٌ من اليهودِ، فقالَ بعضُهم لبعضٍ: سلوهُ عن الرُّوحِ، فإن أجابَ فيه، عرفتم أنه ليسَ بنبيٍّ، وذلكَ أنه كانَ عندَهم في التوراةِ أنَّ الروحَ مما انفردَ اللهُ تعالى بعلمِه، ولا يُطْلع عليه أَحَداً من عبادِه، قال ابنُ مسعودٍ: وقالَ بعضُهم: لا تسألوه؛ لئلاَّ يأتيَ فيه بشيء تكرهونه،

= (٢/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٥-٣٣٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، والمصادر السابقة.

قال: فسألوهُ، فوقفَ رسولُ الله ﷺ متوكئاً على عسيبٍ، فظننتُ أنه يُوحَى إليه، ثم تلا عليهم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾(١).

قال الجمهور: وقعَ السؤالُ عن الأرواحِ التي في الأشخاصِ الحيوانيةِ ما هي؟ فالروحُ اسمُ جنسٍ على هذا، وهو الشكلُ الذي لا تفسيرَ له، وفسرَها جمهورُ المتكلمين بجسمٍ لطيفٍ مشتبكٍ بالبدنِ اشتباكَ الماءِ بالعودِ الأخضرِ، وقال كثيرٌ منهم: إنها عَرَضٌ، وهي الحياةُ التي صارَ البدنُ بوجودها حَيّاً، قالَ السَّهْرَوَرْدِيُّ: ويدلُّ للأول وصفُها في الأخبارِ بالهبوطِ والعُروج والتردُّدِ في البرزخ، وقيل: هو جبريلُ، أو ملكٌ أعظمُ منهُ ومن جميعِ الملائكة، وقيل: عيسى عليه السلام، وقيلَ: القرآنُ، قالَ ابنُ عطيةَ: والأولُ أظهرُها وأصوبُها(٢)، قال الكواشيُّ: واختلفوا فيه، وفي ماهيته، ولم يأتِ أحدٌ منهم على دعواهُ بدليلٍ قطعيٍّ، غيرَ أنه شيءٌ بمفارقتهِ يموتُ الإنسانُ، وبملازمته له يبقى.

ثم أومأ تعالى إلى تعذُّرِ معرفتهِ حقيقةً بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي: من علمِه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ أيُّها المؤمنونَ والكافرونَ.

﴿مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ في جنبِ علمِ اللهِ تعالى، فالخطابُ في هذا لجميعِ العالَم، وهو الصحيحُ.

وحُكِيَ أن عظيمَ الرومِ كتبَ إلى أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه يسألهُ عن الروحِ، فكتب لهُ الإمامُ عمرُ الآيةَ الشريفة

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾، ومسلم (٢٧٩٤)، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٨٢).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ إلى آخرها، فأرسلَ عظيمُ الرومِ إليه أنَّ هذا الجوابَ لا يَكْفيني، وإنما أريدُ جواباً أفهمُه، فقال الإمام عمرُ: «لا أعرفُ غيرَ ذلك»، وكان ذلكَ بحضورِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، فاستأذنَ الإمامُ عمرُ في ردِّ جوابِ عظيمِ الرومِ، فأذِنَ له، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، الروحُ لطيفةٌ ربانيةٌ، نزلَتْ من الخزائنِ الرحمانية، أُودِعَتْ في الهياكلِ الجثمانيةِ، ضَمِنَ لها رزقَها، وجعلَها عندكَ رَهْناً، فإذا وفى بما ضَمِنَ، أَخذَ ما رَهَنَ»، انتهى.

***

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآنِ كما منعْنا علمَ الروحِ عنكَ وعن غيرِكَ، اللامُ في (لَنَذْهَبَنَّ) جوابُ قسمٍ محذوفٍ مع نيابتِه عن جزاءِ الشرطِ، تقديرُه: واللهِ إنْ شِئْنا ذَهَبْنا بالقرآنِ، ومَحَوْناهُ من الصدورِ والمصاحِف.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: من يتوكَّلُ بردِّ القرآن إليك.

***

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

[٨٧] ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ استثناء منقطع، أي: لكن لا نشاء ذلك.

﴿مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ كإنزالِه عليكَ، وإبقائِه في حفظِك.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾.

[٨٨] ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ متظاهرين.

﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في البلاغةِ والإعجازِ.

﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ لا يقدِرون على ذلكَ.

﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ مُعيناً، نزلتْ حينَ قالَ الكفار: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]، فكذَّبهم الله عز وجل(١)؛ لأنه في أعلى طبقاتِ البلاغةِ، لا يشبهُ كلامَ الخلقِ؛ لأنه غيرُ مخلوقٍ، ولو كانَ مخلوقاً، لأتَوا بمثلِه.

* * *

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾.

[٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيَّنّا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كلِّ معنى هو كالمثلِ في غرابتِه ووقوعِه مَوْقِعاً في الأنفس. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ: (وَلَقَد صَّرَّفْنَا) وشبهَه بإدغامِ الدالِ في الصادِ، والباقون: بالإظهار(٢).

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جُحوداً للحقِّ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٧١٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٧).

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: المشركون تعنُّتاً واقتراحاً بعدما ألزمَهم الحجةَ ببيانِ إعجازِ القرآنِ، وانضمامِ غيره من المعجزاتِ إليه.

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ يا محمدُ ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ عيناً ينبعُ منها الماءُ. قرأ أبو عمرٍو: (نُؤْمِن لَّكَ) بإدغامِ النونِ في اللامِ[1]، وقرأ الكوفيون، ويعقوبُ: (تَفْجُرَ) بفتحِ التاءِ وإسكانِ الفاءِ وضمِّ الجيمِ وتخفيفِها؛ لأنَّ الينبوعَ واحدٌ، وقرأ الباقونَ: بضمِّ التاءِ وفتحِ الفاءِ وكسرِ الجيمِ وتشديدِها؛ من التفجير، واتفقوا على تشديدِ قوله: (فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ) لأنها جمعٌ، والتشديدُ يدلُّ على التكثيرِ، ولقولِه: (تَفْجِيراً)[2].

***

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وَسْطَها ﴿تَفْجِيرًا﴾ تَشْقيقاً.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٧).

﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (كِسَفاً) بفتحِ السينِ جمعُ كِسْفِة؛ أي: قطعة، وقرأ الباقون: بالإسكانِ على التوحيد، جمعُه أكسافٌ وكسوفٌ[١].

﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ ضَميناً لصحةِ قولِكَ.

* * *

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ ذهبٍ ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ ﴾ تصعَدَ.

﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ لصعودِك.

﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ فيه تصديقُك.

﴿ قُلْ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: (قَالَ) بالألف إخباراً عن النبيِّ ﷺ، وكذا هو في مصاحفِ أهلِ مكةَ والشامِ، وقرأ الباقون: (قُلْ) بغيرِ ألفٍ على الأمرِ، وكذا هو في مصاحِفِهم؛ أي: قلْ يا محمدُ[٢]:

﴿ سُبْحَانَ رَبِّى ﴾ تنْزيهاً للهِ من أن يتحكَّمَ عليه، أو تعجُّباً من اقتراحاتِهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥-٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٩).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ أي: ما هذا في قوى البشرِ، وليسَ لبشرٍ ولا لرسولٍ الإتيانُ بشيءٍ منهُ إلا بإذنِ الله.

* * *

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: أهلَ مكةَ.

﴿ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ القرآنُ.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ ﴾ جهْلاً منهم: ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ ولم يبعثْ مَلَكاً؟ فلا نؤمنُ به.

* * *

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] فردَّ تعالى عليهم بقولِه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ كَمَشْيِ الإنسِ؛ أي: لو سكنَ الأرضَ ملائكةٌ، واستقرُّوا فيها.

﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ لأن رسولَ كلِّ قومٍ من جنسِهم؛ لأنَّ القلبَ إلى الجنسِ أميلُ منهُ إلى غيرِ الجنسِ.

* * *

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ أني رسولُه إليكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ يعلمُ أحوالَهم، فيجازيهم، فيه تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، وتهديدٌ للكفار.

***

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أثبتَ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو الياءَ في (المهتدي) وَصْلاً، ويعقوبُ في الحالينِ، وحذفَها الباقونَ فيهما[١].

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَهْدونهم.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يُسْحبون عليها في النار، قيلَ للنبيِّ ﷺ: كيفَ يمشونَ على وجوهِهِم؟ قالَ: «الَّذي أَمْشاهُمْ عَلَى أَقْدامِهِمْ قَادِرٌ أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ»[٢] ﴿عُمْيًا﴾ لا يُبْصرون ما يُقِرُّ أعينَهم ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقونَ بحجَّةٍ ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون ما يلتذُّونَ به.

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكنَ لهيبُها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٢)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ...﴾، ومسلم (٢٨٠٦)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: يحشر الكافر على وجهه، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾ تلَهُّباً واشتعالاً، فالزيادة في حَيِّزِهم، وأما جهنمُ، فعلى حالِها من الشدَّةِ لا يُصيبُها فُتورٌ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (خَبَت زِّدْنَاهُمْ) بإدغامِ التاءِ في الزاي، واختلِفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامر، وقرأ الباقون: بالإظهار(١).

* * *

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨ ﴾.

[٩٨] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴾ تقدَّمَ تفسيرُ نظيرِها، والتنبيهُ على مذاهبِ القراء فيها في السورةِ.

* * *

﴿ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩ ﴾.

[٩٩] فأجابهم اللهُ تعالى بقولِه: ﴿ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ في عظمها وشدَّتها.

﴿ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ﴾ في صغرِهم وضعفِهم.

﴿ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا ﴾ وَقْتاً لعذابِهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٩).

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أنه يأتيهم، وهو الموتُ أو القيامةُ.

﴿ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ عِناداً.

* * *

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ المعنى: لو مَلَكْتُم ﴿ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾ أي: رزقِهِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (رَبِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها[١].

﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ ﴾ لَبَخِلْتُم ﴿ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾ والفاقةِ.

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ ضَيِّقاً بخيلاً.

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: دلالاتٍ واضحاتٍ، وهي في قولِ جمهورِ المفسِّرين: بياضُ اليد، والعصا، والطوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، وحَلُّ عقدةٍ من لسانِه، وانفلاقُ البحرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٠).

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضي الله عنه: ثنا يزيد، أنبأ شعبةُ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ سلمةَ يحدِّثُ عن صفوانَ بنِ عَسَّالٍ المراديِّ، قال: قال يهوديٌّ لصاحِبِه: اذهبْ بنا إلى هذا النبيِّ حتى نسألَه عن هذهِ الآيةِ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ فقال: لا تقلْ له نبيٌّ، فإنه لو سمعَكَ، لصارتْ له أربعةُ أعينٍ، فسألاهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، ولا تَسْحَرُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلاَ تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحْصَناً، أو قال: ولا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ، شعبةُ هو الشاكُّ، وَأَنْتُمْ يَهُودُ عَلَيْكُمْ خَاصَّةً أَلاَّ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»، فقبَّلا يديهِ ورجليه، وقالا: نشهدُ أنكَ نبيٌّ، قالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتَّبِعَانِي؟»، قالا: إن داودَ عليه السلامُ دعا أن لا يزالُ من ذريتِه نبيٌّ، فإنا نخشى إنْ أسلَمْنا أن تقتلَنا يهودُ(1).

﴿فَسْـَٔلْ﴾ يا محمدُ مَنْ آمنَ من ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه؛ لتحتجَّ بهِ على مَنْ لم يؤمنْ. قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلْ) بالنَّقْلِ، والباقون: بالهمز(2).

﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ موسى. قرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (إذ جَّاءَهُمْ)

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (4/ 239)، والترمذي (2733)، كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء في قبلة اليد والرجل، وقال: حسن صحيح، وغيرهما.

(2) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (6/ 85)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: 276)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: 276)، و«معجم القراءات القرآنية» (3/ 340).

بإدغامِ الذالِ في الجيم، والباقون: بالإظهار[1].

﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ سُحِرْتَ، فتخبَّطَ عقلُكَ.

***

﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ ﴾: قرأ الكسائيُّ: (عَلِمْتُ) بضم التاء، يخبرُ عن نفسِه أنه ليسَ بمسحورٍ، وأنَّ ما جاء به حقٌّ، وقرأ الباقون: بفتح التاءِ خطاباً لفرعونَ[2]؛ لأنه كان في حِجْرِهِ، ولم يكنْ رأى منهُ شيئاً يدلُّ على ذلك؛ أي: لقد علمتَ أني لستُ بمسحورٍ.

﴿ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الآياتِ التسعَ ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ولكنَّك عانَدْتَ. واختلافُ القراء في (هَؤُلَاءِ إِلَّا) كاختلافِهم في (هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ) في سورةِ البقرةِ ﴿ بَصَآئِرَ ﴾ بيناتٍ تُبَصِّرُكَ صِدْقي، وانتصابُه على الحال ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾ هالِكاً ملعوناً.

***

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦-٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٠-٣٤١)، وقراءة نصب التاء أصح في المعنى، وعليه أكثر القرَّاء؛ لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن عليٍّ رضي الله عنه رفع التاء؛ لأنه روي عن رجل من مراد ـ وهو كلثوم المرداوي وهو مجهول ـ عن علي، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي. اهـ كذا قاله البغوي.

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

[١٠٣] ﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعونُ ﴿ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ أي: يخرجَهم: موسى وقومَه.

﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أرضِ مصرَ ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾ تأكيدٌ.

* * *

﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

[١٠٤] ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ ﴾ من بعدِ إهلاكِه.

﴿ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ أي: أرضَ الشامِ ومصرَ.

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ وهي الساعةُ.

﴿ جِئْنَا بِكُمْ ﴾ من قبورِكم إلى موقفِ القيامةِ ﴿ لَفِيفًا ﴾ جَمْعاً مختلِطين.

* * *

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

[١٠٥] ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ ﴾ يعني: القرآنَ، أنزلناهُ بالدينِ القائمِ وبالأمرِ الثابتِ.

﴿ وَبِالْحَقِّ ﴾ بالأوامرِ والنواهي ﴿ نَزَلَ ﴾ القرآنُ.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ للمطيعينَ ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للعاصينَ.

* * *

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ﴾ قراءة العامةِ: (فَرَقْنَاهُ) بتخفيفِ الراء؛ أي: بيَّنَّاه وأوضَحْناه، وقرأ أبانُ عن عاصمٍ: بتشديد الراء؛ أي: أنزلناهُ نُجوماً شيئاً بعدَ شيءٍ[١].

﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ قراءةُ العامةِ: (مُكْثٍ) بضمِّ الميمِ، وقرأ أبانُ عن عاصمٍ: بفتحِ الميمِ، وهما لغتان[٢] معناهما تؤدَةٌ وتثَبُّتٌ لِيفهموهُ.

﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ حسبَ الحوادثِ.

***

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ وتحقيرٌ للكفارِ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ أي: من قبلِ القرآنِ، وهم العلماءُ الذين قرؤوا الكتبَ السابقةَ، وعرفوا حقيقةَ الوحيِ وأمارةَ النبوَّةِ.

﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ القرآنُ ﴿ يَخِرُّونَ ﴾ يسقُطونَ ﴿ لِلْأَذْقَانِ ﴾ أي: عليها، والأذقانُ جمعُ ذَقَنٍ، وهو مجمَعُ اللَّحْيَيْنِ.

﴿ سُجَّدًا ﴾ تعظيماً لله تعالى، ونصبهُ على الحال.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٢١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٢).

(٢) ذكر هذه القراءة العكبري في «إملاء ما منَّ به الرحمن» (٢/ ٥٣)، والفخر الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٢)، عن ابن محيصن، وهي قراءة شاذة.

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ عن خلفِ الموعدِ.

﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ كائناً لا محالةَ.

* * *

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ كرَّرَ القولَ لتكرُّرِ الفعلِ منهم، وهذه مبالغةٌ ومدحٌ لهم، وذكرَ الذقنَ؛ لأنها أقربُ ما في رأسِ الإنسانِ إلى الأرضِ، لا سيما عندَ سجودِه.

﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ القرآنُ ﴿ خُشُوعًا ۩ ﴾ تواضُعاً، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتِّفاقِ، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوةِ وحكمِه، وسجودِ الشكرِ آخرَ سورةِ الأعرافِ مستوفًى.

* * *

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: «سجدَ رسولُ الله ﷺ بمكةَ ذاتَ ليلةٍ فجعلَ يقولُ في سجودِهِ ياالله يا رَحْمَنُ»، فقال أبو جهلٍ: إن محمداً ينهانا عن آلِهتنا، وهو يدعو إلهينِ، فأنزل اللهُ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾[1] المعنى: أنهما اسمانِ لواحدٍ، فإنْ دعوتموهُ باللهِ، فهو ذلكَ،

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٨٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٤٨).

وإن دعوتموهُ بالرحمنِ، فهو ذلك. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ: (قُلِ ادْعُوا) (أَوِ ادْعُوا) بكسرِ اللامِ والواو في الوصل، وافقَهُما يعقوبُ في كسرِ اللامِ فقط، وقرأ الباقون: بضمِّهما[1].

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ و(ما) صلةٌ، مجازُه: أَيّاً تَدْعو؛ كقولِهِ (عَمَّا قَلِيل) و(جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ)، وتقديرُهُ: أيَّ الأسماءِ تدعو به، فأنتَ مصيبٌ، ووقفَ حمزةُ، والكسائيُّ، ورويسٌ عن يعقوبَ على قولِه: (أَيّاً) دونَ (ما)، وعَوَّضُوا من التنوينِ ألفاً، ويبتدِئون (مَا تَدْعُوا) بتقدير: الذي تدعوهُ، ووقفَ الباقونَ على (ما)[2].

﴿فَلَهُ﴾ سبحانَه ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التي تقتضي أفضلَ الأوصافِ.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك في صلاتِك، فَيَسُبَّكَ المشركونَ.

﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ولا تُخْفيها عن أصحابِك المصلِّينَ معكَ.

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الفعلِ، وهو الجهرُ، والمخافة.

﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وَسَطاً.

* * *

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾.

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٤)، ورويت القراءة بضم اللام عن يعقوب.

(2) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٣).

[١١١] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ قال الحسينُ بنُ الفضل: يعني: الحمدُ للهِ الذي عرَّفَني أنه لم يَتَّخِذْ ولداً(١)، والآيةُ ردٌّ على اليهودِ والنصارى والعربِ في قولِهم: عزيرٌ وعيسى والملائكةُ ذرية اللهِ، تعالى عن أقوالِهم.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ في الألوهيةِ ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: لم يَذِلَّ فيحتاجَ إلى وَلِيٍّ يتعزَّزُ به، وهو ردٌّ على العربِ في قولِهم: لولا أولياءُ الله لَذَلَّ.

﴿وَكَبِّرۡهُ﴾ عن أنْ يكونَ له شريكٌ أو وَلِيٌّ ﴿تَكۡبِيرَۢا﴾ قال عمرُ رضي الله عنه: «قَوْلُ العبدِ: اللهُ أكبرُ، خيرٌ من الدنيا وما فيها»، وهي أبلغُ لفظةٍ للعربِ في معنى التعظيمِ والإجلالِ، ثم أَكَّدَها بالمصدر تحقيقاً لها وإبلاغاً في معناها، والله أعلم(٢).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٥).

(٢) إلى هنا تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف لتفسيره، والمكون من جزأين، وجاء في آخره: «قال جامعه عفا الله عنه بكرمه: وكان الفراغ من جمع هذا الجزء عقب صلاة الظهر من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر صفر ختم بالخير والظفر سنة أربع عشرة وتسع مئة من الهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية والبركة والإكرام وكان جمعه بالمسجد الأقصى الشريف شرفه الله وعظمة بقبة موسىٰ عمَّرها الله بذكره ووافق الفراغ من تبيضه عقب صلاة الظهر من يوم السبت السابع والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ سنة سبع عشرة وتسع مئة، الحمد لله وحده وصلواته على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلامه، حسبنا الله ونعم الوكيل».

* هذا وقد وقع في النسخة الخطية «ش» خرم من قوله: «واستعارة الشفاء للقرآن هو بحسب إزالته للريب، وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات» (ص: ١٢٥) من هذا المجلد إلى هنا.

سُورَةُ الكَهْفِ

مكيةٌ في قولِ جميعِ المفسرينَ، ورُوِيَ عن فرقةٍ أنَّ أولَ السورةِ نزلَ بالمدينةِ إلى قولِه: ﴿جُرُزًا﴾ والأولُ أصحُّ، آيها: مئةٌ وعشر[1] آياتٍ، وحروفُها: ستةُ آلافٍ وثلاثُ مئةٍ وستون حرفاً، وكَلِمُها: ألفٌ وخمسُ مئةٍ وسبعُ وسبعونَ كلمةً، وهي من أفضلِ سورِ القرآنِ، ورُوِي عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِسُورَةٍ عِظَمُها كَمَا بَيْنَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ، وَلِمن جَاءَ بِهَا من الأجرِ مِثْلَ ذَلِكَ؟» قالوا: أَيُّ سورةٍ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «سُورَةُ الْكَهْفِ، مَنْ قَرَأَ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ قَرَأَ بِهَا، أُعْطِيَ نُوراً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَوُقِيَ بِهَا فِتْنَةَ الدَّجَّالِ[2]»[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾.

---

(١) في «ت»: «عشرون».

(٢) في «ت»: «القبر».

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» عن إسماعيل بن أبي رافع بلاغاً، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٥).

[١] لما سألتْ قريشٌ رسولَ اللهِ ﷺ عن المسائلِ الثلاث: الرُّوحِ والكهفِ وذي القرنينِ حَسْبَ ما أَمَرهم به اليهودُ، قالَ لهم رسولُ اللهِ: «غداً أُخْبِرُكُمْ»، ولم يقلْ: إن شاءَ الله، فعوتبَ بلبثِ الوحيِ عنهُ خمسةَ عشرَ يوماً، فأرجفَ به المشركونَ، وقالوا: إنَّ محمداً قَدْ تركه رِئيُّهُ الذي كانَ يأتيه من الجنِّ، وقال بعضُهم: قد عجزَ عن أكاذيبهِ، إلى غيرِ ذلكَ، فشقَّ ذلكَ عليه، فجاءه الوحيُ من الله سبحانَه بالجوابِ، فافتتحَهُ بحمدِ اللهِ تعالى، فقال الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[١] أي: الثناءُ له، وتقدَّمَ الكلامُ عليه مستوفىً في سورةِ الفاتحةِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآنَ.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ والعِوَجُ: فَقْدُ الاستقامَةِ، وهو بكسرِ العينِ في المعاني، وبفتحِها في الأشخاصِ؛ كالعصَا والحائطِ ونحوِهما.

***

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً نصبٌ على الحال، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، مجازُه: أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ قِيماً، ولم يجعلْ له عِوَجاً، قالَ ابنُ عطية: ويصحُّ أن يكونَ معنى (قيماً): قيامَهُ بأمرِ الله تعالى على العالَمِ[٢].

وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين عنى العالم، وكان حفص عن عاصم يسكت يسيراً على (عِوَجاً)؛ تنبيهاً على تمام الوقف

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٩٥).

عليه، ثم يقول: (قَيِّماً)[1] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ الكافرين ﴿بَأْسًا﴾ عذاباً.

﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ من عنده. روى أبو بكر عن عاصم: (لَدْنِهِ) بسكون الدال وإشمامها الضم من غير صوت يسمع؛ دلالة على أن أصلها الضم، وبكسر النون والهاء وصلتها بياء في اللفظ، فكسرُ النون لسكونها وسكون الدال قبلها، وكسر الهاء إتباع، وقرأ الباقون: بضم الهاء والدال، وإسكان النون، وابن كثير على أصله في الصلة بواو[2].

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو نعيم الجنة وما يتقدمه من خير الدنيا.

* * *

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾.

[٣] ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ مقيمين.

﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ ظرف دال على زمن غير متناه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ (وَيَبْشُر) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمها؛ من البشر، وهو البشرى والبشارة. وقرأ الباقون بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من بَشَّر المضعف على التكثير[3].

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٨).

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ وهم ثلاث طوائف: اليهود في عزير، والنصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة.

* * *

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ ﴾ باتخاذ الولد لله تعالى ﴿ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ ﴾ من قبلهم؛ لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى ﴿ كَبُرَتْ ﴾ عظمت ﴿ كَلِمَةً ﴾ نصب على التمييز ﴿ تَخْرُجُ ﴾ أي: تظهر ﴿ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ ﴾ وهي قولهم: اتخذ الله ولداً[1] ﴿ إِن ﴾ أي: ما ﴿ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ فهي (ما) النافية.

* * *

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا تكن كذلك.

وقوله: ﴿ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: قاتلها ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ من بعد ذهابهم عنك.

﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن ﴿ أَسَفًا ﴾ حزناً على فوات إيمانهم.

---

(١) «وهي قولهم: اتخذ الله ولداً» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ والمراد بما على الأرض: كل ما يزينها من علماء وصلحاء ونبات وزخارف ونحوه، ولم يدخل في هذا الجبال الصم، وكل ما لا زينة فيه؛ كالحيات والعقارب ونحوها ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ لنختبر الناظرين إليها.

﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أزهد في الدنيا.

* * *

﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ أي: الأرض.

﴿ صَعِيدًا ﴾ أملس مستوياً.

﴿ جُرُزًا ﴾ غليظاً يابساً لا ينبت.

* * *

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ثم جاء بما هو أعجب من ذلك فقال:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ أي: بل ظننت.

﴿ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ ﴾ الغار في الجبل.

﴿ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ لوح رُقم فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم، ثم وضعوه

على باب الكهف، وكان اللوح من رصاص، والرقيم بمعنى: المرقوم؛ أي: المكتوب، والرقم: الكتابة(1).

﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ أي: كانوا آية يعجب بها من علمها، وفيه معنى الإنكار على السائلين عن أصحاب الكهف؛ كأنه قال: لا تعجبوا من أمرهم، ففيما خلقناه من صنوف الخلق ما هو أعجب منه.

***

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ جمع فتى، وهو الشاب الكامل.

﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: رجعوا وهربوا إليه، وأما خبر مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق: مرح أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح يعبدون الله تعالى، وكان ملك منهم يقال له: دقيانوس قد عبد الأصنام، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم، فلا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، أو يقتله، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وسيأتي ذكرها، فهرب أهل الإيمان منه، وكان حين قدمها أَمَرَ أن يجمع له أهل الإيمان، فمن وقع به خيره بين القتل وبين عبادة الأوثان، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله، فيقتل.

---

(١) ورد على هامش «ش»: «وقيل: أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثةً خرجوا. . .» وتتمة الكلام مقدار عشرة أسطر، إلا أنها مطموسة.

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله، جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها، وعلى كل باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك هؤلاء الفتية، حزنوا حزناً شديداً، وأقبلوا على الصيام والقيام والتسبيح والدعاء، وكانوا سبعة في قول ابن عباس، وأسماؤهم عنده: مكشلمينا، ويمليخا، ومرطونس، ونينوس، وسارينوس، ودوانوانس، وكفشططيوش، وقيل: كانوا ثمانية، وكثر الاختلاف في أسمائهم وأنسابهم وحِرفهم واسم كلبهم ولونه(١).

﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ رَحۡمَةً﴾ أي: رزقاً.

﴿ وَهَيِّئۡ﴾ وأصلح ﴿ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا﴾ الذي نحن فيه، وهو الإيمان وترك الكفر.

﴿ رَشَدٗا ﴾ صواباً، أي: اجعلنا راشدين. قرأ أبو جعفر (وَهَيِّي) و(يُهَيِّي) بإسكان الياء الثانية بغير همز(٢).

فظهر عليهم، وحملوا إلى الملك فقال: اختاروا إما أن تذعنوا لآلهتنا،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٧٩) عن أسماء الفتية: «.. وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسمَ كلبهم نظر في صحته، والله أعلم، فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا ﴾ أي، سهلاً هيّناً فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة». وقال أيضاً (٣/ ٧٧) عن لون الكلب: «واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها رجم بالغيب».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٩، ٣٥١).

وإما أن أقتلكم، فقال مكشلمينا، وهو أكبرهم: إن لنا إلهاً ملك السموات والأرض جلت عظمته، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، وقال بقية الفتية لدقيانوس كذلك، فقال الملك: ما يمنعني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب، ورأيت أن أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، فأخذوا من بيوتهم نفقة، وخرجوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس، واسم الكهف حيرم، وأقاموا به يعبدون الله فيه، واتبعهم كلب كان لهم، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، وهو يمليخا، وكان من أجملهم وأجلدهم، فكان يبتاع طعامهم من المدينة سراً، فإذا دخل المدينة، لبس ثياب المساكين، ويشترى طعامهم، ويتجسس لهم الأخبار، ولبثوا كذلك زماناً حتى أخبرهم يمليخا أن الملك يطلبهم، ففزعوا لذلك، وحزنوا، فبينا هم كذلك عند غروب الشمس يتحدثون ويتدارسون، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف.

***

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] قال الله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ أي: أنمناهم إنامة ثقيلة ﴿ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ ﴾ ظرف لـ(ضربنا) ﴿ عَدَدًا ﴾ نعت (سنين) أي: معدودة، وتخصيص الآذان بالذكر؛ لأنها الجارحة التي منها عِظَمُ فساد النوم، وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع.

***

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] وألقي النوم عليهم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، فسمع الملك أنهم بجبل بنجلوس، فألقى الله في نفسه أن يأمر

بالكهف فيسد عليهم حتى يموتوا جوعاً فيه، وظنهم أيقاظاً وهم رقود، أراد الله تعالى أن يكرمهم، وأن يجعلهم آية، وكان القوم يُقلبون ذات اليمين وذات الشمال، ثم عمد رجلان كانا مؤمنين في بيت الملك يكتمان إيمانهما اسم أحدهما يندروس، والثاني روناس، فكتبا شأن الفتية وأنسابهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس، وجعلاه في البنيان، فبقي دقيانوس ما بقي، ثم مات وقومه وقرون بعده، وخلفت الملوك بعد الملوك، ثم مَلَكَ تلك البلاد رجل صالح اسمه نيدوسيس ثمانياً وعشرين سنة، فتحزب الناس في ملكه، فكانوا أحزاباً، منهم من يؤمن بالله، ومنهم من يكفر ويكذب بالساعة، فبكى الملك الصالح، وتضرع إلى الله حين رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ثم دخل بيته وأغلق بابه، ولبس مُسوحاً وجعل تحته رماداً، وجعل يتضرع إلى الله تعالى، ويبكي ويدعو الله أن يظهر لهم آية يبين لهم بطلان ما هم عليه، حتى أراد الله أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية؛ ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح، ويجمع كلمة المؤمنين، فألقى في نفس رجل من ذلك البلد الذي به الكهف أن يهدم بنيان فم[1] الكهف، فيبني حظيرة لغنمه، فهدمه، وحجبه الله بالرعب حتى لا يقدر أن يتقدم حتى ينظر إليهم، وكلبهم دونهم، وأذن الله للفتية أن يجلسوا، فجلسوا مستبشرين، فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون بها إذا أصبحوا من ليلتهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم بعد ما أنمناهم.

---

(١) «فم» ساقطة من «ت».

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وإلا فقد كان الله تعالى علم ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ الفريقين ﴿أَحْصَىٰ﴾ أحفظ ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ المعنى: أيهم أضبطُ غاية لأوقات لبثهم.

قال ابن عطية: والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية؛ إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عهدهم التاريخ بأمر الفتية، قال: وهذا قول الجمهور من المفسرين(١).

وقيل: المراد بالحزبين: المختلفين في مدة لبثهم، وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك نيدوسيس، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف، فقال المسلمون الأولون: مكثوا ثلاث مئة سنة وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل مكثوا كذا وكذا، وقال آخرون: الله أعلم بما لبثوا.

فلما استيقظ الفتية من نومهم، قاموا إلى الصلاة، فصلوا كالذي كانوا يفعلون، لا يرون في وجوههم ولا في أبدانهم شيئاً ينكرونه، وهم يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم، فلما قضوا صلاتهم، قالوا لصاحب نفقتهم: أنبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشي أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد يخيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٠٠).

في أنفسهم يسير، فقال لهم[1] صاحب نفقتهم: إن الملك أراد قتلكم، أو تذبحوا للطواغيت، فقال كبيرهم: يا إخوتاه! اعلموا أنكم ملاقو الله، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله، ثم قالوا لصاحب نفقتهم: انطلق إلى المدينة فتسمَّعْ ما يقال بها، وما الذي نُذكر به عند دقيانوس، وتلطف، ولا تشعرن بك أحداً، وابتع لنا طعاماً فأتنا به، وزدنا على الطعام الذي جئتنا به، فقد أصبحنا جياعاً، ففعل كما كان يفعل، ووضع ثيابه[2] وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ وَرِقاً من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس، وانطلق خارجاً، فلما مر بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن بابه، فعجب منها، ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة، فنظر في أعلى الباب علامة أهل الإيمان، فاستخفى وتحول إلى باب آخر، فرأى مثل ذلك، حتى خُيلَ إليهِ أن المدينة ليست بالذي كان يعرف، ورأى ناساً يحلفون باسم عيسى، ولم يميز منهم أحداً، فازداد حيرة، وظن أنه نائم، فسأل عن اسم المدينة، فقيل له: أقسوس، فقال: لعل عقلي ذهب، فدفع الورق إلى البياع ليشتري طعاماً، فعجب البياع من الورق، وطرحها إلى رجل من أصحابه، فجعلوا ينظرون إليها، ويقول بعضهم لبعض: إن هذا رجل قد أصاب كنزاً، وجعل أهل المدينة يقولون: ما رأينا هذا الفتى قط، فحملوه إلى رجلين كانا رأسي المدينة ومدبري أمرها، وهما صالحان، اسم أحدهما أزيوس، والآخر أضطيوس، فنظرا إلى الورق، فعجبا منه، فقال أحدهما: أين الكنز يا فتى؟ فقال: ما وجدت

(١) «لهم» زيادة من «ت».

(٢) «ثيابه» زيادة من «ت».

كنزاً، وهذا الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، وإني رجل من أهل المدينة، أنا فلان بن فلان، فلم يعرفه أحد، ولا عرف أباه، قالوا: فنقش هذا الورق من ثلاث مئة سنة، وأنت غلام شاب؟! فقال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: ما نعرف على وجه الأرض اليوم هذا الاسم إلا ملك قد هلك، وهلك بعده قرون، قال لهم: فما يصدقني أحد، لقد كنا فتية، وكان الملك أكرهنا على عبادة الأوثان، فهربنا منذ أيام إلى الكهف، وخرجت لأشتري لأصحابي طعاماً، وأتجسس الأخبار، فانطلقوا معي إلى الكهف في جبل بنجلوس؛ لأريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول، قال: يا قوم! لعلَّ هذهِ آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه، فانطلق معه أريوس وأطيطوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، فلما سمع أصحاب الكهف الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، جزعوا وظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم، فسبق إليهم صاحبهم، وقص عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بإذن الله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث، ثم فتحوا التابوت النحاس الموضوع بباب الكهف، فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما أسماؤهم، وأنهم كانوا فتية آمنوا وهربوا من ملكهم دقيانوس الجبار؛ مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم، أمر بسد الكهف عليهم، فكتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم، فلما قرؤوه، عجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبلَ ثيابهم، وجاء الملك

الصالح نيدوسيس حتى وقف عليهم، واعتنقهم، وبكى، فدعوا له، فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم، فناموا، فتوفى الله أنفسهم، فأمر الملك أن يجعلوا في توابيت الذهب، ثم رآهم في المنام، فقالوا له: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، وإنما خلقنا من تراب، وإلى التراب نصير، فأمر الملك بتابوت من ساج، فجعلوا فيه، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على الدخول إليهم، فأمر الملك، فجُعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة.

وقد حكى المفسرون والمؤرخون قصة أهل الكهف على وجوه كثيرة بألفاظ مختلفة، والله أعلم(١).

* * *

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] قال الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ ﴾ ننزل ﴿ عَلَيْكَ نَبَأَهُم ﴾ خبر الفتية ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق.

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ شبان وأحداث، حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، ولذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان.

﴿ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ ثبتناهم على ذلك.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٦٣). وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧)، وما بعدها.

﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ قويناها على قول الحق، وصبرناها على هجر الأوطان ﴿ إِذۡ قَامُواْ ﴾ بين يدي الملك ديقيانوس حين أمرهم بالسجود للأصنام وعبادة غير الله تعالى ﴿ فَقَالُواْ ﴾ مخلصين رادين عليه ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ ﴾ ولئن دعونا إلهاً غيره ﴿ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا ﴾ قولاً ﴿ شَطَطًا ﴾ جوراً، والشطط: هو الإفراط في الظلم.

***

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم أنكروا حال قومهم فقالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ تعالى.

﴿ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا ﴾ هلاَّ ﴿ يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم ﴾ على عبادة الأصنام ﴿ بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ ﴾ حجة ظاهرة ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فزعم أن معه إلهاً شريكاً؟!

***

﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ ﴾ أي:

اعتزلتم قومكم ومعبودهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فإنكم لم تعتزلوا عبادته، المعنى: إذ بعدتم عن قومكم ومرادهم.

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ فالجؤوا إليه.

﴿يَنشُرْ﴾ يبسط ﴿لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ بأن يسهلها عليكم ويعيذكم من عدوكم. قرأ أبو عمرو (يَنْشُر لَّكُمْ) بإدغام الراء في اللام من رواية السوسي، واختلف عنه من رواية الدوري، والوجهان صحيحان عن أبي عمرو[1] ﴿وَيُهَيِّئْ﴾ يسهل ﴿لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ ما يرتفق به الإنسان، قالوا ذلك توكلاً على الله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (مَرْفِقاً) بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون: بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناهما واحد.

***

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ قرأ ابن عامر، ويعقوب: (تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف؛ مثل: تحمرُّ، وقرأ الكوفيون: بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء، أصله: تتزاور، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وقرأ الباقون: بتشديد الزاي وإثبات الألف، أصله تتزاور، قلبت التاء الثانية زاياً، ثم أدغمت،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٠).

والقراءات بمعنى واحد[1]؛ أي: تميل وتعدل عن كهفهم.

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ ظرف لـ(تزاور)، والمعنى: نحو الجهة المسماة باليمين.

﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ تجاوزهم، وتعدل عنهم.

﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ وأصل القرض: القطع، ومنه سمي المقراض؛ لأنه يُقطع به.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: متسع من مكان[2] الكهف، يصل إليهم النسيم، ويدفع عنهم كرب الغار ووخمه، ولا تصل إليهم الشمس عند طلوع ولا غروب.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عجائبه الدالة على قدرته، ثم مدحهم فقال:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ بأن فتح له طريق الهداية فسلكها ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أي: المخلص في إيمانه الذي أصاب الفلاح. أثبت نافع وأبو جعفر وأبو عمرو الياء في (المهتدي) وصلاً، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[3].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٢).

(٢) «مكان» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٣).

وذم ضدهم فقال: ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي: يضلله تعالى بخذلانه.

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ يرشده إلى فلاحه.

* * *

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَيْقَاظًا﴾ جمع يَقُظ؛ كعضُد؛ أي: منتبهين؛ لأنهم كانت أعينهم مفتحة في نومهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام، جمع راقد، ويتنفسون مع ذلك ولا يتكلمون ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ مرة للجنب الأيمن، ومرة للجنب الأيسر.

قال ابن عباس: «كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب؛ لئلا تأكل الأرض لحومهم»[١]، ويقال: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ مادٌّ يديه ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ والوصيد: العتبة التي لباب الكهف، أو موضعها حيث ليست على الأصح، وقيل: هو فناء الباب، والباب الموصد: هو المغلق، وأكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب.

قال ابن عباس: «كان كلباً أنمر، واسمه قطمير»[٢]، وقيل كان أسداً،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٦٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٧٣).

ويسمى الأسد كلباً، فكانوا إذا انقلبوا انقلب موافقة لهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لو نظرت إليهم يا محمد.

﴿لَوَلَّيْتَ﴾ لرجعت هيبة وخوفاً.

﴿مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ هارباً؛ لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم.

﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: بتشديد اللام الثانية، والباقون بتخفيفها، وأبو جعفر وأبو عمرو يبدلان الهمز ياءً، وكلها لغات بمعنى: لامتلأْتَ[1].

﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ خوفاً؛ لما ألبسهم الله من الهيبة، ولعظم أجرامهم، وانفتاح عيونهم، ولوحشة مكانهم. **قرأ** ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: (رُعُباً) بضم العين، والباقون: بإسكانها[2].

وعن ابن عباس قال: «غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء، فنظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع ذلك من هو خير منك، فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٤ـ٣٥٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٥).

دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً، فأخرجتهم»[1].

***

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) ﴾.

[١٩] ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أي: كما أنمناهم هذه المدة بقدرتنا، مثلَ ذلك أيقظناهم ﴿ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ عن حالهم وما جرى لهم.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ وهو رئيسهم مكشلمينا: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ في نومكم؛ لأنهم استكثروا طول نومهم. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) (لَبِثْتَ) بإظهار الثاء عند التاء حيث وقع، والباقون: بالإدغام[2].

﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا ﴾ لأنهم دخلوا الكهف طلوع الشمس، وبعثهم الله آخر النهار، فلما رأوا الشمس، قالوا: ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فلما نظروا إلى

---

(١) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٠١)، و«تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٢٤٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٦٦). قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٧٦): «ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً، والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه، وقد أعلمنا الله بصفته، ولم يعلمنا بمكانه».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٥).

أظفارهم وأشعارهم، تيقنوا أن لبثهم أكثر من يوم.

فثم: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ يعني: يمليخا ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب (بِوَرْقِكُمْ) بإسكان الراء، والباقون: بكسرها[1]، والقراءتان معناهما واحد، وهي الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة، المعنى: فأرسلوا واحداً منكم بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ المعدة للنفقة ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ التي خرجنا منها، وهي المسماة في الإسلام طرسوس، وكان اسمها في الجاهلية أقسوس.

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾ يعني: أي أهلها ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أحل وأطيب؛ لأنهم كان فيهم من يذبح للطواغيت ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ﴾ بشيء.

﴿مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ يترفّق في الشراء، وفي طريقه، وفي دخوله[2] المدينة حتى لا يطلع عليه.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾ من الناس.

***

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ﴾ يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم، قيل:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٢) «وفي دخوله» ساقطة من «ت».

كان من عادتهم القتل بالحجارة، وهو أخبث القتل.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يردوكم إلى دينهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ لن تسعدوا لا في الدنيا ولا في الآخرة إن رجعتم إلى دينهم.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أنمناهم وأيقظناهم لحكمة.

﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لحكمة، وهي ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ قوم نيدوسيس.

﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ لأن الكفار منهم كانوا ينكرون البعث والحساب، المعنى: ليعلموا أنَّ القادر على إنامة هؤلاء هذه المدة، وإبقائهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى وحشرهم.

﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي: المسلمون والكافرون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المتنازعين ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أمر الفتية ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ والتنازع في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم كنيسة؛ لأنهم من أهل نسبنا، فلما لم يتحقق المتنازعون ذلك قالوا:

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قرأ السوسي عن ابن عمرو: (أَعْلَم بِهِمْ) (أَعْلَمْ بِعِدَّتِهِمْ) وشبهه بإسكان الميم عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً لتوالي الحركات، فتخفى إذ ذاك بغنة، فإن سكن ما قبلها، ترك ذلك

إجماعاً[1]. فغلب المؤمنون كما أخبر تعالى في قوله:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ وهم نيدوسيس الملك وأصحابه: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم﴾ لنجعلن على باب الكهف.

﴿مَّسۡجِدٗا﴾ فجعلوا ثَمَّ مسجداً يُصلى عليه.

* * *

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: نصارى نجران حين ناظروا النبي ﷺ في عدد أصحاب الكهف: ﴿ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ وهذا قول السيد، وكان يعقوبياً، وقيل: اليهود ﴿وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ وهذا قول العاقب، وكان نسطورياً.

﴿رَجۡمَۢا﴾ مصدر؛ أي: ظناً وحسداً، وهو يستعار من الرجم؛ كأن الإنسان يرمي الموضع المشكل المجهول عنده يظنه المرة بعد المرة يرجمه؛ عسى أن يصيب ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ من غير يقين.

﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ وهذا قول المسلمين، فصدقهم الله تعالى، والواو في قوله: (وثامنهم) واو عطف دخلت في آخر

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٨-٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٥٧-٣٥٨).

إخبار عن عددهم؛ لتفصل أمرهم، وتدل على أن هذه نهاية ما قيل، ولو سقطت، لصح الكلام، ولو كانت فيما قبل من قوله (ورابعهم) (وسادسهم)، لصح الكلام[(١)]؛ لأن الجملة الثانية إذا التبست بالأولى، جاز إثبات الواو وحذفها، ولا يجوز حذف الواو إذا لم ترتبط الثانية بالأولى.

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يردَّ علمَ عدتهم إليه عز وجل. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (رَبِّيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[(٢)].

﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ أخبر تعالى أن عالم ذلك من البشر قليل، والمراد به قوم من أهل الكتاب، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة، وثامنهم كلبهم»[(٣)].

قال ابن عطية: ويستدل على هذا من الآية بأن القرآن لما حكى قول من قال: ثلاثة وخمسة، قرن بالقول: إنه رجم بالغيب، فقدح ذلك فيها، ثم حكى هذه المقالة، ولم يقدح فيها بشيء[(٤)].

﴿فَلَا تُمَارِ﴾ أي: لا تجادل ﴿فِيهِمۡ﴾ في أهل الكهف ﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾

---

(١) قوله: «ولو كانت فيما... لصح الكلام» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٨).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٦٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٢٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١١٣).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٠٨).

إلا جدال عالم متيقن[1]؛ لأنه تعالى عرفك الحق من ذلك. قرأ الدوري عن الكسائي: (تمار) بالإمالة بخلاف عنه[2].

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ أي: لا تسأل ﴿فِيهِم﴾ في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾ عن قصتهم؛ لأنك خبير بذلك.

***

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ولما سئل ﷺ عن ذي القرنين والروح وأهل الكهف، فقال: «غداً أخبركم»، ولم يستثن، نزل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾[3] أي: لأجل شيء تهم به.

﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يُستقبل من الزمان، لا اليوم الذي يلي يومك.

***

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في الكلام حذف يقتضيه الظاهر، تقديره: إلا أن تقول: إلا أن يشاء الله، أو إلا أن تقول: إن شاء الله، فالمعنى: إلا أن تذكر مشيئة الله.

---

(١) «عالم متيقن» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٨).

(٣) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٣١).

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ بالاستغفار ﴿إِذَا نَسِيتَۚ﴾ الاستثناء.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء، ثم ذكرت، فاستثن[1]، وجوز ابن عباس الاستثناء في اليمين إلى سنة ما لم يحنث، وعن الحسن وطاوس: ما دام في المجلس، واتفق الأئمة الأربعة على أن الاستثناء في اليمين بالله تعالى لا ينفع ويسقط الكفارة إلا أن يكون متصلاً باليمين لفظاً أو حكماً، واختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق[2]، فقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز، واشترط الشافعي أن ينوي الاستثناء قبل فراغ اليمين، وقال مالك وأحمد: لا يجوز الاستثناء فيهما.

واختلفوا في الاستثناء من غير الجنس، فقال أحمد، ومحمد بن الحسن، وزفر: لا يصح، وأكثر الشافعية والمالكية: يلزم صحة استثناء ثوب وغيره، والأشهر عن أبي حنيفة صحته من مكيل وموزون من أحدهما فقط، واستثناء الكل باطل بالاتفاق، وكذا الأكثر من عدد مسمى عند الإمام أحمد، وأبي يوسف، وابن الماجشون من المالكية، وقال الأئمة الثلاثة: يصح، ولا يصح الاستثناء إلا نطقاً إلا في يمين خائف بنطقه بالاتفاق، وإذا تعقب الاستثناء جملاً بواو العطف، وصلح عوده إلى كل واحدة، فللجميع عند الأئمة الثلاثة إلا لمانع؛ كبعد مفردات، وعند أبي حنيفة للأخيرة، والاستثناء من النفي إثبات، وبالعكس عند الشافعية والمالكية والحنابلة؛ خلافاً للحنفية في الأولى، ولبعضهم فيهما.

﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي﴾ يدلني.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣).

(٢) «والعتق» زيادة من «ت».

﴿ لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ أي: يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد، والإشارة بهذا إلى الاستدراك الذي يقع من ناسي الاستثناء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يَهْدِيَنِي) بإثبات الياء حالة الوصل، وابن كثير ويعقوب بإثباتها في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين[1].

* * *

﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَلَبِثُوا۟ ﴾ يعني: أصحاب الكهف ﴿ فِى كَهْفِهِمْ ﴾ نياماً أحياء.

﴿ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ هذا إخبار من الله سبحانه عن مدة لبثهم في الكهف، وهو الأصح. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ثَلاثَ مِئَةِ) بغير تنوين على الإضافة، والباقون: بالتنوين، وأبدلوا السِّنين من (ثَلاثِ مِئَةٍ)[2].

* * *

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] وقوله: ﴿ قُلِ ﴾ معناه: أن الأمر في مدة لبثهم كما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٨-٣٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٩).

ذكرنا، فإن نازعوك فيها، فأجبهم وقل:

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ أي: هو أعلم منكم، وقد أخبر بمدة لبثهم.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاث مئة شمسية، والله ذكر ثلاث مئة قمرية، والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مئة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلاث مئة تسع سنين، فلذلك قال: وازدادوا تسعاً»(١).

﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: هو المختص بعلم ما غاب فيهما.

﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ أي: ما أبصرَ اللهَ وأسمعَه! فلا يغيب عنه شيء ﴿مَا لَهُم﴾ أي: لأهل السموات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: من دون الله ﴿مِن وَلِيّٖ﴾ يتولى أمورهم.

﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ فليس لأحد أن يحكم بحكم لم يحكم به الله. قرأ ابن عامر: (وَلاَ تُشْرِكْ) بالخطاب وجزم الكاف على النهي، وقرأ الباقون: بالغيب، ورفع الكاف على الخبر؛ أي: لا يشركُ الله في حكمه(٢).

* * *

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾.

[٢٧] ولما قيل للنبي ﷺ: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [يونس: ١٥]،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٠).

نزل: ﴿وَٱتْلُ﴾ واقرأ يا محمد ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن، واعمل به.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ لا نقص في قوله. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (مُبَدِّل لِّكَلِمَاتِهِ) بإدغام اللام الأولى في الثانية(1).

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ يلجأ إليه.

* * *

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ولما طلب عيينة بن حصن الفزاري وأصحابه من النبي ﷺ إبعاد أبي ذر وأصحابه من الفقراء من مجلسه؛ لرثاثة حالهم؛ ليجلسوا إليه، نزل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾(2) أي: احبسها.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ طرفي النهار. قرأ ابن عامر: (بِالْغُدْوَةِ) بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها، وقرأ الباقون: بفتح الغين والدال وألف بعدها(3).

---

(1) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٠).

(2) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٣٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٨٠).

(3) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦١).

﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ تعالى، لا يبتغون عرضاً من الدنيا.

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: لا تطرد الفقراء لفقرهم ورثاثة حالهم، ولا تمل إلى الأغنياء لجمالهم وغناهم. قرأ أبو عمرو (تُرِيد زِّينَةَ) بإدغام الدال في الزاي[1].

﴿ وَلَا تُطِعْ ﴾ في طردهم ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ﴾ هو عيينة وأصحابه ﴿ عَن ذِكْرِنَا ﴾ عن القرآن والتوحيد ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في الشرك وطلب الشهوات.

﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ سرفاً وتضييعاً.

***

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَقُلِ ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: الذي أنبأتكم به الحق ﴿ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ بترك طرد المؤمنين، ثم خيرهم تهديداً، فقال: ﴿ فَمَن شَآءَ ﴾ الإيمان ﴿ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ ﴾ الكفر ﴿ فَلْيَكْفُرْ ﴾ المعنى: لستُ بطارد المؤمنين لهواكم، فاعملوا ما شئتم.

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ هيأنا ﴿ لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ والسرادق: هو ما أحاط بالبناء من الستر ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ ﴾ من العطش ﴿ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦١).

هو القيح والدم الأسود ﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾ ينضجها ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ المهل ﴿وَسَآءَتْ﴾ قبحت النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: مجلساً جامعاً، أو متكأ، وأصل الارتفاق: نصبُ المرفق تحت الخد.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾.

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لا نضيع أعمالهم، بل نثيبهم بها.

* * *

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾.

[٣١] فإن قيل فأين جواب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيل: جوابه قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام معترض، والعدن: الإقامة، يقال: عدنَ فلان بالمكان: إذا أقام به، وسميت عدناً؛ لخلود المؤمنين فيها.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ يلبسون في الجنة.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ واحدها سوار، وهو ما يُلبس في الذراع ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ (من) الأولى للابتداء، والثانية للبيان صفة لأساور، وتنكيرها لتعظيم حسنها من الإحاطة به ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾ قرأ أبانُ عن عاصم: بكسر الباء،

والباقون: بفتحها[1] ﴿ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾ جمع سندسة، وهو رفيع الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ثخينه، وهو فارسي معرب ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي ستر كالبيت، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا؛ كما هو هيئة المتنعمين. قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِين) و(مُتَّكُونَ) وشبهه بغير همز حيث وقع، والباقون: بالهمز[2].

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ أي: نعم الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ مجلساً ومقراً.

* * *

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ أي: مثل حال هؤلاء المؤمنين والكافرين بحال.

﴿رَّجُلَيْنِ﴾ وكانا أخوين في بني إسرائيل، مؤمن اسمه يهودا، وكافر واسمه قطروس، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطرا، فاشترى الكافر بها ضياعاً وعقاراً، وصرفها المؤمن في وجوه الخير، وآل أمرهما إلى ما أخبر الله تعالى به في قوله:

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي: جعلناه محيطاً بالجنتين ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ وسطهما ﴿زَرْعًا﴾ يقتات به؛ أي: جمعت

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٢).

هذه الأرض أنواع الثمرات وأصناف الأقوات، ولم يكن بين الجنتين موضع خراب.

* * *

﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ أعطت ثمرها. **قرأ** نافعٌ، وابنُ كثير، وأبو عمرٍو: (أُكْلَها) بإسكان الكاف والباقون: بضمها[1] ﴿ وَلَمْ تَظْلِم ﴾ أي: تنقص ﴿ مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ بل أتت به في غاية الكمال ﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾ شققنا. **قرأ** يعقوب (وَفَجَرْنَا) بتخفيف الجيم، والباقون: بالتشديد[2] ﴿ خِلَٰلَهُمَا ﴾ وسطهما ﴿ نَهَرًا ﴾ يجري بينهما؛ ليزيد بهاؤهما.

* * *

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ﴾ لصاحب البستان ﴿ ثَمَرٌ ﴾ **قرأ** أبو عمرو: (ثُمْرٌ) بضم الثاء وإسكان الميم، **وقرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وابن عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بضم الثاء والميم، **وقرأ** أبو جعفرٍ، وعاصمٌ،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٦).

ويعقوبُ: بفتحهما[1]، فمن قرأ بالضم، فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار، ومن قرأ بالفتح، جمع ثمرة، وما يخرجه الشجر من الثمار المأكولة.

﴿فَقَالَ﴾ الكافر صاحب البستان ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه في الكلام ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا﴾ لإقباله على الدنيا، وتركه الآخرة ﴿وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ عشيرة. **قرأ** نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أَكْثَرُ) بالمد[2].

***

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ الكافر.

﴿جَنَّتَهُۥ﴾ التي لا جنة له سواها، ولا حظَّ له في الجنة التي وعد المتقون، ولم يقل: جنتيه؛ لأن المراد ما هو جنته، وأخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها، ويفاخره بها.

﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالكفر ﴿قَالَ﴾ إعجاباً:

﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تهلك ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ الجنة ﴿أَبَدٗا﴾ لطول أمله.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٤).

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ كائنة.

﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ كما تزعم.

﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي: مرجعاً؛ فإنه لم يعطني الجنة في الدنيا، إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر: (مِنْهُمَا) بميم بعد الهاء على التثنية؛ أي: من الجنتين، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقون: بحذف الميم على الإفراد، أراد: جنته، وكذلك هي في مصاحفهم[(١)].

* * *

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ ﴾ المسلم ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ أي: أباك آدم؛ لأنه خلق من تراب.

﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي: مَنِيٍّ ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰكَ ﴾ عدلك وكمّلك ﴿ رَجُلًا ﴾ بشراً ذكراً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٤_٣٦٥).

﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس عن يعقوب: (لَكِنَّا) بإثبات الألف بعد النون في الحالين، وحذفها الباقون وصلاً، ولا خلاف في إثباتها في الوقف إتباعاً للرسم، وأصله: لكن أنا، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف؛ لكثرة استعماله، ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائيُّ: فيه تقديم وتأخير، مجازه: لكن الله هو ربي[١].

﴿ وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (بِرَبِّيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

***

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَلَوۡلَآ ﴾ أي: هَلاَّ.

﴿ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ ﴾ عند دخولها ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: الأمرُ ما شاء الله، وتشكره على إنعامه عليك، وقلت: ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ اعترافاً بالعجز على نفسك، والقدرة لله.

ثم قال: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾ فتكبرتَ عليَّ. قرأ أبو عمرو،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٦ـ٣٦٧).

وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إذ دَّخلْتَ) بإدغام الذال في الدال، والباقون: بالإظهار[1].

* * *

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿فَعَسَىٰ﴾ فلعل ﴿رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ يعطيني في الآخرة ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدنيا ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على جنتك ﴿حُسۡبَانٗا﴾ مرامي، جمع حسبانة، وهي الصواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا﴾ أرضاً ﴿زَلَقًا﴾ يزلق عليها؛ لملاستها.

* * *

﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ غائراً في الأرض لا سبيل له.

﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ أي: إن طلبته لم تجده، تلخيصه: أرجو أن أُرزق أفضلَ من جنتك، وأن تهلك جنتك. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالونُ عن نافع: (إنْ تَرَنِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2]، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أَقَلَّ)

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٧).

بالمد كما تقدم في (أَنَا أَكْثَرُ)[الآية: ٣٤]، وأثبت نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو الياء في (يُؤْتِيَنِي) وصلاً، وأثبتها ابن كثير ويعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين(١).

* * *

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بالهلاك، فهلكت ثمرته. **قرأ** أبو عمرو: (بِثُمْرِهِ) بضم الثاء وإسكان الميم، **وقرأ** نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: بضم الثاء والميم، **وقرأ** أبو جعفر، وعاصم، وروح عن يعقوب: بفتحهما(٢).

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ هو التصفيق وتقليبهما ظهراً لبطن تندماً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في عمارتها ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها، يعني: أن السقوف وقعت، ثم تهدمت الحيطان عليها، فهي خاوية، والحيطان على العروش، وتعطف على (يُقَلِّبُ).

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ **قرأ** الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: بإسكان الياء، والباقون بفتحها(٣).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٨).

(٢) وقد تقدم قريباً.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ جماعة .

﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من عذابه .

﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ ممتنعاً بنفسه من العذاب . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (يَكُن لَهُ) بالياء على التذكير للفصل بـ(له) ، وقرأ الباقون : بالتاء مؤنثاً ؛ لتأنيث (فئة)(١) .

* * *

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي : في ذلك الوقت ، وهي اسم مكان ، ويستعمل في الزمان .

﴿ ٱلْوَلَٰيَةُ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : بكسر الواو ، يعني : السلطان والملك ، وقرأ الباقون : بفتح الواو(٢) ، بمعنى : النصرة والتولي ؛ لقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

﴿ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ قرأ أبو عمرو ، والكسائي : (الْحَقُّ) بالرفع صفة للولاية ، وقرأ الباقون : بالجر صفة لله(٣) .

= (٢/ ٣١٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٦ـ٣٦٧) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٩٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٤٣) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٩٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٩) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٩٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٤٣) ، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٩ـ٣٧٠) .

(٣) المصادر السابقة .

﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾ أفضل جزاءً لأهل طاعته.

﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أي: عاقبة للمؤمنين، المعنى: ثواب الله تعالى للمؤمنين في الآخرة أفضل من غيره. قرأ عاصم، وحمزة، وخلف: (عُقْبا) بإسكان القاف[1].

* * *

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَٱضْرِبْ ﴾ يا محمد ﴿ لَهُم ﴾ لقومك.

﴿ مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني: المطر ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ ﴾ أي: تكاثف بسبب نزوله ﴿ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ وامتزج الماء بالنبات حتى روي وحَسُن.

﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ عن قريب ﴿ هَشِيمًا ﴾ أي: مهشوماً، تهشَّم: تكسر.

﴿ تَذْرُوهُ ﴾ تفرقه.

﴿ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ فتذهب به، المعنى: شبه الدنيا بما فيها منها بنبات حسن، فيبس فتكسر، ففرقته الريح، فانعدم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الرِّيحُ) بغير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون: بألف بعد الياء على الجمع[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧١).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ من السعادة والشقاوة، والإنشاء والإفناء ﴿مُّقۡتَدِرًا﴾ قادراً.

* * *

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ثم زهَّد تعالى فيها، ووبخ المفتخرين بها، فقال: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ﴾ التي يفتخر بها عيينةُ وأصحابهُ الأغنياء.

﴿زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يتجمَّل بهما فيها[1].

﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ عند الجمهور هي قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ من المال والبنين ﴿ثَوَابًا﴾ جزاءً.

﴿وَخَيۡرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يتعلق بها من الأمل.

* * *

﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَيَوۡمَ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ وتسييرها: إزالتها من أماكنها، وتسييرها كما يسير السحاب؛ كما قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨]. قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير: (تُسَيَّرُ) بالتاء وضمها وفتح الياء، ورفع

---

(١) في «ت»: «فيهما».

(الجبالُ) مجهولاً، وقرأ الباقون: بالنون وضمها وكسر الياء[1]، ونصب (الجبالَ) مفعول (نسير) خبر عن الله تعالى.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس فيها ما يستظل به من شجر ولا بناء، قد ذهب عنها كل ما كان عليها.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ أي: جمعنا المؤمنين والكافرين إلى الموقف والحساب.

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي: نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ إلا قذفته الأرض.

***

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ أي: مصطفِّين، فثَمَّ يقال لهم:

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ فرادى حفاةً عراةً، لا شيء معكم من المال والولد، ولما خرج من قصة إلى قصة، أضربَ فقال:

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ تجازون وتحاسبون فيه، يقوله لمنكر البعث. قرأ الكسائي، وهشام (بَل زَّعَمْتُمْ) بإدغام اللام في الزاي، والباقون بالإظهار[2].

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٣).

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ الذي كتبت فيه أعمالهم ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من الذنوب.

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ عند معاينة ما فيه من القبائح:

﴿ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾ يا هلاكنا! ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ تعجباً من شأنه. وقف أبو عمرو، والكسائي بخلاف عنه على الألف دون اللام من قوله: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ في النساء [الآية: ٧٨]، و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هنا، و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ في الفرقان [الآية: ٧]، ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ ﴾ في سأل [الآية: ٣٦]، ووقف الباقون (فمال) على اللام إتباعاً للخط، بخلاف عن الكسائي(١)، قال ابن عطية: ومنعه قوم جملة؛ لأنها حرف جر، فهي بعض المجرور، وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس، وأما أن يختار أحد الوقف فيما ذكرناه ابتداء، فلا(٢)، انتهى.

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾ عن جلبها(٣) ﴿ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ ﴾ عدَّها وأثبتها.

قال ابن عباس: «الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة»(٤).

---

(١) وقد تقدم عنهم ذلك في سورة النساء.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٨١).

(٣) في «ت»: «تصدر عن جانبها».

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٢٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤١٤).

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ﴾ من خير وشر ﴿حَاضِرًا﴾ مكتوباً لا يغيب منه شيء ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله.

* * *

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا (٥٠)﴾.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ.

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ قرأ أبو جعفر (للملائكةُ) بضم التاء حالة الوصل إتباعاً، وروي عنه إشمام كسرتها الضم، والوجهان صحيحان عنه[١]، وتقدم الكلام على ذلك، وعلى تفسير السجود مستوفىً في سورة البقرة عند تفسير نظير هذه الآية.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال ابن عباس: «كان من حي من الملائكة يقال لهم: الجن، خُلقوا من نار السموم»[٢]، وتقدم في سورة البقرة أنه كان من الملائكة، لا من الجن على الأصح.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: من الملائكة الذين هم خزنة الجنة، قال ابن عطية: ولا خلاف أن إبليس كان من الملائكة في المعنى؛

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠١).

إذ كان مقترناً[1] بالأمر والنهي مرسلاً والملك مشتق من اللائكة، وهي الرسالة، فهو في عداد الملائكة يتناوله قول: (اسجدوا)[2]، وقيل: كان من الجن حقيقة؛ لأن له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عن طاعته.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الهمزة للإنكار دخلت على فاء العطف، والواو لآدم وذريته، والهاء للخبيث، وتقديره: أفتتخذون إبليس وذريته.

﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أعداء.

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ من الله إبليسُ وذريته.

***

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي: ما أحضرتهم، يعني: إبليس وذريته، وقيل: جميع الخلق. **قرأ** أبو جعفر: (مَا أَشْهَدْنَاهُمْ) بالنون والألف على الجمع للعظمة؛ أي: أحضرناهم، **وقرأ** الباقون: بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم[3].

﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ فأستعين بهم على خلقها، وأشاورهم فيها.

---

(١) في «ت»: «متصرفاً».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٤).

﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ عن الدين.

﴿عَضُدًا﴾ أعواناً أعتضد بهم. قراءة العامة: (وَمَا كُنْتُ) بضم التاء، وقرأ أبو جعفر: بفتحها خطاباً للنبي ﷺ[1]؛ أي: لا يجوز ذلك الاعتضاد بأحد من المضلين.

* * *

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿يَقُولُ﴾ قرأ حمزة: (نَقُولُ) بالنون، يخبر تعالى عن نفسه، وقرأ الباقون: بالياء[2]؛ أي: يقول هو تعالى ثَمَّ للكفار: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ بزعمكم؛ يعني: الأوثان ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم يشفعون لكم.

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ لم يجيبوا، ولم يشفعوا.

﴿لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ أي: مهلكاً بينهم وبين آلهتهم.

* * *

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٥).

وخلف، وورش، وابن ذكوان: (رأى) بإمالة الراء والهمزة حيث وقع، وافقهم أبو عمرو في إمالة الهمزة فقط، وروي عن السوسي أربعة أوجه: فتح الراء والهمزة، وكسرهما، وفتح الراء وكسر الهمزة، وعكسه، وروي عن أبي بكر وجهان: كسر الراء وفتح الهمزة، وكسرهما، وروي عن حمزة: كسر الراء وفتح الهمزة، والباقون بفتحهما جميعاً[(١)].

﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ داخلوها.

﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً وانصرافاً.

* * *

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ من كل جنس يحتاجون إليه ليتذكروا ويتعظوا.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ والمراد: جميع الناس، وهو الأصح.

﴿أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ خصومة، المعنى: أن الإنسان أكثر جدالاً من غيره.

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلة، فقال: «ألا تُصلِّيان؟» فقال علي: يا رسول الله! إن أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسولُ الله ﷺ حين قال ذلك، ولم يرجع إليه بشيء،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٥-٣٧٦).

ثم سمعه علي وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول[1]: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2].

* * *

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ القرآنُ والرسولُ ﷺ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ من الذنوب.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ تقديره: وما منع الناسَ الإيمانَ والاستغفارَ إلا انتظارُ إتيان مثل.

﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: سنتنا في إهلاكهم؛ من الغرق والصيحة والظلة[3] والريح وغير ذلك.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ قرأ الكوفيون، وأبو جعفر: (قُبُلاً) بضم القاف والباء، جمع قبيل؛ أي: أصنافاً، وقرأ الباقون: بكسر القاف وفتح الباء، يعني: مقابلة عياناً[4].

---

(١) «وهو يقول» ساقطة من «ت».

(٢) رواه البخاري (١٠٧٥)، كتاب: أبواب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ومسلم (٧٧٥)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٣) في «ت» «الظلمة».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٦).

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ ﴾ للمؤمنين والكافرين.

﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ باقتراح الآيات تعنتاً، والسؤالِ عن قصة أهل الكهف.

﴿ لِيُدْحِضُواْ ﴾ ليبطلوا ﴿ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ من إدحاض القدم، وهو إزلاقها.

﴿ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي ﴾ أي: القرآن ﴿ وَمَآ أُنذِرُواْ ﴾ به من العذاب ﴿ هُزُوٗا ﴾ سخرية. قرأ حمزة وخلف (هُزْؤاً) بجزم الزاي حيث وقع، والباقون: بضمها، وحفص: بإبدال الهمزة واواً[١].

* * *

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٗاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ بالقرآن.

﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ تولى وترك العمل بها.

﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية.

﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفهموا القرآن.

﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٗاۖ ﴾ ثقلاً عن سماع الحق.

---

(١) سلفت في تفسير الآية (٦٧) من سورة البقرة.

﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ والمراد: من حقت عليه الشقاوة ﴿ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون.

* * *

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ﴾ للمؤمنين.

﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ لهم خاصة في الآخرة والرحمة في الدنيا؛ بمعنى: النعمة، فهي تعمُّ المسلمَ والكافرَ.

﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ في الدنيا ﴿ بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ فيها.

﴿ بَل لَّهُم ﴾ أي: لهلاكهم ﴿ مَّوْعِدٌ ﴾ يعني: البعث.

﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ منجاة. قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (يُوَاخِذُهُمْ) (تُوَاخِذْنِي) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[1].

* * *

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المتقدمة؛ كقرى عاد وثمود وغيرهم.

﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ بالتكذيب؛ كقريش.

﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم ﴾ أي: لإهلاكهم ﴿ مَّوْعِدًا ﴾ أجلاً. قرأ أبو بكر

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٧).

عن عاصم: (لِمَهْلَكِهِمْ) بفتح الميم واللام التي بعد الهاء، وقرأ حفصٌ عنه: بفتح الميم وكسر اللام، وهو مصدر هلك، ومعنى القراءتين: جعلنا لوقت هلاكهم، وقرأ الباقون: بضم الميم وفتح اللام على المعنى الأول، وهو مصدر أهلك يهلك[١].

***

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران على الأصح ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ وخادمه هو يوشع بن نون عليه السلام، كان يتبعه ويخدمه، ويأخذ منه العلم.

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير.

﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى العذب والمالح، [وقيل: المراد: المكان الجامع لملتقى بحري فارس والروم مما يلي الشرق][٢]، وقيل غير ذلك، وقالت فرقة: البحران كناية عن موسى والخضر؛ فإن موسى عليه السلام كان بحر علم الظاهر، والخضر بحر علم الباطن، قال ابن عطية: وهذا قول ضعيف[٣]. قرأ أبو عمرو: (لَا أَبْرَح حَّتَّى) بإدغام الحاء الأولى في الثانية[٤].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢-٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٨).

(٤) انظر: «غيث النفع» للصفاقسي (ص: ٢٨١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٩-٣٨٠).

﴿أَوْ أَمْضِيَ﴾ أسير ﴿حُقُبًا﴾ زماناً غير محدود، وجمعه أحقاب، والحقب أقل زمان، وقيل: ثمانون سنة.

* * *

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ أي: موسى وفتاه.

﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أي: بين البحرين، وهو الموضع الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر، وفيه الصخرة، وفيه عين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتاً إلا حيي.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ الذي تزودا به، فأصابه شيء من برد ماء العين، فعاش ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ طريقه. قرأ أبو عمرو: (فَاتَّخَذ سَّبِيلَهُ) بإدغام الذال في السين في الحرفين(١).

﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ مسلكاً يسرب فيه من قوله: ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وإنما كان الحوت مع يوشع، فنسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ونسي يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر.

وملخص القصة: ما روي عن أُبيِّ بنِ كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ قال: أنا، فعتِبَ الله عليه؛ إذ لم يردَّ العلمَ إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا ربِّ فكيف لي به؟ قال:

---

(١) المصدران السابقان.

تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مِكْتل، فحيثما فقدت الحوت، فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً، فجعله في مكتل، ثم انطلق، فانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام، حتى إذا أتيا الصخرةَ التي عند مجمع البحرين، وضعا رؤوسَهما فناما، واضطرب الحوت في المِكْتل حين أصابه بردُ الماء، فخرج منه، فسقط في البحر، فعلم يوشع بأمره، وأمسك الله جِرْيَة الماء عن الحوت، فصار عليه مثلُ الطاق، فصار للحوت سرباً، فلما استيقظ موسى، نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيةَ يومِهما وليلتِهما»(١).

* * *

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ الغداء: ما يعد للأكل أول النهار، والعشاء: آخره ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾ الذي سرنا بعد مجاوزة الصخرة ﴿نَصَبًا﴾ تعباً، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به؛ ليتذكر الحوت، ويرجع إلى مطلبه.

* * *

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٨)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾، ومسلم (٢٣٨٠)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر ـ عليه السلام ـ، عن أبي كعب رضي الله عنه.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ يعني: التي رقد عندها موسى.

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ عند الصخرة.

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ أي: ما أنساني ذكرَه إلا الشيطانُ، وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه. قرأ الكسائي: (أَنْسانِيه) بالإمالة، وقرأ حفص عن عاصم: (أَنْسَانِيهُ إلاَّ) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بكسرها[١].

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس: «أي: اتخذ موسى طريق الحوت في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً»[٢]، وقيل: هو جواب من موسى ليوشع حين قال له: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فقال موسى: ﴿عَجَبًا﴾ أي: أعجب عجباً، قال ابن زيد: «أي شيء أعجب من حوت كان دهراً من الدهور يؤكل منه، ثم صار حياً، ويبس له الماء، قال: وكان شق حوت»[٣].

***

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٠-٣٨١).

(٢) تقدم تخريجه قريباً في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٦).

نطلب؛ لأنه وعد وجود الخضر حيث ينسى بعض متاعه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والكسائي: (نَبْغِي) بإثبات الياء وصلاً، وحذفها تخفيفاً وإتباعاً لخط المصحف، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[1].

﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقتصَّانِ الأثرَ الذي جاءا فيه.

﴿قَصَصًا﴾ مصدر.

***

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] فأتيا الصخرة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ وهو الخضر على الصحيح، واسمه: بليا بن ملكان بن يقطر بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وكان أبوه ملكاً، والخضر لقب له، سمي به لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سُمِّي خضراً؛ لأنه جلس على فَروةٍ بيضاءَ، فاهتزَّت تحته خضراً»[2]، وترك الملك زهداً في الدنيا، وقال مجاهد: سمي خضراً؛ لأنه إذا صلى اخضَّر ما حوله[3]، فأتاه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١ـ٤٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٢١)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى ـ عليهما السلام ـ.

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٦/ ٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٢٠).

موسى وهو مسجًى بثوب مستلقياً على قفاه، فسلم عليه، فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، قال ابن عطية: والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله هل كانت إلا بوحي إليه[1].

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾ نبوة وشفقة ﴿مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وهو علم الباطن اللدني، فقال: يا موسى! أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

***

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ﴾ شرطِ.

﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ علماً يرشدني. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (تُعَلِّمَنِي) بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[2]، **وقرأ** أبو عمرو، ويعقوب: (رَشَداً) بفتح الراء والشين، والباقون: بضم الراء وإسكان الشين، وهما لغتان[3].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٢).

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ولما قال موسى هذا، قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً، وببني إسرائيل شغلاً، فقال موسى: الله أمرني بذلك، فحينئذ ﴿ قَالَ ﴾ الخضر: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ لأنك ترى ما تنكره. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء في الأحرف الثلاثة، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ثم عذر الخضر موسى في عدم صبره، فقال: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ علماً، قال ابن عطية: كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظواهر أقوال الناس وأفعالهم[2].

***

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ إنما استثنى؛ لأنه لم يثق من نفسه بالصبر، وهذه عادة الأنبياء والأولياء. قرأ أبو جعفر: (سَتَجِدُنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3].

﴿ وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ لا أخالفك فيما تأمر.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٢).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، =

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

[٧٠] ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي ﴾ فلا تبدأني بالسؤال ﴿ عَن شَيْءٍ ﴾ أنكرتَهُ مني .

﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ حتى أبتدئك بذكره، وأوضح لك علته. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (تَسْأَلنِّي) بفتح اللام وتشديد النون مكسورة مع إثبات الياء بعدها؛ لأن نون التوكيد المشددة التي يبنى معها[1] الفعل على الفتح دخلت على نون الوقاية، فحذفت، وبقيت نون التوكيد مكسورة للياء بعدها، وروي عن ابن ذكوان راوي ابن عامر حذف الياء في الحالين استغناء بالكسرة عنها، وقرأ الباقون: بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة؛ لأنه لم يلحق الفعل نون التوكيد، وأثبتوا الياء في الحالين إتباعاً لخط المصحف[2]، فلما شرط الخضر على موسى ذلك، قَبِلَ شَرطَه .

* * *

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧١] ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة، فاستحملا صاحبَها، فحملهما بغير أجر .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ ﴾ وبلغا اللُّجَّ .

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٣)، وقرأ بفتح الياء ـ أيضاً ـ نافع .

(١) في «ت»: «معه» .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٧) .

﴿ خَرَقَهَا ﴾ الخضر؛ بأن أخذ فأساً، فاقتلع لوحاً أو لوحين من ألواحها من قبل البحر، فسدَّ موسى الخرقَ بثيابه، و﴿ قَالَ ﴾ للخضر:

﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لِيَغْرَقَ) بالياء مفتوحة وفتح الراء (أَهْلُهَا) برفع اللام فاعلاً، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة وكسر الراء ونصب (أَهْلَهَا) مفعولاً خطاباً للخضر[1].

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ عظيماً منكراً، والإمر في كلام العرب: الداهية، وأصله كل شيء جديد كبير، وروي أن الماء لم يدخلها، وروي أن الخضر أخذ قدحاً من زجاج، ورقع به خرق السفينة.

وفي الآية دليل على أن الوصيَّ له أن ينقص مال اليتيم إذا رآه صلاحاً؛ مثل أن يخاف على ريعه ظالماً، فيخرب بعضه، قال أبو يوسف: لو طمع السلطان في مال اليتيم، فصالحه الوصيُّ من مال اليتيم على الأقل مما طمع، لم يضمن؛ لأنه مأمور بحفظ مال اليتيم ما أمكنه، والحكم في المسألة كذلك بالاتفاق، والله أعلم.

* * *

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ تذكير لما ذكره قبل.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٤).

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ بنسياني. وتقدم مذهب أبي جعفر وورش في (لاَ تُواخِذْنِي) عند قوله: (لَوْ يُواخِذُهُمْ).

﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي ﴾ تغشيني، يقال: رهقه: إذا غشيه.

﴿ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أي: لا تعسر علي متابعتك.

عن النبي ﷺ: «أن الأولى كانت من موسى نسياناً، والثانية شرطاً، والثالثة عهداً»[(١)]. قرأ أبو جعفر: (عُسُراً) (يُسُراً) بضم السين فيهما حيث وقع[(٢)].

* * *

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ فَانطَلَقَا ﴾ بعد خروجهما من السفينة.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا ﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان، أحسنهم وجهاً، فأضجعه الخضر، فذبحه بالسكين ﴿ فَقَتَلَهُ ﴾، قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافراً، ولو عاش، لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٨)، كتاب: الشروط، باب: الشروط مع الناس بالقول، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٦٦١)، كتاب: القدر، باب: معنى: «كل مولود يولد على الفطرة»، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

﴿قَالَ﴾ موسى توبيخاً ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (زَكِيَّةً) بغير ألف بعد الزاي وتشديد الياء، وقرأ الباقون: بالألف وتخفيف الياء[1]، ومعناهما واحد، مثل: قاسية وقسية؛ أي: طاهرة من الذنوب، وقال أبو عمرو بن العلاء: الزاكية: التي لم تذنب قط، والزكية التي أذنبت ثم تابت ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ لم تقتله قصاصاً.

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً، والنكر: أعظم من الإمر. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُكُراً) بضم الكاف حيث وقع، والباقون: بإسكانها، ومعناهما واحد[2].

***

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ﴿۞ قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ لن تطيق معي صبراً، وزاد هنا: (لَكَ) توبيخاً لموسى؛ لأنه كان في الأولى معذوراً.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٥).

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝٧٦﴾.

[٧٦] ولذلك ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ بعد هذه المرة.

﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ وفارقني. **قرأ** روح عن يعقوب بخلاف عنه: (تَصْحَبْنِي) بفتح التاء وإسكان الصاد وفتح الحاء بغير ألف؛ من الصحبة، **وقرأ** الباقون: (تُصَاحِبْنِي) بالألف وضم التاء وكسر الحاء[1]؛ أي: لا تصحبني نفسك، ولا تزودني شيئاً من علمك.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ **قرأ** نافع وأبو جعفر: (لَدُنِي) بضم الدال وتخفيف النون، وروى أبو بكر عن عاصم: بتخفيف النون وإشمام الدال الضم بعد إسكانها، **وقرأ** الباقون: بضم الدال وتشديد النون[2]، فالقراءة بالتخفيف بحذف النون الأصلية، والإتيان بنون الوقاية، ومن شدد أدخل نون الوقاية على الأصلية، فأدغم. المعنى: قد اتضح عذرك عندي في مفارقتي؛ لأني لم أحفظ وصيتك.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٦-٣٨٧).

قال ﷺ: «يرحم[(١)] الله أخي موسى، استحيا فقال ذلك»[(٢)].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى ـ وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه ـ لولا أنه عجَّل، لرأى العَجَبَ، ولكنه أخذته من صاحبه ذَمَامةٌ قال: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ فلو صبر، لرأى العجب»[(٣)].

***

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) ﴾.

[٧٧] ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ هي إنطاكية ﴿ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ طلبا منهم ضيافة، وأعاد ذكر الأهل تأكيداً ﴿ فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ امتنعوا من إطعامهما.

قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف[(٤)].

وعن أبي هريرة قال: أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما، فدعا لنسائهم، ولعن رجالهم[(٥)].

---

(١) في «ت»: «رحم».
(٢) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٠٥).
(٣) رواه مسلم (٢٣٨٠)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر ـ عليه السلام ـ، عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ.
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢).
(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

ومذهب أحمد: يجب على المسلم ضيافة المسلم المجتاز به يوماً وليلة بشرط أن يكون مجتازاً في قرية لا مصر، فإن أبى، فللضيف طلبه به عند الحاكم، فإن تعذر، جاز له الأخذ من ماله، ومن مر بثمر في شجر لا حائط عليه ولا ناظر، فله أن يأكل منه ولا يحمل، وكذا الحكم في الزرع، ولبن في الماشية، وهذا من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة.

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ يسقط، هذا من مجاز كلام العرب؛ لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قرب ودنا من السقوط، وكان الخضر رأى حائطاً ارتفاعه مئة ذراع قد قارب السقوط، فمسحه بيده.

﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ عدله ﴿ قَالَ ﴾ موسى:

﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ويعقوب: (لَتَخِذْتَ) بتخفيف التاء الأولى وكسر الخاء من غير ألف وصل؛ من تَخِذَ يَتْخَذُ: عمل شيئاً، على وزن لعلمت، فابن كثير، ورويس عن يعقوب يظهران الذال عند التاء، وأبو عمرو يدغمها، وقرأ الباقون: بتشديد التاء الأولى وفتح الخاء وألف وصل، وزن لاكتسبت، فيكون اتخذ افتعل، فحفص عن عاصم يظهر الذال، والباقون يدغمونها، وهما لغتان، مثل اتبع وتبع(١)، المعنى: أن موسى قال للخضر: قد علمت حاجتنا إلى الطعام، فلو طلبت على عملك جعلاً، لدفعنا به ألم الجوع.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٥-١٦ و٣١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٨-٣٨٩).

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] فثم ﴿ قَالَ ﴾ الخضر ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ ﴾ أي: لا أصحبك بعد هذا.

﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ سوف أخبرك.

﴿ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ وأنكرته عليّ، فقال له موسى: أخبرني بعلم مالم أستطع عليه صبراً قبل المفارقة.

* * *

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] فقال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾ لضعفاء، وكانوا عشرة إخوة: خمسة زَمْنى، وخمسة ﴿ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ مؤاجرة؛ طلباً للتكسب ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ أي: قدامهم ملك كافر اسمه الجلندا ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

روي أن الخضر اعتذر إلى القوم، وذكر لهم شأن الملك الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها، فإذا جاوزوا، أصلحوها فانتفعوا بها.

والغصب: هو الاستيلاء على مال الغير قهراً بغير حق، وهو محرم بالاتفاق.

واختلفوا في الصلاة في المغصوب، فقال أحمد: لا تصح، ولا يسقط

الطلب بها، وقال مالك والشافعي: يصح مع التحريم، فلا يثاب، وقال الحنفية: تكره، وكذا حكم الحج وسائر العبادات مما له حكم من صحة أو فساد، والعقود كالبيع والنكاح ونحوهما.

***

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ ﴾ خِفْنا.

﴿ أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ يغشيهما.

﴿ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ بأن يطغى عليهما بعقوقهما، أو يحملهما حبُّه على متابعته، وذلك طغيان وكفر.

***

﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا ﴾ يعوضهما.

﴿ رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ صلاحاً وتقوى.

﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ رحمة وعطفاً، ونصبه على التمييز، فأبدلهما الله تعالى جارية تزوجت نبياً، فولدت نبياً، فهدى الله به أمة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يُبَدِّلَهُمَا) بفتح الباء وتشديد الدال من بَدَّل، وقرأ الباقون: بإسكان الباء وتخفيف الدال من أبدل، وهما لغتان[1]، وفرق بعضهم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

فقال: التبديل: تغيير شيء أو تغيير حاله وعينُ الشيء قائمة، والإبدال: رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (رُحُماً) بضم الحاء، والباقون: بجزمها، ومعناهما واحد[1].

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ وكان اسمهما أصرم وصريم.

﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «كان ذهباً وفضة»[2]، وعن ابن عباس: «كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبيه: عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الآخر: أنا الله وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير، وأجريته على يديه، والويل لمن

= (٢/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) رواه الترمذي (٣١٥٢)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الكهف، وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٧).

خلقته للشر، وأجريته على يديه»[1]، وهذا قول أكثر المفسرين.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فحُفِظا بصلاح أبيهما في أنفسهما ومالهما، وقيل: كان الجد السابع.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ حينئذ ﴿كَنزَهُمَا رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ قال أولاً: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ ثم قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، ثم قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ توسعاً في اللغة، قال بعضهم: لما قال الخضر: (فأردت) أُلهم: من أنت حتى تكون لك إرادة؟! فجمع في الثانية، فأُلهم: من أنت وموسى حتى تكون لكما إرادة؟ فخص في الثالثة الإرادة لله[2] تعالى؛ ليعلم أن الكل إليه.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ أي: باختياري، بل بأمر الله وإلهامه.

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع﴾ أي: ما لم تُطق.

﴿عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ اسطاع واستطاع بمعنى واحد.

ولما فارقه موسى، قال: أوصني، قال: لا تطلب العلم لتُحدِّثَ به، واطلبه لتعمل به.

واختلف في حياة الخضر، فكثير من العلماء ذهب إلى أنه حي، وهو يصلي الجمعة في خمسة مساجد: في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد قباء، ومسجد الطور، في كل مسجد جمعة، ويأكل في كل جمعة أكلتين من كمأة وكرفس، ويشرب مرة من ماء

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد» (٢/ ٢١٤).

(٢) في «ت»: «بالله».

لازمزم، ومرة من جب سليمان الذي ببيت المقدس، ويغتسل من عين سلوان.

قال الشيخ أبو محمد نصر البندنيجي: سألت الخضر: أين تصلي الصبح؟ فقال: عند الركن اليماني، قال: وأقضي بعد ذلك شيئاً كلفني الله تعالى قضاءه، ثم أصلي الظهر بالمدينة، ثم أقضي شيئاً كلفني الله قضاءه، وأصلي العصر ببيت المقدس، حكى ذلك صاحب «مثير الغرام»[1] وغيره.

وسبب حياته ـ على ما حكاه البغوي ـ: أنه شرب من عين الحياة[2].

وروى المشرف بسنده، وحكاه غيره: أن الخضر وإلياس ـ عليهما السلام ـ يصومان شهر رمضان ببيت المقدس[3]، ويوافيان الموسم كل عام[4]، وإلياس من أنبياء بني إسرائيل، وذهب قوم إلى أن الخضر ميت؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال ﷺ بعدما صلى العشاء ليلة: «أَرَأَيْتَكُمْ ليلتكم هذه؛ فإن رأس مئة سنة لا يبقى ممن هو اليوم

---

(١) اسم «مثير الغرام» أطلق على ثلاثة كتب، وهي: ١ـ «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» لأبي الفرج ابنِ الجوزي، و٢ـ «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» لشهاب الدين المقدسي المتوفى (٧٦٥)، و٣ـ «مثير الغرام في زيارة الخليل عليه السلام» لإسحاق بن إبراهيم التدمري المتوفى (٨٣٣). انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٥٨٩ـ١٥٩٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ١٩٦): رواه أحمد في «الزهد» بإسناد حسن عن أبي رَواد، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١/ ١٢): وهو معضَل.

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١٩٦): رواه الدارقطني في «الأفراد» من طريق عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً، وفي إسناده محمد بن أحمد بن زيد، وهو ضعيف.

على ظهر الأرض أحد»(١)، ولو كان الخضر حياً، لكان لا يعيش بعده.

* * *

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، وكان في زمن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: اسمه عبد الله، أو مرزبان، وكان عبداً صالحاً، أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله، وهو من ذرية نوح عليه السلام، وسمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس: مشرقها ومغربها، وقيل: بعثه الله إلى قومه، ولم يكن نبياً، فأمرهم بالتقوى، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله تعالى، ثم بعثه مرة أخرى إليهم، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه، فسمي ذا القرنين، وقيل غير ذلك.

قال ابن عطية: أحسن الأقوال أنه كان ذا ظفرتين من شعرهما قرناه، فسمي به، والظفائر قرون الرأس(٢).

وروي أن جميع من ملك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران: نمرود، وبخت نصر.

وتوفي الإسكندر بناحية السواد بشهرزور بعد أن غزا الهند حتى انتهى

---

(١) رواه البخاري (١١٦)، كتاب: العلم، باب: السهر في العلم، ومسلم (٢٥٣٧)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٣٨).

إلى البحر المحيط، فهال ذلك ملوك المغرب، فوفدت عليه رسلهم بالانقياد والطاعة، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي وبحر الشمس في الجنوب في أربع مئة رجل من أصحابه يطلب عين الحياة، فلم يصبها، فسار فيه ثمانية عشر يوماً، وبنى اثنتي عشرة مدينة سماها كلها إسكندرية، وكانت مملكته اثنتي عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، كذا نقله بعض المؤرخين، وقال الكواشي: قالوا: وعاش ألفاً وست مئة سنة، وحكى البيضاوي قولاً أن سبب تسميته بذي القرنين؛ لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس، والله أعلم(١).

﴿ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم ﴾ سأذكر لكم ﴿ مِنْهُ ﴾ من خبره ﴿ ذِكْرًا ﴾ خبراً.

* * *

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بأن قويناه.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ أي: من أسباب كل شيء و(٢)أراده.

* * *

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: اقتفى طريقاً موصلاً إلى مراده. قرأ الكوفيون، وابن عامر: (فَأَتْبَعَ) (ثُمَّ أَتْبَعَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء في المواضع الثلاثة، أي: أدرك، ولحق، وقرأ الباقون، وهم أهل الحجاز والبصرة:

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٥١٩).

(٢) «و» زيادة من «ت».

بوصل الهمزة وتشديد التاء في الثلاثة[1]؛ أي: سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته؛ أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته، والمعنى: سلك طريقاً نحو الغرب.

* * *

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (حَمِئَةٍ) بغير ألف بعد الحاء وهمز الياء؛ أي: ذات حمأة، وهو الطين الأسود، وقرأ الباقون: (حَامِيَةٍ) بالألف وفتح الياء من غير همز[2]؛ أي: حارة، ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين.

وسأل معاوية كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة[3].

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي: عند تلك العين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩ـ١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩ـ١٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤١٢)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ١٩٧ـ١٩٨). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٤٥٠ـ٤٥١).

﴿ قَوۡمٗا ﴾ كافرين، لباسهم جلود الوحش، وطعامهم ما لَفَظَه البحرُ، فخيَّره الله بين أن يعذبَهم، أو يدعوهم إلى الإيمان كما قال تعالى:

﴿ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ ﴾ والمراد منه: الإلهام؛ لأنه لم يكن نبياً على الأصح ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ﴾ يعني: إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام.

﴿ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴾ عفواً؛ أي: خيَّرناك في قتل من لم يؤمن، وفي العفو عنه، أو الأسر بشرط الإيمان.

***

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ قَالَ ﴾ الإسكندر: ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ ﴾ أشرك ﴿ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ﴾ بالقتل في الدنيا.

﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ ﴾ في الأخرى ﴿ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴾ شديداً.

***

﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (جَزَاءً الْحُسْنَى) بالنصب والتنوين وكسره للساكنين؛ أي: فله الحسنى جزاء، ونصب (جَزَاءً) على المصدر، وقرأ الباقون: بالرفع من غير تنوين على الإضافة[١]، فالحسنى: الجنة، وأضاف الجزاء إليها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، =

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ أي: لا نأمره بما يصعب عليه، بل بما يسهل. وتقدم مذهب أبي جعفر في ضم السين من (يُسُراً) عند قوله: (عُسُراً).

* * *

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩﴾.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ أي: سلك طريقاً ومنازل.

* * *

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: موضع طلوعها.

﴿وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ﴾ هم الزنج.

﴿لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ يخصهم؛ لأن أرضهم لا تحمل بناءً ولا شجراً، ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوعها، ويظهرون منها عند ارتفاعها.

روي أنه وصل إليهم رجل، فرأى أناساً يفرش أحدهم أذنه ويلبس الأخرى، قال: فبينا أنا عندهم، إذ سمعت شيئاً كالصلصلة، فغشي عليَّ، فأفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء، إذا هي عليه كهيئة الزيت، فأدخلونا سرباً لهم، فلما ارتفعت، خرجوا إلى البحر يصطادون السمك، فيطرحونه في الشمس، فينضج لهم.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠).

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١﴾.

[٩١] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس، حكم في الذين عند مطلعها كذلك.

﴿وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ﴾ بما عنده من الجند والآلات والعدد والأسباب ﴿خُبۡرٗا﴾ علماً.

* * *

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢﴾.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ يعني: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال.

* * *

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحفص عن عاصم: (السَّدَّيْنِ) بفتح السين، والباقون: بضمها، وهما لغتان معناهما واحد[١]، وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم، فهو السد ـ بالفتح ـ، وما كان من صنع الله، فهو بالضم ـ[٢]؛ لأن السد ـ بالضم ـ فعل مبني لمفعول، وبالفتح مصدر، وهما الجبلان بين أرمينيا وأذربيجان، فلما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٥٩).

وصل إلى السدين ﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا ﴾ أي: من ورائهما.

﴿ قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (**يُفْقِهُونَ**) بضم الياء وكسر القاف على معنى: لا يُفهمون غيرهم قولاً، **وقرأ** الباقون: بفتح الياء والقاف[1]؛ أي: لا يَفهمون كلامَ غيرهم، قال ابن عباس: «لا يفهمون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم»[2].

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ أي: قال مترجمهم:

﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ **قرأ** عاصم: بهمزهما، والباقون: بغير همز تخفيفاً، وهما اسمان أعجميان مثل هاروت وماروت، وهم من ولد يافث بن نوح، والقراءة بالهمز وعدمه لغتان[3]، أصلها من أجيج النار، وهو ضوؤها وشررها، شبهوا به؛ لكثرتهم وشدتهم.

قال المؤرخون: أولاد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث، فسام

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥-١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣).

أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

عن ابن عباس: «هم عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء»[١]؛ لأنه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح، فمنهم من طوله مئة وعشرون ذراعاً، أو خمسون، ومنهم من طوله وعرضه كذلك، ومنهم من يلتحف بأذنه ويفترش الأخرى.

وروي أنهم على مقدار واحد ذكرهم وأنثاهم، طول أحدهم مثل نصف الرجل المربوع منا.

قال علي ـ رضي الله عنه ـ: «منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأنياب وأضراس كأضراس السباع، لهم شعر في أجسادهم»[٢].

فلما وصل ذو القرنين إلى أولئك القوم، قالوا له شكاية: إن يأجوج ومأجوج.

﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالقتل والتخويف وإتلاف الزروع وفعل الخبيث.

﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ جعلاً نخرجه من أموالنا. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (خَرَاجاً) بفتح الراء وألف بعدها، وهو المال المضروب على الأرض يؤدى في كل مدة، **وقرأ** الباقون: بإسكان الراء من غير ألف، مصدر خرج[٣]، وهو الجعل كما تقدم أولاً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٩٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٩٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، =

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ حاجزاً لئلا يصلوا إلينا. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سَدّاً) بفتح السين، والباقون: بضمها، وهما لغتان[1].

* * *

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ أي: قوّاني ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من العلم وطلب ثوابه والمال.

﴿خَيۡرٞ﴾ أفضل مما تعطونني أنتم. قرأ ابن كثير: (مَكَّنَنِي) بنونين مخففتين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة على الأصل، والباقون: بواحدة مكسورة مشددة على الإدغام[2]، المعنى: ثواب الله خير من ثوابكم.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: آلة أتقوى بها ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ هو أكبر من السد، فجاؤوه بذلك، فحفر ما بين السدين حتى بلغوا الماء.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤).

﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ثم قال: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ ﴾ قطعه، جمع زبرة. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رَدْماً ائْتُونِي) بكسر التنوين ووصل التنوين مع همزة ساكنة بعده، من باب المجيء، وإذا ابتدأ، كسر همزة الوصل، وأبدل الهمزة الساكنة بعدها ياءً، والباقون: بقطع الهمزة ومدة بعدها في الحالين؛ من الإعطاء، وورش على أصله يلقي حركة الهمزة على التنوين قبلها[١]، فجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض، وجعل بينهما الحطب والفحم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ ﴾ قرأ أبان عن عاصم: (سَوَّى) بتشديد الواو من غير ألف، وقرأ الباقون: (سَاوَى) بالألف وتخفيف الواو[٢]؛ أي: ملأ.

﴿ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر: بضم الصاد والدال، وروى أبو بكر عن عاصم: بضم الصاد وإسكان الدال، والباقون: بفتحهما، وكلها لغات[٣]، معناها: الناحيتان من الجبلين؛ لأنهما يتصادفان؛ أي: يتقابلان، فلما ملأ ما بينهما بالزبر والحطب، ووضع حوله منافخ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦).

﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ فنفخوا النار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار.

﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ قرأ حمزة، وأبو بكر بخلاف عنه: (قَالَ ائْتُونِي) بوصل الألف وهمزة ساكنة؛ من باب المجيء، وإذا ابتدأا، كسرا همزة الوصل، وأبدلا الهمزة الساكنة ياء، والباقون: بقطع الهمزة ومدة بعدها في الحالين من الإعطاء[1] ﴿أُفْرِغْ﴾ أصب.

﴿عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ نحاساً مذاباً، فجعلت النار تأكل الحطب، وتصير النحاس مكان الحطب، حتى لزم الحديد النحاس، وكان طوله مئة فرسخ، وعرضه خمسين ذراعاً، وارتفاعه مئتي ذراع، وقيل غير ذلك.

***

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوه من فوقه؛ لملاسته ورفعته. قرأ حمزة (فما اسطَّاعُوا) بتشديد الطاء، يريد: فما استطاعوا، فأدغم التاء في الطاء، وجمع بين ساكنين وصلاً، قال ابن الجزري: والجمع بينهما في مثل ذلك[2] جائز مسموع، وقرأ الباقون: بتخفيفها على حذف[3] التاء ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ خَرْقاً؛ لصلابته وسمكه.

***

---

(١) انظر: «معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) «في مثل ذلك» زيادة من «ت».

(٣) المصادر السابقة.

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ .

[٩٨] فلما فرغ منه ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ أي: السد ﴿ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ علي وعليكم؛ لعدم خروجهم بسببه ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أي: وقت خروجهم.

﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ ﴾ قرأ الكوفيون: (دَكَّاءَ) بالمد والهمز من غير تنوين؛ أي: أرضاً ملساء، والباقون: بالتنوين من غير همز[1]؛ أي: مستوياً مع وجه الأرض.

﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ واجباً بالثواب والعقاب وغيرهما، هذا آخر كلام ذي القرنين.

روي أنهم يحفرون كل يوم الردم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيعودون وهو كهيئته، فيحفرونه، ويخرجون، مقدمتُهم بالشام، وساقتهم بخراسان، فيشربون المياه، وينحصر الناس منهم في حصونهم، ولا يقدرون على إتيان مكة والمدينة وبيت المقدس، ويرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيرسل الله تعالى عليهم دوداً في أعناقهم، فيهلكون جميعاً، فيرسل الله عليهم طيراً، فتلقيهم في البحر، ويرسل مطراً يغسل الأرض، وخروجهم يكون بعد خروج الدجال وقتلِ عيسى إياه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨).

﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ .

[٩٩] ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي : بعض يأجوج ومأجوج من وراء السد يوم سد ﴿ يَمُوجُ ﴾ يضطرب ويختلط ﴿ فِي بَعْضٍ ﴾ لكثرتهم وعدم خروجهم .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ ﴾ أي : جميع الخلائق يوم القيامة للحساب .

﴿ جَمْعًا ﴾ في مكان واحد .

* * *

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

[١٠٠] ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ أي : أظهرناها .

﴿ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ حتى يشاهدوها عياناً .

* * *

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

[١٠١] ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ عن القرآن والإيمان به، وقوله (أعينهم) كناية عن البصائر، لا عين الجارحة .

﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ لذكري ؛ لإفراط صممهم عن الحق .

* * *

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الاستفهام للإنكار ﴿ أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي ﴾ أي : ملائكتي وعيسى وعزيراً والشياطين ﴿ مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ المعنى : أفظن

الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني أرباباً ينفعهم، أو لا أعذبهم.

﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ منزلاً، المعنى: جهنم معدة للكافرين كالنزل المعد للضيف. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (دُونِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1]، **وقرأ** الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) بتحقيق الهمزتين، والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تجعل بين بين[2].

***

﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ﴾.

[١٠٣] ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ نصب على التمييز؛ أي: بالذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا.

***

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤ ﴾.

[١٠٤] ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ ﴾ ضاع ﴿ سَعۡيُهُمۡ ﴾ عملهم الخير.

﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ لكفرهم؛ كالرهبان؛ فإنهم خسروا دنياهم وآخرتهم.

﴿ وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ عملاً ينفعهم؛ لعجبهم، واعتقادهم

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٦)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩).

أنهم على الحق. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: (يَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[1].

***

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ بالقرآن ﴿ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ بالبعث ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ بطل اجتهادهم بكفرهم، فلا يثابون على أعمالهم.

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ أي: نزدريهم، فلا يكون لهم مقدار، قال ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾»[2].

***

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من هبوط أعمالهم وخسة قدرهم، مبتدأ ﴿ جَزَآؤُهُمْ ﴾ مبتدأ ثان، خبره ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ وهما خبر (ذلك).

﴿ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ سخرية.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٢)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾، ومسلم (٢٧٨٥)، في أول كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

[١٠٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ ﴾ في علم الله .

﴿ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ ﴾ وهو وسط الجنة ، ومعناه : البستان .

﴿ نُزُلًا ﴾ قال كعب : «ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس ، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»(١) .

***

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ ﴾ لا يطلبون ﴿ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ تحويلاً .

***

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

[١٠٩] ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ ﴾ أي : ماؤه ﴿ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴾ تكتب به ، وهي وعده لأوليائه ، ووعيده لأعدائه وحكمه ، وسمي المداد مداداً ؛ لإمداده الكاتب ، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء .

﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾ أي : فني ماؤه ﴿ قَبْلَ أَن تَنفَدَ ﴾ [أي : تفرغ] .

﴿ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ أي : علمه وحكمه . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (يَنْفَد) بالياء على التذكير لتقديم الفعل ، والباقون : بالتاء على التأنيث(٢)

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٣٦) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٠٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٤٦) ، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٠) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ بمثل ماء البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة عليه، لينفد أيضاً، ولم تنفد[1] كلماته تعالى، ونصبه تمييز.

***

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ منزه عما لا يليق به، وكان كفرهم بعبادة الأصنام، فلذلك خصص هذا الفعل فيما أوحي إليه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يأمل حسن لقائه.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خالصاً ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ لا يرائي بعمله.

قال ابن عباس: نزلت في جندب بن زهير العامري، قال للنبي ﷺ: إني أعمل العمل لله تعالى، فإذا اطلع عليه، سرني، فقال النبي ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يقبل ما شورك فيه»، فنزلت[2].

وعنه ـ عليه السلام ـ: «اتقوا الشِّركَ الأصغرَ»، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»[3].

= (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١).

(١) في «ت»: «لنفد أيضاً، ولم تنفد».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧١). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣١٣)، غريب.

(٣) رواه الإمام أحمد في«المسند» (٥/ ٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١)، عن محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ.

وقال ﷺ: «من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف، عُصِمَ من فتنة الدجال»[1].

وعنه ﷺ: «من قرأ سورةَ الكهف، فهو معصومٌ ثمانيةَ أيامٍ من كل فتنة، فإن خرج الدجال في الأيام الثمانية، عصمه الله من فتنة الدجال»[2].

وروي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، فذكر الدجال، فقال: «آتٍ بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك؛ وإن من أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك، ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل له نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعاً، وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه، ومات أبوه، فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك، وأحييت لك أخاك، ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل له الشياطين[3] نحو أبيه وأخيه، قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به، فأخذ بلحمتي الباب، فقال: مهيم أسماء؟ قلت: يا رسول الله! لقد خلعت

---

(١) رواه مسلم (٨٠٩)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/٤٩ـ٥٠)، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ت»: «الشيطان».

أفئدتنا بذكر الدجال، قال: إن يخرج، فأنا حجيجه، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن، قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله! والله إنا لنعجن عجيننا، فما نخبزه حتى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: يجزئهم ما يجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس»[(١)].

ومما ورد في أمر الدجال: ما روي عن الضحاك أنه قال: «الدجال ليس له لحية، وافر الشارب، طول وجهه ذراعان، وقامته في السماء ثمانون ذراعاً، وعرض ما بين منكبيه ثلاثون ذراعاً، ثيابه وخفاه وسرجه ولجامه بالذهب والجوهر، وعلى رأسه تاج مُرصَّع بالذهب والجوهر، هيئته المجوس، وكلامه الفارسية، تطوى له الأرض ولأصحابه طياً طياً، يطأ مجامعها، ويرد مناهلها إلا المساجد الأربعة: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الطور»[(٢)].

وفي الحديث الشريف: أن عينه اليمنى طافية[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٦/ ٤٥٥)، والطيالسي في «مسنده» (١٦٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٨/٢٤).

(٢) لم أقف عليه، غير أن الألوسي في «روح المعاني» (١٥/ ١١) قال: فقد أخرج أحمد في «المسند» أن الدجال يطوف الأرض إلا أربعة مساجد: مسجد المدينة، ومسجد مكة، والأقصى، والطور... اهـ. والصحيح الثابت أنه «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نَقْبٌ إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها..» كما رواه البخاري (١٧٨٢)، كتاب: فضائل المدينة، باب: «لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم (٢٩٤٣) كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجسَّاسة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٢٥٦)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ .. ﴾، =

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكنني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»(١).

وعن خالد بن معدان قال: عصمة المؤمنين من المسيح الدجال بيت المقدس(٢).

وعن ربيعة بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود الدجال ببطن الأردن، بينكم النهر، أنتم غربيه، وهم شرقيه»، قال ربيعة: فقال المحدث من أصحاب رسول الله ﷺ: فما سمعت بنهر الأردن إلا من رسول الله ﷺ(٣).

والأردن هو نهر الشريعة المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

= ومسلم (١٦٩)، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والدجال، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(١) رواه البخاري (٢٨٩٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، ومسلم (١٦٩)، (٤/ ٢٢٤٥)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٤٤٧)، عن أبي الزاهرية مرفوعاً: «معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال ببيت المقدس. . .».

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»(٢٤٥٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٦٣٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٠٦٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٣٢٣)، عن نهيك بن صريم ـ رضي الله عنه ـ.

مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وهو شرقي بيت المقدس، ومسافته عنه نحو يوم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم التيجان»[(١)].

ويرويه أبو أمامةَ عن رسول الله ﷺ قال: «ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف مُحَلًّى»[(٢)].

وروي أن نبي الله عيسى ﷺ يأخذ من حجارة بيت المقدس ثلاثة أحجار: الأول منها يقول: باسم إله إبراهيم، والثاني: باسم إله إسحاق، والثالث باسم إله يعقوب، ثم يخرج بمن تبعه من المسلمين إلى الدجال، فإذا رآه، انهزم عنه، فيدركه عند باب لُدّ، فيرميه بأول حجر، فيضعه بين عينيه، ثم الثاني، ثم الثالث، فيقع، فيضربه عيسى فيقتله، فيقتل الدجال واليهود، حتى إن الحجر والشجر ليقولان: يا مؤمن هذا تحتي يهودي، فأته فاقتله[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٤)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، لكنه قال: «عليهم الطيالسة» بدل «التيجان»، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وغيرهما، لكن عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢٤٩)، والروياني في «مسنده» (١٢٣٩)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٤٨)، وتمام الرازي في «فوائده» (٢٦٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٢٢٣).

(٣) انظر: تخريج الحديث المتقدم.

قال ﷺ: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم إماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير»[1].

وأما لُدّ، فهي بليدة بأرض فلسطين شمالي مدينة الرملة، مسافتها عن بيت المقدس نحو يوم، والله أعلم.

* * *

(1) رواه البخاري (٢١٠٩)، كتاب: البيوع، باب: قتل الخنزير، ومسلم (١٥٥)، كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم..، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

سورة مريم

عليها السلام

مكية بإجماع، إلا السجدة منها، ففيها خلاف، وآيها تسع وتسعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وثمان مئة وحرفان، وكلمها: تسع مئة واثنتان وستون كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص (١)﴾.

[١] ﴿كهيعص﴾ قرأ أبو عمرو: بإمالة الهاء وفتح الياء، وقرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف: بضم الهاء وإمالة الياء ضد الأول، وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الهاء والياء جميعاً، واختلف عن نافع، فروي عنه إمالتها بين بين، وفتحها، والأول أشهر، وفتحها الباقون، وهم أبو جعفر، وابن كثير، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر يقطع الحروف على أصله، يسكت على كل حرف سكتة يسيرة في جميع أحرف الهجاء من أوائل السور، وأظهرَ دالَ (صاد) عند ذال (ذِكْرُ): نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وأدغمها الباقون، وأشبع مدَّ (ع): ورش بخلاف عنه[١]، واختلف في الحروف التي في أوائل السور

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، =

على قولين: فقيل: هي سر الله في القرآن، لا ينبغي أن يتعرض له، نؤمن بظاهره، ونترك باطنه، وقال الجمهور: بل ينبغي أن يتكلم فيها، وتطلب معانيها؛ فإن العرب قد تأتي بالحرف الواحد دالاً على كلمة، وليس في كتاب الله ما لا يفهم، وتقدم الكلام فيها أول سورة البقرة، قال ابن عباس: (كهيعص): هذه حروف دالة على أسماء من أسماء الله تعالى: (الكاف) من كبير، و(الهاء) من هاد، و(الياء) من علي، و(العين) من عزيز، و(الصاد) من صادق[١]، وقيل: معناه كافٍ لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

***

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ذِكْرُ﴾ خبر مبتدأ؛ أي: المتلوُّ ذكرُ ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ وفيه تقديم وتأخير، معناه: ذكر ربك عبده زكريا برحمته، و(رحمت) بالتاء في سبعة مواضع، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[٢]، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (زَكَرِيَّا) مقصوراً بغير همز حيث وقع، والباقون: بالهمز والمد[٣].

***

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٤١ـ٢٤٥ و٢/ ٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥ـ٢٧).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ٣٠٠)، وغيرهما.

(٢) انظرها في تفسير الآية (٢١٨) في سورة البقرة.

(٣) انظرها في تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ دعا ﴿ رَبَّهُۥ ﴾ في محرابه ﴿ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ سراً جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة. قرأ ابن كثير، وعاصم، وروح عن يعقوب: (زَكَرِيَّاءَ إِذْ) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية(١)، وتقدم ذكر زكريا ووفاته في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [الآية: ٣٧].

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أي: ضعف من الكبر.

﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ كناية عن عموم الشيب، شبهه بلهب النار، ونصبه على التمييز، تقديره: اشتعل شيبُ رأسي. قرأ أبو عمرو: (الرَّأْس شَّيْباً) بإدغام السين في الشين(٢).

﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: عودتني الإجابة فيما مضى، وما أشقيتني قطُّ بِرَدٍّ.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٤)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠).

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ ﴾ العصبة.

﴿ مِن وَرَآءِى ﴾ أي: بعدي؛ ألا يقوموا مقامي في الدين، خاف تضييع بني عمه دين الله، وتغيير أحكامه؛ لما شاهد من بني إسرائيل من تبديل الدين، وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته لئلا يضيع الدين. قرأ ابن كثير: (وَرَائِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١) ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ لا تلد.

﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ﴾ أعطني من عندك ﴿ وَلِيًّا ﴾ ولداً.

***

﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ يَرِثُنِى ﴾ في النبوة والعلم ﴿ وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ الملكَ.

﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ أي: راضياً بقضائك تقياً مرضياً. قرأ أبو عمرو، والكسائي: (يَرِثْنِي وَيَرِثْ) بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء، والباقون: بالرفع على الحال والصفة؛ أي: ولياً وارثاً(٢).

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١).

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾.

[٧] ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾ فيه إضمار؛ أي: فاستجاب الله له دعاءه، فقال، أو: فنودي: (يا زكريا) ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ بولد ﴿ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ سمي به لأنه حيي به الرحم اليائس.

﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ أي: لم يسم قبله يحيى. **قرأ** ابن عامر، وعاصم، وروح عن يعقوب: (يَا زَكَرِيَّاءُ إِنَّا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً خالصة[١]، **وقرأ** حمزة: (نَبْشُرُكَ) بفتح النون وجزم الباء وضم الشين مخففة؛ من البشر، وهو البشرى والبشارة، **وقرأ** الباقون: بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة[٢]؛ من بَشَّرَ المضعف على التكثير، والبشر والتبشير والإبشار لغات فصيحات.

* * *

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ أي: كيف، ومن أين ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾، وليس لي ما أستحق به ذلك، ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ لا تلد.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧ و١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٧-٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧-٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢).

﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يبساً؛ أي: بلغت العتي من أجل الكبر. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: (عِتِيّاً) بكسر العين، والباقون: بضمها، وهما لغتان[1].

***

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] فثَمَّ ﴿قَالَ﴾ جبريل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قلتُ لك.

﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾ أي: خلقُ يحيى من كبيرين ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ سهل.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (خَلَقْنَاكَ) بالنون والألف على لفظ الجمع للتعظيم، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد[2]، وكلاهما إخبار؛ أي: أوجدناك.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل يحيى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ بل كنت معدوماً.

***

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ دلالة على حمل امرأتي. قرأ نافع،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤).

وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِيَ آية) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: صحيحاً من غير خرس، روي أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس، فإذا أراد[2] ذكر الله، انطلق لسانه. روي عن يعقوب وقنبل: الوقفُ بالياء على (لَيَالِي).

* * *

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ صبيحة ليلة حمل امرأته.

﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من المصلَّى، أو من الغرفة، وكان الناس ينتظرونه ليخرج إلى الصلاة، فخرج متغيراً لونُه، فأنكروه وقالوا: مالك يا زكريا؟

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أومأ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إشارة بإصبعه ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلوا.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ طرفي النهار[3]. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (المحرابَ) بالإمالة، والباقون: بالفتح[4].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤).

(٢) «أراد» زيادة من «ت».

(٣) «النهار» ساقطة من «ش».

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤).

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ فيه حذف معناه: يولد له، وقلنا للمولود: يا يحيى ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة بلا اختلاف؛ لأنه ولد قبل عيسى عليه السلام، ولم يكن الإنجيل عند الناس موجوداً ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ النبوة، وقيل: الفهم للتوراة.

﴿صَبِيًّا﴾ شاباً لم يبلغ حد الكهول.

وروي أنه نبيء وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين، وروي أنه قال له الصبيان: لم لا تلعب؟ فقال: أللعبِ خُلِقتُ؟!

* * *

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةًۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: رحمة من عندنا، المعنى: رحمة للخلق، ولأبويه ﴿وَزَكَوٰةًۖ﴾ تطهيراً وبركة وصدقة تصدق الله بها على أبويه وأهل زمانه.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة، ولا هَمَّ بها.

* * *

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: جعلناه محسناً إليهما، مشفقاً عليهما.

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿عَصِيًّا﴾ لربه.

* * *

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾.

[١٥] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ أي: سلامة له من الشيطان.

﴿يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ إلى الموقف.

قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال: يوم ولد فيخرج مما كان، ويوم يموت(١) فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله، فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن(٢).

* * *

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾.

[١٦] ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن ﴿مَرۡيَمَ﴾ يعني: قصتها، وهذا ابتداء قصته ليست من الأولى.

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ أي: اعتزلتهم ناحية ﴿مَكَانٗا﴾ ظرف ﴿شَرۡقِيّٗا﴾ نعته؛ أي: نحو المشرق في بيت المقدس، ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة.

* * *

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾.

---

(١) «ويوم يموت» ساقطة من «ش».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨-٥٩)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ٢٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ١٧٤).

[١٧] ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ ستراً تستتر به؛ لتخلو للعبادة، وقيل: لتغتسل من الحيض، وقد تقدم في تفسير سورة آل عمران أنها كانت لا تحيض.

﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ أتاها جبريل ـ عليه السلام ـ متمثلاً بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَتَمَثَّل لَّهَا) بإدغام اللام الأولى في الثانية[١].

* * *

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾.

[١٨] فلما رأته يقصد نحوها ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ مطيعاً؛ أي: إن اتقيت، فستنتهي لتعوذي. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّيْ أَعُوذُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

* * *

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾.

[١٩] ﴿قَالَ﴾ لها جبريل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ قرأ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٥)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥).

أبو عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع (لِيَهَبَ) بالياء بعد اللام؛ أي: ليهب لك ربك، وقرأ الباقون بخلاف عن قالون: (لِأَهَبَ) بهمزة بين اللام والهاء[1]، وأخبر جبريل عن نفسه؛ لأنه الواهب بأمر ربه، ورسمها (لأهب) ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ ولداً طاهراً لا يقارف ذنباً.

* * *

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿قَالَتْ﴾ مريم: ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ولم يقربني زوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ زانية تبغي الرجال، تلخيصه: إنما يكون الولد من نكاح أو سفاح، وليسا عندي، ولا أحدهما.

* * *

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾.

[٢١] فثَمَّ ﴿قَالَ﴾ جبريل: ﴿كَذَٰلِكِ﴾ أي: كما قلتُ لك.

﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾ أي: خلقُ ولدٍ بلا أب ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ سهل.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾ علامة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ودلالة على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به؛ لأنه سبب الرحمة.

﴿وَكَانَ﴾ ذلك ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مقدراً لا يرد.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦).

قال ابن عباس: أنست به، فنفخ في جيب درعها، فَسَرتِ النفخةُ بإذن الله تعالى[1].

* * *

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أي: حملت عيسى في بطنها.

﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ ﴾ أي: انفردت وهو في بطنها.

﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل بوادي بيت لحم قبل بيت المقدس، بينهما أربعة أميال؛ فراراً من قومها أن يُعيِّروها بولادتها من غير زوج، وكانت مدة الحمل ساعة واحدة في قول ابن عباس، وقيل غير ذلك، وكان سنها ثلاث عشرة سنة، وقد ورد في حديث المعراج الشريف أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين أسري به: «انزلْ فصلِّ، فنزل فصلى، قال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام»[2]، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يبعث بزيت يسرج في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

* * *

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٨٦-٨٧).

(٢) تقدم تخريج حديث الإسراء والمعراج في «الصحيحين» وهذا لفظ النسائي في «سننه» (٤٥٠)، كتاب: الصلاة، باب: فرض الصلاة.

[٢٣] ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾ وهو تحرك الولد للخروج وألم الولادة حتى ذهبت.

﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ وكانت يابسة في الصحراء في شدة الشتاء، التجأت إليها؛ لتستند إليها، وتتمسك بها؛ إذ لم تكن لها قابلة تعينها، أو[١] لئلا يراها أحد.

﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ تمنت الموت استحياء من الناس، ومخافة لومهم. قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتُّ) بكسر الميم، والباقون: بضمها[٢].

﴿وَكُنتُ نَسۡيًا﴾ قرأ حمزة، وحفص عن عاصم: (نَسْياً) بفتح النون، والباقون: بكسرها[٣]، ومعناهما: حقيراً.

﴿مَّنسِيًّا﴾ إذا أُلقي نسي، ولم يلتفت إليه.

* * *

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، وروح عن يعقوب: (مِنْ) بكسر الميم

---

(١) في «ت»: «و».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٨٠)، والمصادر السابقة، وهذه القراءة والتي قبلها رويتا بخلاف عن عاصم.

(تَحْتِهَا) بخفض التاء، وقرأ الباقون: بفتح الميم ونصب التاء[1]، وهو جبريل ـ عليه السلام ـ وكانت مريم على أكمة، وجبريل ـ عليه السلام ـ وراء الأكمة تحتها، لما سمع كلامها، وعرف جزعها، ناداها:

﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهراً صغيراً. قرأ أبو عمرو (جَعَل رَّبُّكِ) بإدغام اللام في الراء[2].

* * *

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] روي أن جبريل ـ عليه السلام ـ أو عيسى ـ عليه السلام ـ ضرب بعقبه الأرض، فظهرت[3] عين ماء عذب، فجرى النهر اليابس، فاخضرَّت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها، فقيل لها: ﴿وَهُزِّي﴾ أي: حركي.

﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ وأميليه إليك، والباء مزيدة للتأكيد، والهز: تحريك بجذب ودفع.

﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ﴾ قرأ حمزة: (تَسَاقَطْ) بفتح التاء والقاف وتخفيف السين، أصله: تتساقط، فحذف إحدى التاءين، وروى حفص عن عاصم: بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين، على وزن تُفاعِل، وساقط بمعنى:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٥)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩).

(٣) في «ش»: «فظهر».

أسقط، والتأنيث لأجل النخلة، **وقرأ** يعقوب: بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، رده إلى الجذع؛ أي: يتساقط، **وقرأ** الباقون: بفتح التاء والقاف وتشديد السين؛ أي: تتساقط، فأدغمت إحدى التاءين في السين[1] ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أي: مجنياً.

* * *

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من ماء النهر.

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ طيبي نفساً بعيسى، وبانتفاء التهمة عنك؛ بحمل النخلة اليابسة، وجري النهر اليابس؛ لأنه إذا شوهد ذلك، لم يستبعد وجود ولد بلا فحل، وقرة العين مأخوذة من القر، وذلك أنه يحكى أن دمع الفرح بارد، ودمع الحزن سخن، وإنما معنى قرة العين: أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع؛ إذ لا حزن بهذا الأمر الذي قرت العين به و(عَيْناً) نصب على التمييز ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ أي: فإن رأيت ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك.

﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ صمتاً، والصوم في اللغة: الإمساك عن الطعام والكلام، أُمرت أن تَنْذُرَ السكوت؛ لأن عيسى يكفيها، ولئلا تجادل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩ـ٥٠).

السفهاء، وعرفتهم بصيامها إشارة، وكان هذا في شريعتهم، ولا يجوز في شرعنا أن ينذر أحد صمتاً.

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ آدمياً؛ أي: أنا ممنوعة من كلام البشر.

* * *

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾ فلما رأوه معها، بكَوْا وحزنوا، وكانوا أهل بيت صالح، ثم ﴿ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ ﴾ أي: فعلت.

﴿ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ عظيماً من الافتراء.

* * *

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ كان رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل، شُبهت به، روي أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل، سوى سائر الناس، شبهوها به على معنى: أنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب.

﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ﴾ عمران ﴿ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟!

* * *

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ إلى عيسى عليه السلام؛ أي: كلموه ليجيبكم،

فغضب القوم، وقالوا: مع ما فعلت تسخرين بنا؟! ثم ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي: وجد.

﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي: في حجر أمه ﴿صَبِيًّا﴾ وكان عيسى يرضع.

* * *

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] فقالت له: تكلم، فأقبل عليهم بوجهه، ثم اتكأ على يساره، وأشار بسبابته، ثم ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ اعترف بالعبودية وهو ابن يوم أو أربعين؛ لئلا يُعبد.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال الأكثرون: أوتي الإنجيل وهو صغيرٌ طفلٌ، وكان يعقل عَقلَ الرجال. قرأ حمزة: (آتَانِيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[(١)]، وقرأ أبو عمرو (فِي المَهْد صَّبِيّاً) بإدغام الدال في الصاد[(٢)] ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

* * *

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ على من آمن بي واتبعني.

﴿أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي﴾ أمرني.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٥)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٣).

﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ قرأ الكسائي: (آتَانِي) (وَأَوْصَانِي) بالإمالة، والباقون: بالفتح[1].

* * *

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى ﴾ أي: وجعلني براً بها؛ أي: كثير الإحسان إليها.

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ بمخالفته.

* * *

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ أي: السلامة عند الولادة من طعن الشيطان.

﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ عند الموت من الشرك.

﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ من الأهوال، ولما كلمهم عيسى بهذا، علموا براءة مريم، ثم سكت عيسى ولم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المعنى ذلك الذي هذه قصته.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٣ـ٤٤).

﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما يقول النصارى من أنه إله، أو أنه ابن الله.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (قَوْلَ الْحَقِّ) بنصب اللام؛ أي: قالَ قولَ الحق، وقرأ الباقون: برفعها[1]؛ أي: هذا الكلام قول الحق، والحق هو الله سبحانه.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكُّون ويختلفون؛ لأن اليهود قالوا: عيسى ساحر كُذاب، وبعض النصارى قال: هو الله، وبعضهم: ولده، وبعضهم: شريكه، وكذبوا جميعاً.

* * *

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥)﴾.

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ أي: ما ينبغي له ذلك، وجيء بـ(مِنْ) للنفي العام؛ [لأنك إذا قلت: ما عندي رجل، جاز أن يكون عندك أكثر من رجل][2]، وإذا قلت: ما عندي من رجل، نفيت أن يكون عندك واحد وأكثر ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ عن صفات المخلوقين.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد كونه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قرأ ابن عامر:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٥)، وقراءة يعقوب في «النشر».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ش».

(فَيَكُونَ) بنصب النون؛ لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً، وقرأ الباقون: بالرفع على معنى: فهو يكونُ[1].

***

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ أطيعوه؛ لاختصاصه بالربوبية.

﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: هو الطريق المشهود له بالاستقامة. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب، (وَإِنَّ اللهَ) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون: بفتحها عطفاً على ما قبل[2]؛ أي: أوصاني بالصلاة والزكاة، وبأن الله.

***

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ أي: اليهود والنصارى، فجعله اليهود ولد زنا، والنصارى إلهاً.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: شهودهم يوم القيامة.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٦).

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ أي : ما أسمعَهم وأبصرَهم .

﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ حين لا ينفعهم ذلك ؛ لأنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا أو لم يبصروا في الدنيا .

﴿ لَكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي : خطأ بيِّن .

* * *

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ هو يوم القيامة يقع فيه الندم على ما فات ﴿ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فرغ من الحساب، واستقر كلٌّ في مقره[1]، ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، ويذبح، وينادى على أهل النار وأهل الجنة : خلود بلا موت ؛ كما ورد به الحديث الصحيح عن النبي ﷺ[2] .

﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ عن الاهتمام لذلك المقام .

﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون به في الدنيا .

* * *

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ بأن نهلك جميع سكانها .

---

(١) في «ت» : «مستقره» .

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٣)، كتاب : التفسير، باب : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾، ومسلم (٢٨٤٩)، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب : النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ .

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة، فيجازون. قرأ يعقوب: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[١].

* * *

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ قرأ هشام: (أَبْرَاهَامَ) بالألف[٢].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالِغاً في الصدق بجميع ما صدر عن الله.

﴿نَّبِيًّا﴾ النبي العالي في الرتبة بإرسال الله إياه.

* * *

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر وهو يعبد الأصنام: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (يَا أَبَتَ) بفتح التاء حيث وقع، والباقون: بكسرها، ووقفاً: (يَا أَبَهْ) بالهاء، ووافقهما في الوقف ابن كثير، ويعقوب[٣].

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ صوتاً ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ العبادة ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ﴾ أي: لا يدفع ﴿شَيْـًٔا﴾ من عذاب الله عنك؟!

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٨).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٨).

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بالله والبيان.

﴿ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ ﴾ على ديني ﴿ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ مستقيماً.

* * *

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ لا تطعه بعبادة الأصنام.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ عاصياً.

* * *

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ ﴾ يصيبك.

﴿ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ قريباً في النار. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّيْ أَخَافُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[١].

* * *

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٤٨).

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ آزرُ توبيخاً: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾ أي: عن عبادة الأصنام.

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ عن شتم الأصنام ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾ قال ابن عباس: معناه: لأضربنك[١]، وقيل: لأشتمنك ﴿وَٱهۡجُرۡنِى مَلِيًّا﴾ حيناً طويلاً.

* * *

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره.

﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ سأسأل الله لك توبة تنال بها المغفرة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ بليغاً في البر واللطف. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ إنه) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢].

* * *

﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ﴾ تعبدون.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٨٩)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ١١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٩).

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام، فارتحل من كوثا إلى الأرض المقدسة ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أعبدُه.

﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي﴾ بعبادته.

﴿شَقِيًّا﴾ أي: عسى أن يجيبني فيك، ولا يخيبني.

* * *

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فذهب مهاجراً.

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد الهجرة.

﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أولاداً كراماً على الله، يأنس بهم بدلَ الكفار.

﴿وَكُلًّا﴾ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

* * *

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ نعمتنا، وهو ما بسط الله لهم في الدنيا من سعة الرزق.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أي: ثناءً حسناً في جميع أهل الأديان، فكلهم يتولونهم، ويثنون عليهم.

* * *

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ الكوفيون (مُخْلَصاً)

بفتح اللام؛ أي: مختاراً اختاره الله لعبادته ونبوته، وقرأ الباقون: بكسرها[1] أي: أخلص هو نفسه لله وحده.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ والرسول من الأنبياء: الذي يكلف تبليغ أمة، وقد يكون نبي غيرَ رسول.

* * *

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ من موسى، لا من الجبل؛ لأن الجبل لا يمين له، إنما ذلك بالنسبة إلى الشخص، والطور: جبل بين مصر ومدين، ويقال: اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أي: مناجياً، قال ابن عباس: معناه: قربه فكلمه[2] ومعنى التقريب: إسماعه كلامه.

* * *

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ من نعمتنا عليه.

﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ وذلك حين سأل ربه فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩١).

﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٣٠ـ ٣١]، فأجاب الله دعاءه، وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه هِبةً له.

* * *

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ﴾ هو ابن إبراهيم عليهما السلام، وهو الذبيح في قول الجمهور، وقالت فرقة: الذبيح إسحاق، والراجح الأول؛ لأن أمر(١) الذبح كان بمنى عند مكة بلا خلاف بين العلماء، وما روي قط أن إسحاق دخل تلك البلاد.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ لم يعد أحداً شيئاً إلا وفى به، روي أنه وعد رجلاً(٢) أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه، فأقام إسماعيل مكانه يومه وليلته حتى رجع إليه الرجل، وقيل: انتظره سنة، قال ابن عطية: وهو بعيد غير صحيح، والأول أصح(٣).

﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرهم ﴿نَّبِيًّا﴾ مخبراً عن الله ـ عز وجل ـ.

* * *

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ قومه وأمته.

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ التي افترضها الله عليهم.

---

(١) «أمر» زيادة من «ت».

(٢) في «ش»: «رجلان».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٢١).

﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ صالحاً زكياً(١)؛ لأنه قام بطاعته.

* * *

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ﴾ وهو جد أبي نوح، واسمه حنوخ ـ بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة ـ، وسمي إدريس، لكثرة درسه الكتب، وهو ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وكان إدريس خياطاً، وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكان من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم الحساب، وأدرك إدريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة، ولما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة، رفعه الله إلى السماء، وكان قد نبأه الله تعالى، وانكشفت له الأسرار السماوية، ونزل عليه جبريل أربع مرات، وله صحف منها: لا تروموا أن تحيطوا بالله خبرة؛ فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين، إلا من آثره. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾.

* * *

﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ الجنة؛ لأنه روي أنه أذيق الموت ساعة، ثم أُحيي، ثم أُدخل الجنة ولم يخرج منها، وقيل: رفع إلى السماء الرابعة، وروي ذلك عن النبي ﷺ(٢)، وقال كعب: صعد به ملك من الملائكة إلى

---

(١) في «ت»: «زاكياً».

(٢) وقد تقدم ذلك في حديث الإسراء والمعراج.

السماء، فلما صار في الرابعة، قبض روحه[1].

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء: اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى عليهم السلام.

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾.

[٥٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ النبيون المذكورون من زكريا إلى إدريس ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يريد: إدريس ونوحاً ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة، يريد: إبراهيم؛ لأنه من ولد سام بن نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يريد: إسماعيل وإسحق ويعقوب ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا ويحيى، وعيسى بن مريم من ذريته ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ أرشدنا واصطفينا.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ من خشية الله، أخبر تعالى أن الأنبياء كانوا يسجدون ويبكون لسماع آيات الله. قرأ حمزة، والكسائي: (وَبِكِيّاً) بكسر الباء، والباقون: بضمها[2]، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في سجود التلاوة وحكمه وسجود الشكر

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٢).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٨) من هذه السورة.

مستوفىً آخر سورة الأعراف. وملخصه أنه كالصلاة يشترط له الطهارة واستقبال القبلة بالاتفاق، ولا يسجد له في وقت نهي عند الثلاثة؛ خلافاً للشافعي، وأما حكمه، فقال أبو حنيفة: هو واجب على التالي والسامع، سواء قصد السماع، أو لم يقصد، ويكبر ويسجد بلا رفع يد، ثم يكبر [ويرفع بلا تشهد ولا سلام، وقال مالك: هو فضيلة للقارىء وقاصد الاستماع، ويكبر][1] لخفضه ورفعه، وليس له تسليم، وقال الشافعي: هو سنة للقارىء والمستمع [والسامع، وينوي ويكبر للإحرام رافعاً يديه، ثم للهوي بلا رفع، ويسجد كسجدة الصلاة، ويرفع مكبراً، ويسلم من غير تشهد، وقال أحمد: هو سنة للقارىء والمستمع][2] دون السامع، وسجوده عن قيام أفضل، ويكبر إذا سجد وإذا رفع، والسلام ركن، وتجزىء واحدة بلا تشهد، وأما سجود الشكر، فقال أبو حنيفة ومالك[3]: هو مكروه، فيقتصر على الحمد والشكر باللسان، وخالف أبو يوسف ومحمد أبا حنيفة، فقالا: هي قربة يثاب فاعلها، وقال الشافعي وأحمد: يسن، وحكمه عندهما كسجود التلاوة، لكنه لا يفعل في الصلاة، وقد وقع الكلام على ذلك بأتم من هذا آخر سورة الأعراف، وذكر اختلاف الأئمة في عدد السجدات ومكانها[4]، ونبه على كل شيء في محله فيما مضى من السجدات، وسيأتي التنبيه على ما بقي منها في محل كل سجدة إن شاء الله تعالى.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) «ومالك» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «محلها».

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ أي: من بعد الأنبياء المذكورين ﴿ خَلۡفٌ ﴾ وهم قوم سوء (فالخلف) ـ بسكون اللام ـ: الطالح، وبفتحها: الصالح، والتلاوة بالأولى(١)، والمراد بالخلف هنا: أهل الكتابين والمجوس ومن لحق بهم.

﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة بتركها ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴾ ملاذ النفس المحرمة ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ وهو واد في جهنم تستعيذ أودية جهنم من حره، أعده الله للزاني المصر عليه، وشارب الخمرة المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور.

* * *

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ صدَّق النبي.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ أدى الفرائض.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء، والباقون: بضم الياء وفتح الخاء(٢) ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ لا ينقصون من أعمالهم شيئاً.

---

(١) في «ت»: «بالأول».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ ﴾ .

[٦١] ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ أي: وعدهم بها وهي غائبة عنهم.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ آتياً.

***

﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢ ﴾ .

[٦٢] ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة.

﴿ لَغۡوًا ﴾ أي: ما يلغى من الكلام ويؤثم.

﴿ إِلَّا سَلَٰمٗاۖ ﴾ أي: لكن سلاماً بمعنى: سلامة.

﴿ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ طرفي النهار، ولا نهار ثَمَّ ولا ليل، بل المراد: مقدارهما.

***

﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ ﴾ .

[٦٣] ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ ﴾ نعطي ﴿ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾ متقياً لله تعالى. قرأ رويس عن يعقوب (نُوَرِّثُ) بفتح الواو وتشديد الراء، والباقون: بالإسكان والتخفيف(١).

***

= ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٠).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥١).

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ هو قول جبريل عليه السلام لما استبطأه النبي ﷺ، فقال له: ذلك لأنا عبيد مأمورون لانفعل شيئاً إلا بإذن.

﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ الدنيا ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ وما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي: مما يلحقه النسيان.

* * *

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من الخلق ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ اصبر على أمره ونهيه ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ أي: شبيها ونظيراً. قرأ أبو عمرو: (لِعِبَادَتِه هَّلْ) بإدغام الهاء في الهاء، (وَاصْطَبِر لِّعِبَادَتِه): بإدغام الراء في اللام، بخلاف عنه في الثاني[1].

* * *

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] [وكان أُبيُّ بن خَلَفٍ ينكر البعث، ففتَّت عظماً، وقال: أنبعث

---

(١) انظر: «غيث النفع» للصفاقسي (ص: ٢٨٦)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٢).

بعد ما صرنا كذا؟! فنزل][1]: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[2] قاله استهزاء وتكذيباً. واختلف القراء في (أَئِذَا)، فقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (إِذَا) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون: بهمزتين على الاستفهام، فالكوفيون، وهشام، وروح، وابن ذكوان بخلاف عنه: يحققون الهمزتين، والباقون: يحققون الأولى، ويسهلون الثانية، ومنهم أبو جعفر، وقالون، وأبو عمرو، ويفصلون بينهما بألف، واختلف عن هشام في الفصل مع تحقيق الهمزتين[3].

***

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ﴾ المعنى: أيقول الإنسان: سأخرج حياً بعد الموت، ولا يتأمل خلقنا له ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل هذه الحالة.

﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فيستدل على أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: (يَذْكُرُ) بتخفيف الذال والكاف مع ضم الكاف؛ من الذكر، وقرأ الباقون: بتشديدهما وفتح الكاف[4]؛ من التذكُّر[5]: التفكر.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٢_٥٣).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٣).

(٥) في «ت»: «التذكير».

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ﴾ .

[٦٨] ثم أقسم بنفسه تعالى فقال: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ أي: الكفار.

﴿ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ معهم؛ لأن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة.

﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾ قبل دخولهم إياها ﴿ جِثِيًّا ﴾ جمع جاثٍ؛ أي: جاثين على الركب، وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه؛ كالأسير ونحوه؛ لهول ذلك الوقت، وضيق المكان.

* * *

﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ﴾ .

[٦٩] ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ ﴾ لنخرجنَّ ﴿ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ طائفةً.

﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ جرأة، يبدأ بالأكثر جرماً، فالأكثر، ثم الذين يلونهم؛ الأعتى فالأعتى منهم.

* * *

﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (٧٠) ﴾ .

[٧٠] ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴾ دخولاً؛ أي: نحن أعلم بالذين هم أحق بالعذاب ودخول النار، المعنى: نحشرهم، ثم نخرج الأعصى فالأعصى منهم، ثم نُدخل النار أولاً أحقَّهم بها، ثم أحقهم بها، على قدر ذنوبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: (جِثِيّاً) في الحرف المتقدم والآتي و(عِتِيّاً) و(صِلِيّاً) بكسر أولهن[١]؛ والباقون: بالضم[٢].

---

(١) في «ت»: «أوائلهن».

(٢) انظر تفسير الآية (٨) من هذه السورة.

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَإِن مِّنكُمْ ﴾ أي: وما منكم ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ داخلها، وأصل الورود: الحضور، ويطلق على الحضور والدخول، فعلي وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يفسران الورود بالدخول، لكنها تكون[١] على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، وعلى الكافرين ناراً، روي أنهم يمرون عليها لا يحسون بها؛ لخمودها، في الحديث: «تقول النار للمؤمن: جُزْ فقد أطفأ نورُك لهبي»[٢].

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ حتم الأمر: أوجبه؛ أي: لازماً قضاه الله عليكم.

* * *

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ الشرك. قرأ الكسائي، ويعقوب: (نُنْجِي) بإسكان النون الثانية مخففاً، والباقون: بفتحها مشدداً[٣].

﴿ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ على الركب، تلخيصه: ورودكم جهنم لا بد منه، ثم نخلص المؤمن منها، ونترك الكافر معذباً فيها.

---

(١) «تكون» زيادة من «ت».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/٢٥٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣٩٤)، وتمام الرازي في «فوائده» (٩٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٢٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٥)، عن يعلى بن منية رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٠ و١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٥).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: القرآن وما بَيَّن الله فيه.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: مشركي قريش: النضر بن الحارث وأصحابه.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يعني: فقراء أصحاب محمد ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين:

﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً. قرأ ابن كثير: (مُقَاماً) بضم الميم: ظرف من قام، والباقون: بفتحها[١]: مصدر من قام.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً، المعنى: قال المشركون للمؤمنين؛ احتقاراً بهم: أينا أطيب عيشاً وأحسن مجلساً نحن أو أنتم؟

***

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة.

﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ لباساً وأموالاً ﴿وَرِءْيًا﴾ قرأ أبو جعفر، وقالون عن نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر[٢]: (وَرِيّاً) بتشديد الياء غير مهموز؛ من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٦).

(٢) «عن ابن عامر» ساقطة من «ت».

الري بمعنى النعمة[١]، وقرأ الباقون: بهمزة ساكنة بين الراء والياء[٢]: هو المنظر والهيئة] (وَزِيّاً) بالمعجمة؛ من الزينة، والتلاوة بالأول والثاني.

* * *

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ ﴾ أي: الكفر ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر؛ أي: يمهله في غيِّه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ ﴾ في الدنيا؛ بأن ينصر الله المسلمين عليهم، فيعذبهم بالقتل والأسر.

﴿ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ يعني: القيامة، فيصيرون إلى النار.

﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ منزلاً إذا صاروا في النار ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ عدداً وقوة إذا نصر الله المسلمين.

* * *

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ ﴾ آمنوا بالإيمان ﴿ هُدًى ﴾ إيماناً ورشداً ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ الأعمال الصالحة؛ من الذكر وغيره.

﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ عاقبة.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ونزل فيمن سخر بالبعث، وهو العاص بن وائل السهمي: قال خباب بن الأرت: كان لي على العاص بن وائل دين، فتقاضيته، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني إذا مت ثم بعثت، فسيكون لي ثَمَّ مال وولد، فأعطيك، فإنكم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة؛ استهزاء واستخفافاً، فنزل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾[١] قرأ حمزة والكسائي: (وَوُلْداً) بضم الواو وإسكان اللام في هذا الحرف، وفي الثلاثة الآتية: جمع ولد كأسَد وأُسْد، وقيل ـ بالفتح ـ: الابن والابنة، وبالضم: الأهل، و قرأ الباقون: بفتح الواو واللام فيهن[٢] .

* * *

﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾ أي: نظر في اللوح المحفوظ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ أي: عهد إليه أنه يعطيه ذلك .

* * *

(١) رواه البخاري (٤٤٥٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾، ومسلم (٢٧٩٥)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٨) .

﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ﴿ كَلَّا ﴾ رد عليه، يعني: أنه مخطىء فيما تصوره لنفسه.

﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ سنحفظ عليه قوله، فنجازيه عليه.

﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ نزيده عذاباً فوق عذابه.

***

﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ .

[٨٠] ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ أي: نهلكه ونورث ماله وولده غيره.

﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ بلا أهل ولا مال.

***

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ ﴾ .

[٨١] ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ ﴾ يعني: مشركي قريش.

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ أصناماً يعبدونها ﴿ لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾ ليعتزوا بهم.

***

﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

[٨٢] ﴿ كَلَّا ﴾ تفسيرها كالتي تقدمت ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ أي: ستجحد الآلهة عبادة المشركين.

﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ على المشركين ﴿ ضِدًّا ﴾ أي: ضد العز، وهو الذل.

***

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ثم عَجَّب تعالى نبيه ﷺ منهم بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ سلَّطناهم ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ تزعجهم إزعاجاً ، وتسوقهم إلى المعاصي بسرعة ، وأصل الأَزِّ : الحركة مع صوت متصل ؛ من أزيز القِدْر : غليانها .

* * *

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ثم سلاَّه بقوله : ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ بطلب العذاب قبل حينه .

﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ﴾ أنفاسهم وأعمارهم وأعمالهم ؛ ليستوفوا آجالهم .

﴿ عَدًّا ﴾ فلا يزادون عليها ، ولا ينقصون منها .

* * *

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي : واذكر يا محمد يوم .

﴿ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ نجمعهم من قبورهم .

﴿ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ ركباناً ، جمع وافد .

* * *

﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ جمع وارد ، فيساقون رجَالة عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش .

* * *

﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ أي: لا يشفع ثَمَّ ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ توحيداً وإيماناً، المعنى: لا يشفع إلا المؤمن المأمور بالشفاعة المأذون له فيها، ولا يشفع إلا لمن أذن له أن يشفع فيه، وروي أن أهل العلم والفضل والصلاح يَشفعون فيُشفعون.

* * *

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله.

* * *

﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾ منكراً عظيماً.

* * *

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قرأ نافع، والكسائي: (يَكَادُ) بالياء على التذكير؛ لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث (السَّموات)(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، =

﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء وفتح الطاء مشددة من التفطر، وقرأ الباقون: بالنون وكسر الطاء مخففة؛ من الانفطار، ومعناهما واحد(١)؛ أي: يتشققن ﴿مِنْهُ﴾ أي(٢): من قولهم الكفر ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: تنخسف.

﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: سقوطاً من سماع قولهم.

* * *

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ﴿أَن دَعَوْا﴾ يعني: لأن جعلوا ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

* * *

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ثم نفى سبحانه عن نفسه الولد فقال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ المعنى: لا يتأتى له تعالى اتخاذ الولد؛ لأن اتخاذ الولد إنما يكون لحاجة ومجانسة، والله تعالى منزه عن ذلك؛ لامتناعهما في حقه سبحانه.

* * *

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما منهم.

= و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦١)، وقرأ «يكاد» نافع والكسائي، دون حفص.

(١) المصادر السابقة.

(٢) «أي» زيادة من «ت».

﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يوم القيامة ﴿عَبۡدٗا﴾ ذليلاً خاضعاً.

واستدل بعض العلماء على أن الولد يعتق على والده إذا ملكه بأي وجه من وجوه الملك، وأن الولد لا يكون عبداً بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾، وقد اتفق الأئمة على أن من ملك والديه، وإن علوا، وأولاده، وإن سفلوا، فإنهم يعتقون عليه بملكه لهم، وأن ولاءهم له، واختلفوا فيما عدا الوالدين، والمولودين فقال أبو حنيفة وأحمد: كل ذي رحم محرم منه إذا ملكه، عتق عليه، وله ولاؤه، وقال مالك في المشهور عنه: يعتق عليه الوالدون والمولودون من علو وسفل، والإخوة والأخوات من كل جهة فقط دون أولادهم، وقال الشافعي: لا يعتق إلا عمود النسب من عُلْو وسُفْل فقط.

***

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾.

[٩٤] ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ عَلِمَهم كلَّهم، فلا يخفى عليه أحد.

***

﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ وحيداً من ماله وولده، والكل اسم لجملة مرعية عن أجزاء محصورة، وكلمة (كل) عام تقتضي عموم الأسماء والإحاطة على سبيل الانفراد، وكلمة (كلما) تقتضي عموم الأفعال.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ .

[٩٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ محبة .

* * *

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ .

[٩٧] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ ﴾ سهلنا القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك يا محمد .

﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : المؤمنين . قرأ حمزة : (لِتَبْشُرَ) بفتح التاء وتخفيف الشين وضمها؛ من البشر، وهو البشرى والبشارة، والباقون : بضم التاء وتشديد الشين مكسورة[1] ؛ من بَشَّر المضعف على التكثير ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ جمع ألد، وهو الشديد الخصومة .

* * *

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ .

[٩٨] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ أمة ﴿ هَلْ تُحِسُّ ﴾ أي : ترى .

﴿ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ صوتاً خفياً، والله أعلم .

* * *

---

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٧ـ٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦٢) .

سُورَةُ طه

عَلَيْهِ السَّلَام (١)

[مكية، وآيها مئة وخمس وثلاثون آية](٢)، وحروفها: خمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً، وكلمها ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ١﴾.

[١] ﴿طه﴾ قرأ أبو عمرو، وورش بخلاف عنه: بفتح الطاء وإمالة الهاء، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإمالتهما جميعاً، وقرأ الباقون: بفتحهما(٣)، وأبو جعفر: بتقطيع الحروف على أصله(٤)، ولم يُمِل أحد الطاء مع فتح الهاء، و(طه) اسم من أسماء محمد ﷺ، وقيل: معناه بالسريانية: يا رجل، وقيل: هو قسم أقسم الله

---

(١) «عليه السلام» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين بياض في «ش».

(٣) في «ت»: «بفتحها».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦٧).

بطَوْله وهدايته، وقيل: هو أمر من الوطء، والهاء كناية عن الأرض؛ أي: اعتمد على الأرض بقدميك.

* * *

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ أي: لم ننزله عليك لتتعب به.

نزلت لما أطال رسول الله ﷺ القيام في الصلاة وبالغ فيه حتى قام على إحدى رجليه بعد نزول القرآن، فأمره الله أن يخفف على نفسه؛ شفقة عليه، وإكراماً له(١). أمالَ رؤوسَ آي هذه السورة: ورش عن نافع، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف(٢).

* * *

﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن نزلناه عظة وتذكيراً بالأحكام.

﴿ لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ اللهَ تعالى.

* * *

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ تَنزِيلًا ﴾ بدل من قوله: (تَذْكِرَةً).

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦٩).

﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ صفة أقامها مقام الموصوف، والعلى: جمع العليا.

* * *

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾.

[٥] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ رفع بالابتداء ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ استواء يليق بعظمته بلا كيف، وهذا من متشابه القرآن، نؤمن به، ولا نتعرض لمعناه، وقال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه لرجل سأله عن الاستواء، فقال له مالك: «الاستواء معلوم ـ يعني: في اللغة ـ، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني»، فأدبر الرجل وهو يقول: يا أبا عبد الله لقد سألت فيها أهل العراق وأهل الشام، فما وفق فيها أحد توفيقك(١).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال: «هو كما أخبر، لا كما يخطر للبشر».

وتقدم الكلام على ذلك مستوفىً(٢) في سورة الأعراف.

* * *

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾.

[٦] ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من جميع المخلوقات.

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥ـ٣٢٦).

(٢) «مستوفىً» ساقطة في «ت».

﴿ وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ التراب النديّ تحت الظاهر .

* * *

﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ ترفع صوتك به .

﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ ما أسره لغيره .

﴿ وَأَخۡفَى ﴾ هو ما أسر في نفسه .

* * *

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ وَحَّدَ نفسه سبحانه .

﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ يريد: التسميات التي تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن، وتقدم ذكر الأسماء الحسنى، والكلام عليها في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [الآية: ١٨٠].

* * *

﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَهَلۡ ﴾ أي: وقد ﴿ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ استفهام بمعنى التقرير .

* * *

﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عن هشام وأبي بكر: (رَأى) بإمالة الراء تبعاً للهمزة، وأمال

أبو عمرو الهمزة فقط[1]، وملخص القصة: أن موسى استأذن شعيباً ـ عليهما السلام ـ في الخروج بزوجته، فأذن له، فخرج بها سائراً على غير الطريق غيرة نحو الطور الأيمن الغربي في ليلة شاتية باردة، فأخذ امرأتَه الطلقُ، فقدح زنده مراراً فلم يورِ، فأبصر ناراً من بعيد.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أقيموا. قرأ حمزة (لِأَهْلُهُ امْكُثُوا) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بكسرها فيه[2].

﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة نار في طرف عود أو فتيلة. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (إِنِّيْ آنَسْتُ)، و(لَعَلِّيْ آتِيكُمْ) بإسكان الياء فيهما، ووافقهم ابن عامر في الأول، والباقون: بفتح الياء فيهما[3]، ولم يقل: (آتيكم) بلا (لعلي)؛ لأنه لم يكن متيقناً الوفاء بالوعد ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أي: هادياً يدلني على الطريق.

* * *

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ رأى شجرة خضراء من العَوْسَج من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد، وسمع[4] تسبيح الملائكة، وأُلقيت عليه السكينة، فثَمَّ ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧١).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧١).

(٤) في «ت»: «تسمَّع».

﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ **قرأ** أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (أَنِّي) بفتح الهمزة؛ أي: بأني، وأبو عمرو: يدغم الياء في الياء في قوله (نُودِي يَّا مُوسَى)، والباقون: بكسرها؛ أي: نودي موسى، فقيل إني[١]، فنافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: يفتحون الياء، والباقون: يسكنونها، رُوي أنه لما سمع هذا النداء، فقال: من المتكلم؟ فقال تعالى: (أَنَا رَبُّكَ).

﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾ أي: ألقهما؛ لأنهما كانا من جلد حمار ميت.

﴿ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ ﴾ المطهر. وقف يعقوب: (بِالْوَادِي) بإثبات الياء[٢] ﴿ طُوٗى ﴾ فخلعهما وألقاهما، ورأى الوادي. **قرأ** الكوفيون، وابن عامر: (طُوًى) بالتنوين، على أنه اسم الوادي، **وقرأ** الباقون: بغير تنوين، على أنه اسم البقعة، واتفقوا على ضم الطاء[٣].

وعن ابن عباس: «قيل له: (طوى)؛ لأن موسى طواه بالليل إذ مر به، فارتفع إلى أعلى الوادي»[٤]، فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه؛ كأنه قال: إنك بالواد الذي طويته طوى؛ أي: تجاوزته فطويته بسيرك.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٦٠).

﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ قرأ حمزة: (وَأَنَّا) بتشديد النون (اخْتَرْنَاكَ) بالنون مفتوحة وألف بعدها على الخبر عن نفسه، بلفظ الجمع في الكلمتين؛ تعظيماً لله تعالى، وقرأ الباقون: (وَأَنَا) بتخفيف النون (اخْتَرْتُكَ) بتاء مضمومة من غير ألف[١]، على لفظ الواحد فيهما على الخبر عن نفسه في اللفظ، ومعناه: إني اصطفيتك برسالاتي ﴿ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ إليك.

* * *

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنَّنِيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

﴿ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ لعبادتي؛ لأن الصلاة مشتملة على قراءة، والقراءة مشتملة على أذكار. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِذِكْرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣].

* * *

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ القيامة ﴿ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ أُسِرُّها، ولا أقول:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠-١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٤).

(٣) المصادر السابقة.

هي آتية؛ أي: أسترها عن العباد، ولا أذكرها لهم؛ لأنهم إذا لم يعلموا متى قيامها، كانوا على وَجَلٍ منها في كل وقت ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ بعملها من خير وشر.

***

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم نهى تعالى موسى ﷺ، والمراد: غيره بقوله: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ من الكفار.

﴿ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في عبادة غير الله ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ فتهلك إن انصددت عنها.

***

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَمَا تِلْكَ ﴾ أي: وما التي ﴿ بِيَمِينِكَ ﴾ في يدك اليمنى ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ سؤال تقرير، والحكمة فيه تنبيهه على أنها عصا، حتى إذا قلبها حية، علم أنه معجز عظيم، وهذا على عادة العرب، يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا، وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

ويروى أن[١] عصا موسى هي التي هبط بها آدم من الجنة، وأنها من ورق آس من أحد الخطوط المستطيلة في وسط الورقة، وأن طولها اثنا عشر ذراعاً بذراع موسى عليه السلام، وكانت العصا شعبتين، وفي أسفلها سنان، ولها محجن.

---

(١) في «ت»: «أنه».

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ فقيل: ما تصنع بها؟ قال: ﴿ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ أعتمد عليها عند الوثبة، ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ أي: أضرب بها الأغصان ليسقط ورقها، فترعاه الغنم، (وَأَهُسُّ) بالمهملة: أزجر بها[1]، والتلاوة بالأول.

﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ ﴾ جمع مأربة ـ بضم الراء وفتحها ـ؛ أي: حوائج ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ على تأنيث الجمع في المعنى، وأراد بالمآرب: ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد، ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويحارب بها السباع، وتماشيه وتحدثه، ويركزها فتورق، وتحمل أي ثمرة أحب له[2]، وتضيء له شعبتاها[3] في الليل كشمعتين، وتطرد عنه الهوام، وغير ذلك[4]. قرأ ورش، وحفص: (وَلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[5].

(١) وهي قراءة عكرمة، انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١١٧).
(٢) «له» ساقطة من «ت».
(٣) في «ت»: «شعبتها».
(٤) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٤٦): «وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية».
(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٧).

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى : ﴿ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ انبذها .

***

﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] قال وهب : ظن موسى أنه يقول : ارفضها ، ﴿ فَأَلْقَىٰهَا ﴾ على وجه الرفض[١] ، ثم حانت منه نظرة ، ﴿ فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ ﴾ عظيمة ﴿ تَسْعَىٰ ﴾ تمشي مسرعة على بطنها ، قال هنا : (حَيّة) ، وفي غيره (جَانّ) ، وهو الخفيف من الحيات ، و(ثعبان) ، وهو عظيمها ؛ لأن الحية تعم الذكر والأنثى ، والصغير والكبير .

***

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] فلما رآها لا تمر بحجر إلا ابتلعته ، ولا شجر إلا اقتلعته ، ويُسمع لأنيابها صريف شديد ، ولى مدبراً وهرب ، ثم ذكر ربه ، فوقف استحياء منه ، ثم نودي : أن يا موسى! أقبل ، ارجع حيث كنت ، فرجع وهو شديد الخوف ﴿ قَالَ ﴾ تعالى : ﴿ خُذْهَا ﴾ بيمينك .

﴿ وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي : سنردها عصا كما كانت ، فأدخل موسى يده في كمه ليأخذها ، فسمع النداء : أرأيت لو أذن لها أن تضربك كان يغنيك؟! فكشف يده وأدخلها في فيها ؛ فإذا هي عصا كما

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦١) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٧) .

كانت، ويده في شعبتيها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ، وأري ذلك موسى عند المخاطبة؛ لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون.

* * *

﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ثم نبه على آية أخرى فقال: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ أي: اجمعها إلى جيبك ما بين أسفل العضد إلى الإبط، وأصله من جناح الطير؛ لأنه يجنح به؛ أي: يميل، فكأن الإنسان يجنح بجانبيه عند العطفات والالتفات، المعنى: أدخلها تحت عضدك.

﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ برص، فكان ليده نور ساطع يضيء كضوء الشمس والقمر.

﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ دلالة على صدقك.

* * *

﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ لِنُرِيَكَ ﴾ المعنى: فعلنا ذلك لنريك.

﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية ﴿ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ العظمى(١)، وكانت يده أكبر آياته.

* * *

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ ترفَّع وعلا وتجاوز الحد في الكفر.

* * *

---

(١) «العظمى» زيادة من «ت».

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ قَالَ ﴾ موسى:

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ وسِّعه لتحمل الحق والمشاق، ورديء أخلاق فرعون وجنده.

* * *

﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَيَسِّرْ ﴾ سَهِّل ﴿ لِىٓ أَمْرِى ﴾ لأبلِّغ الرسالة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

* * *

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً ﴾ رتة ﴿ مِّن لِّسَانِى ﴾ حدثت بسبب إلقائي الجمرة في فيَّ، وذلك أن موسى في صغره لطم فرعون لطمة عظيمة، وأخذ بلحيته، فأراد قتله، فقالت آسية: أيها الملك! إنه صغير لا يعقل، جرِّبْه إن شئت، فجعل في طست جمراً، وفي آخر جوهراً، ووضعتهما لدى موسى، فأراد أخذ الجوهر، فأخذ جبريل يده ووضعها على الجمر، فأخذ جمرة ووضعها في فيه، فاحترق، فصار بلسانه لُكْنة منها[٢].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٩).

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٥٤): «رواه النسائي في «السنن الكبرى»، وأخرجه أبو جعفر بن جرير، وابن أبي حاتم في «تفسيريهما»، كلهم من حديث=

﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ ﴾ .

[٢٨] ﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ أي: احلل العقدة كي يفقهوا كلامي، والفقه لغةً: الفهم.

* * *

﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا ﴾ معيناً ﴿ مِّنۡ أَهۡلِي ﴾ والوزير: من الوزر: الثقل؛ لأن الوزير يتحمل أثقال الملك، ويعتمد عليه.

* * *

﴿ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ﴾ .

[٣٠] وكان هارون أجمل شكلاً، وأفصح لساناً من موسى، فلذلك قال: ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ﴾ .

* * *

﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ ﴾ .

[٣١] ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾ قَوِّ به ظهري.

* * *

= يزيد بن هارون، وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً».

﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ الذي حَمَّلْتني. **قرأ** ابن عامر، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (أَخِي أَشْدُدْ) بفتح الألف في الوصل والقطع، (وأُشْرِكْه): بضم الألف، وسكَّنا الياء من (أَخِيْ)، فهما خبر من موسى[١]، فـ(أَشْدُدْ) جزم جواب الطلب كجواب الشرط، (وأُشْرِكْهُ) عطف عليه، المعنى: أعتضد به أنا، وأجعله أنا شريكي، **وقرأ** الباقون: بوصل همزة (اشدد)، وتبتدأ[٢] بالضم، وبفتح همزة (أَشْرِكْهُ) دعاء من موسى، المعنى: افعل أنت اللهم ذلك به، وفتحَ الياء من (أَخِيَ): أبو عمرو، وابن كثير، وسكَّنها الباقون، وهم: نافع، والكوفيون، ويعقوب[٣]، **وقرأ** ابن كثير: (وَأَشْرِكْهُو فِي أَمْرِي) بإشباع الهاء ووصلها بواو في الدرج، والباقون باختلاس ضمتها[٤].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٩ـ٨٠).

(٢) في «ش»: «تتبدل».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٩).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٠).

﴿ كَىۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ ﴾ .

[٣٣] ﴿ كَىۡ نُسَبِّحَكَ ﴾ تسبيحاً ﴿ كَثِيرٗا ﴾ .

* * *

﴿ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَنَذۡكُرَكَ ﴾ ذكراً ﴿ كَثِيرًا ﴾ فإن التعاون يهيج الرغبات، ويؤدي إلى تزايد الخير.

* * *

﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ ﴾ .

[٣٥] ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾ تعلم أحوالنا. **قرأ** أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (نُسَبِّحك كَّثِيراً وَنَذْكُرك كَّثِيراً إِنَّك كُّنْتَ) بإدغام الكاف في الكاف من الأحرف الثلاثة[1].

* * *

﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ ﴾ .

[٣٦] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ ﴾ طِلْبتك.

﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ مِنَّةً عليك.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴾ قبل هذه المرة.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٠).

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ ألهمناها ﴿ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ ما يُلْهَم .

* * *

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ثم فسر الإلهام فقال : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ ﴾ اجعليه ﴿ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾ فأخذت قطناً محلوجاً، ووضعته في التابوت، وألقت موسى فيه، وشدت عليه وأحكمته؛ لئلا يصل إليه الماء، وكان يدخل من النيل نهر إلى دار فرعون ﴿ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ بحر النيل .

﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أي : الجانب، وسمي ساحلاً؛ لأن الماء يسحله؛ أي : يقشره .

﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ وهو فرعون، وهذا إخبار لأم موسى بصيغة الأمر لليم، فألقته فيه، فدخل دار فرعون، فبصر به، فأمر بإخراجه، فأُخرج، وفتحوا التابوت، فإذا فيه صبي أحسن الناس وجهاً، فأخذه فرعون وأحبه هو وآسيا حباً شديداً؛ بحيث لا يصبران عنه، يصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ قال ابن عباس : «أحبه وحببه إلى الناس»(١)، والواو بعد عاطفة على محذوف تقديره : ألقيت عليك محبة لتحب .

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/ ١٢١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ٢٨٤)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ١٩٦).

﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ لتربى على حفظي ورعايتي. قرأ أبو جعفر: (وَلْتُصْنَعْ) بإسكان اللام وجزم العين، فيجب له إدغامها، وقرأ الباقون: بكسر اللام ونصب العين(١)، وأبو عمرو ورويس: يدغمان العين في العين على أصلهما في إدغام المتماثلين، وفتح نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو الياء من (عَيْنِيَ)، وسكنها الباقون(٢).

***

﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾.

[٤٠] ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ﴾ ظرف (لتصنع)؛ لأن أخته مريم خرجت متعرفة خبره، فجاءتهم، وكان لا يقبل ثدي مرضعة ﴿فَتَقُولُ﴾ أي: فقالت: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ﴾ أي: امرأة تحضنه وترضعه ويقبل ثديها؟ قالوا: نعم، من هي؟ قالت: أمي، قالوا: لها لبن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، فجاءت بالابن(٣)، فقبل ثديها.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحۡزَنَۚ﴾ ليزول حزنها ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ هو القبطي، فاغتممت خوفاً من الله تعالى

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨١).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨١).

(٣) في «ت»: «بالأم».

﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ بأن غفر لك، وأُنجيت من فرعون.

﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ مصدر؛ أي: اختبرناك اختباراً بإيقاعك في المحن، وتخليصك منها ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ عند شعيب، قال وهب: لبث عنده ثمانياً وعشرين سنة: عشر مهر ابنته، وأقام عنده ثماني عشرة سنة حتى ولد له. وتقدم اختلاف القراء في الإدغام والإظهار من (لَبِثْتَ) في سورة الكهف [الآية: ١٩]، ومدين: بين مصر ومكة، مسافتها عن مصر نحو اثني عشر يوماً، وهي منزلة للحجاج، تعرف في هذه الأزمنة بمغارة شعيب، تقدم ذكرها في سورة الأعراف.

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ موعد مقدر في علمي ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ أنك تجيء، وأستنبئك فيه، وكان مجيؤه على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء.

***

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ ﴾ أي: اصطفيتك ﴿ لِنَفْسِى ﴾ بأن جعلتك نبياً.

***

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾ هارون إلى الناس ﴿ بِـَٔايَٰتِى ﴾ التسع.

﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾ تفترا.

﴿ فِى ذِكْرِى ﴾ التسبيح والتقديس والالتجاء إلي.

***

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ بإدعائه الربوبية. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (لِنَفْسِيَ اذْهَبْ) (ذِكْرِيَ اذْهَبَا) بفتح الياء فيهما، والباقون: بإسكانها(١).

***

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ سهلاً؛ أي: ارفقا به، ولا تعنِّفاه، وكَنِّياه؛ لما له من حق التربية، وكان يكنى بأبي مصعب.

﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ ﴿ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ الله، فيسلم، قالوا: تذكر فرعون وخشي، وروي أنه أحب اتباع موسى، فشاور هامان، فقال: كنت أرى لك رأياً وعقلاً، أنت الآن ربٌّ تريد أن تكون مربوباً؟! وأنت منا الآن تُعبد، تريد الآن أن تَعبد؟! فقلبه عن رأيه(٢).

***

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي بهارون، وأوحي إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقاه إلى مرحلة، وأخبره بما أوحي إليه.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٢-٨٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ٢٨٨).

﴿قَالَا﴾ يعني: موسى وهارون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ يعجل عقوبتنا ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

* * *

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بعوني.

﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يصدر منه.

* * *

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ﴾ فأتياه فقالا[1]: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أرسلنا إليك.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بأشغالك الشاقة.

﴿قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ حجة على صدقنا ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ لأن الرسالة لا تثبت إلا بحجة ظاهرة، قال فرعون: وما هي؟! فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ﴾ المنجّي من سخط الله تعالى.

﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ التوحيد.

* * *

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بما جئنا به.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه.

---

(١) في «ت»: «فَأْتياه فقولا» بصيغة الأمر، والصواب «فأتياهُ فَقَالا» بصيغة الماضي.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ خاطبهما أولاً، ثم خص موسى بالنداء؛ لأنه الأصل، وهارون تابعه.

* * *

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ أي: أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: عرَّفَ كيف يُرتفق بما أعطى.

* * *

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ سؤال عن حال الأمم الماضية.

* * *

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عِلْمُهَا﴾ محفوظ.

﴿عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ﴾ اللوح المحفوظ.

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ أي: لا يخطىء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ شيئاً، فلا يترك من كفر به حتى ينتقم منه، ولا من وَحَّده حتى يجازيَه.

* * *

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ قرأ الكوفيون: (مَهْداً) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، مصدر وصف به؛ أي: كالمهد يتمهدونها، وقرأ الباقون: (مِهَاداً) بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها[١]، وهو اسم ما يمهد كالفراش، المعنى: وَطَّأَ لكم الأرض لتسكنوها.

﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي: جعل لكم فيها طرقاً لتسلكوها.

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني: المطر، ثم الإخبار عن موسى ـ عليه السلام ـ، ثم أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن نفسه بقوله:

﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ﴿ مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ مختلفة النفع والطعم واللون، جمع شتيت؛ كمرضى جمع مريض.

***

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ كُلُوا۟ ﴾ من النبات ﴿ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ ﴾ أسيموها فيه؛ أي: أخرجنا مبيحين لكم الأكل ورعي الدواب.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول جمع نهية؛ لأنها تنهى صاحبها عن القبيح.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٥).

﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ثم عرفهم أن الأرض أصلهم ومصيرهم، فقال: ﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ لأنكم من آدم، وآدم من التراب ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ عند البعث ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني: فرعون ﴿ كُلَّهَا ﴾ يعني: الآيات التسع، ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ بها ﴿ وَأَبَىٰ ﴾ الإسلام.

* * *

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ قَالَ ﴾ يعني: فرعون: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ مصر ﴿ بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ هذا تعلل وتحير، ودليل على أنه علم كونه محقاً حتى خاف منه على ملكه؛ فإن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه.

* * *

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ أي: بسحر يماثله ﴿ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ أي: فاضرب بيننا وبينك ميقاتاً، والموعد بمعنى: الوعد؛ لقوله:

﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾ لا نجاوزه ﴿نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ﴾ فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان. قرأ أبو جعفر (نُخْلِفْهُ) بإسكان الفاء جزماً جواب الأمر، فتمتنع الصلة، وقرأ الباقون: بالرفع والصلة[١].

﴿مَكَانٗا سُوٗى﴾ يعني وسطاً بين الموضعين؛ أي: نتواعد مكاناً، فتستوي مسافته على الفريقين. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف: (سُوًى): بضم السين، والباقون: بكسرها، وهما لغتان[٢]، وروي عن أبي بكر إمالة (سُوًى) حالة الوقف؛ وفاقاً لمن قرأ بالإمالة، وروي عنه الفتح أيضاً[٣].

***

﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ۝٥٩﴾.

[٥٩] ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة.

﴿وَأَن يُحۡشَرَ﴾ أن يُجمع ﴿ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ ضحوةً نهاراً؛ ليكون أبعد من الريبة، وأبينَ لكشف الحق.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٧).

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ ﴾.

[٦٠] ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ﴾ مكره وسحرته، وكانوا اثنين وسبعين، وقيل: أكثر من ذلك، وحضر أهل دولته، وجاء موسى ـ عليه السلام ـ ببني إسرائيل معه.

﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ الموعد.

* * *

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١ ﴾.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ يعني: للسحرة: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ وهذه مخاطبة محذور، وندبهم في هذه الآية إلى قول الحق إذا رأوه، ولا يباهتوا بكذب.

فقال: ﴿ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم ﴾ أي: يهلككم ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ عظيم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء، والباقون: بفتحهما، ومعناهما واحد[1].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ على الله تعالى. قرأ حمزة (خَابَ) بالإمالة حيث وقع، واختلف عن ابن ذكوان[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«الكشف» المكي (٢/ ٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٤ـ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٨).

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

[٦٢] ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ يعني: السحرة تناظروا في أمر موسى، وقالوا: إن كان ساحراً، سنغلبه، وإن كان[1] ما يأتي به من السماء، فله أمره.

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ أخفوا كلامهم من فرعون.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

[٦٣] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ تفسير لـ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ :

﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ يعني: موسى وهارون. قرأ أبو عمرو: (إِنَّ) بتشديد النون (هَذَيْنِ) بالياء على الأصل، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (إِنْ) بتخفيف النون (هَذَانِ) بالألف، فابن كثير يشدد النون من (هَذَانِّ)، وحفص يخففها؛ أي: ما هذان إلا ساحران؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٦]؛ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، وقرأ الباقون: (إِنَّ) بتشديد النون كأبي عمرو، و(هَذَانِ) بالألف وتخفيف النون من (هَذَانِ) كحفص، فيكون (إِنَّ) بمعنى: نعم، و(هَذَانِ) مبتدأ، و(سَاحِرَانِ) خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على الجملة، تقديره: هذان لهما ساحران، أو (هذان) مبتدأ، (ساحران) خبره، واللام زائدة[2]، قال

---

(١) «كان» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٨-١٢٩)، =

الكواشي: والقراءة بتشديد (إِنَّ) ونصب (هَذَيْنِ) زعموا أنها مخالفة لخط المصحف، وزعم بعضهم أنما حمله على ذلك خشية اللحن، وهذا طعن في عدالة أبي عمرو وعلمه؛ لأنه هو الذي قرأها؛ لأن هذا يشعر أنه قرأها من تلقاء نفسه، لم يأخذها متواترة عن النبي ﷺ، وأنه غير عالم بتعليل (إِنَّ هَذَانِ) بالرفع وتشديد (إِنَّ)، وكيف يجوز اعتقاد مثل هذا بمن شهد له بالعدالة والبراعة في علم العربية، حتى زعموا أنه قال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ: (إِنَّ هَذَانِ) يعنون: بالرفع وتشديد (إِنَّ)، وكيف يجوز أن يعتقد بأحد من المسلمين أنه يستحيي من قراءة ما صح وتواتر عن النبي ﷺ، مع أن أبا عمرو وغيره من الأئمة كانوا ينشدون ويسمعون الأشعار المنحولة والغريبة، ولا يؤخذ ذلك عليهم، انتهى.

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ بدينكم وشريعتكم ﴿الْمُثْلَىٰ﴾ تأنيث الأمثل، وهو الأعدل.

***

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: (فَاجْمَعُوا) بوصل الهمزة وفتح الميم من جَمَع: لمّ؛ أي: لا تتركوا منه شيئاً. وقرأ الباقون: بالقطع وكسر الميم[1]؛ من أجمع: أحكم؛ أي: أحكموا ما تكيدون به موسى، واعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فينحل أمركم.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٠).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩١).

﴿ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾ أي: مصطفين؛ ليكون أهيب في صدور الناس، فجاؤوه في سبعين صفاً، كل صف ألف، فثَمَّ رغبهم فرعون في غلب موسى بما هو اعتراض فقال: ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ ﴾ فاز بالمطلوب ﴿ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ غلب.

* * *

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) ﴾.

[٦٥] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ يعني: السحرة تأدباً: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ﴾ عصاك ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾.

* * *

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) ﴾.

[٦٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾ ما معكم؛ احتقاراً لهم، وليظهر الحق من الباطل، فألقوه.

﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ﴾ جمع العصا ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر، وروح عن يعقوب: (تُخَيَّلُ) بالتاء مضمومة على التأنيث مع فتح الياء لتأنيث جماعة الحبال والعصي، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير(١)، ردوه إلى الكيد أو السحر.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» للطبراني (٧/ ١٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٢).

﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ روي أنهم ألقوا حبالهم وعصيهم، ولطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس، اضطربت، فخيل إليه وإلى الناس أنها تسير وتتحرك، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب.

* * *

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر ﴿فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ ظناً منه أنها تقصده كعادة البشر.

* * *

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨﴾.

[٦٨] ﴿قُلْنَا﴾ لموسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي[1]: الغالب القاهر لهم.

* * *

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾.

[٦٩] ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ من العصا ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ بقدرة الله تعالى. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (تَلَقَّفُ) برفع الفاء على الحال والاستئناف، وقرأ حفص عن عاصم: بإسكان اللام مع تخفيف القاف والجزم، وقرأ الباقون: بتشديد القاف والجزم جواب (وَأَلْقِ)، فالفاعل موسى، نسب إليه التلقف؛ لأنه كان بسببه، والبزي عن ابن كثير:

(١) «أي» ساقطة من «ت».

على أصله في تشديد التاء من (تّلَقَّفْ) وصلاً؛ كأنه أراد: تتلقف، فأدغم[1].

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ﴾ مكر ﴿سَٰحِرٍ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سِحْرٍ) بكسر السين [وإسكان الحاء من غير ألف؛ أي: حيلة سحر، وقرأ الباقون: بالألف وفتح السين][2] وكسر الحاء، بإضافة الكيد إلى الفاعل، وهي أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية[3] ﴿وَلَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿ٱلسَّاحِرُ﴾ المراد: الجنس ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ من الأرض.

***

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠)﴾.

[٧٠] فألقى موسى عصاه، فالتقمت ما جاؤوا به، فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر، وإنما هو من آيات الله ومعجزاته ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ شكراً لله على الهداية، روي أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في سجودهم، ثم رفعوا رؤوسهم.

و﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدم هارون؛ لكبر سنه.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٣).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٤).

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قرأ حفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب، وقنبل عن ابن كثير بخلاف عنه: (آمَنْتُمْ) بهمزة واحدة على الخبر، والباقون: بهمزتين على الاستفهام، فحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وخلف، وروح عن يعقوب يقرؤون بتحقيق الهمزتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، ولم يدخل أحد منهم ألفاً بين الهمزة المحققة والمسهلة في هذا المحل؛ كما أدخلها من أدخلها منهم في (أَأَنْذَرْتَهُمْ) وبابه؛ لكراهية اجتماع ثلاث ألفات بعد الهمزة[١]، وأبو عمرو يدغم التاء في السين من قوله: (السَّحَرَة سُّجَّداً)[٢]، ومعنى الكل إنكار؛ أي: أصدقتم لموسى، وآمنتم بربه من غير أمري إياكم.

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ لرئيسكم ومعلمكم.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى، و(مِنْ) لابتداء الغاية؛ لأن القطع مبتدأ من مخالفة العضو العضو؛ أي:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٨-٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٥).

لأقطعنها مختلفات، وابتداء الغاية داخلها[1] بالاتفاق، لا انتهاؤها عند المالكية والشافعية والحنابلة، وعن أبي بكر من أصحاب أحمد: إن كانت الغاية من جنس المحدود كالمرافق، دخلت، وإلا، فلا، وعند الحنفية: إن قامت الغاية بنفسها، لم تدخل؛ كبعتك من هنا إلى هنا، وإن تناوله صدر الكلام، فالغاية لإخراج ما وراءه؛ كالمرافق، والغاية في الخيار، ومنع أبو حنيفة دخول العاشر في قوله: من درهم إلى عشرة ونحوِه، وأدخله صاحباه.

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يريد: نفسه وربَّ موسى عليه السلام ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ وأدوم عقاباً.

* * *

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدلالات على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾ أي: ولن نؤثرك على الله الذي فطرنا، فالواو في قوله: (وَالَّذِي) عاطفة، وقيل هي واو قسم، و(فَطَرَنا) معناه: خلقنا واخترعنا.

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾ فافعل يا فرعون ما شئت. روي عن يعقوب وقنبل: الوقف بالياء على (قَاضِي)[2] ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ إنما

---

(١) في «ت»: «داخل».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

تحكم فينا مدة حياتنا؛ فإن سلطانك في الدنيا، وسيزول عن قريب.

***

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ ولما رأوا موسى تحرسه عصاه وهو نائم، قالوا: ليس بساحر؛ لأن الساحر يبطل سحره إذا نام، فكرهوا معارضته خوفَ الفضيحة، فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر، فذلك قوله:

﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ ﴾ و(ما) موصولة منصوبة عطف على (خَطَايَانَا) أي: ليغفر خطايانا، والذي أكرهتنا عليه ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾ عطاءً منك إذا أُطيع ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ عقاباً منك إذا عُصي، وهذا جواب لقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١].

***

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ ﴾ أي: يأت موعدَ ربه.

﴿ مُجْرِمًا ﴾ أي: مشركاً، والمجرم: من اكتسب الخطايا والجرائم.

﴿ فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة ينتفع بها.

قالت فرقة: هذه الآية بجملتها هي من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ؛ تنبيهاً على قبح ما فعل فرعون، وحسنِ ما فعل السحرة، وموعظة وتحذيراً.

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا ﴾ أي: مات على الإيمان.

﴿ قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في الدنيا.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ هي القرب من الله تعالى. قرأ السوسي عن أبي عمرو: (يَأْتِهْ) بإسكان الهاء، (مُومِناً) بإسكان الواو بغير همز، وقرأ أبو جعفر، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب: باختلاس كسرة الهاء، بخلاف عنهم، إلا رويس، وقرأ الباقون: بإشباع الهاء، وكلها لغات[1].

* * *

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي: أطاع الله، وأخذ بأزكى الأمور.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (أَنِ اسْرِ) بوصل الألف؛ من

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٩-٣١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٧).

سرى، ويكسرون النون من (أن) للساكنين وصلاً، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة؛ من أسرى، ومعناهما واحد، وهو سير الليل، وحمزة يسكت على الساكن قبل الهمزة[1].

﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ أي: اجعل ﴿لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ بالضرب بالعصا ﴿يَبَسٗا﴾ يابساً، ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيبس له الطريق في البحر، وتقدم ذكر القصة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [الآية: ٥٠].

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ لحاقاً. قرأ حمزة: (لاَ تَخَفْ) بالجزم على النهي، وقرأ الباقون: بالألف والرفع على النفي[2]؛ لقوله: ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ المعنى: لا تدرَك وأنت آمن.

* * *

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾.

[٧٨] ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾ فلحقهم ﴿فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وكان هو فيهم.

﴿فَغَشِيَهُم﴾ فغطاهم ﴿مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ ما غرقهم، وهو إبهام أهول من النص.

* * *

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٥٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٨).

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ ﴾ من أول أمره وإلى هذه النهاية، ثم أكد تعالى بقوله:

﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ مقابلة لقول فرعون ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩].

* * *

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ فرعون.

﴿ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴾ لما جاءه موسى، وإنزال التوراة عليه.

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ظاهر هذه الآية أن القول قيل لبني إسرائيل حينئذ عند حلول هذه النعم التي عدَّد الله عليهم، وبين خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة وحوادث.

* * *

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ لذائذه ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ لا تجاوزوا حد الله لكم فيه؛ كالسرف والبطر والمنع عن المستحق.

﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ ﴾ فيلزمكم(١) عذابي.

---

(١) في «ت»: «فليلزمكم».

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ هلك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (أَنْجَيْتُكُمْ) (وَوَعَدْتُكُمْ) (مَا رَزَقْتُكُمْ) بالتاء المضمومة على لفظ الواحد من غير ألف في الثلاثة، وقرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (وَعَدْنَاكُمْ) بالنون مفتوحة وبعدها ألف؛ من الوعد، وقرأ الباقون، وهم نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن عامر: (وَاعَدْنَاكُمْ) بألف بين الواو والعين؛ من المواعدة[1]، وقرأ الكسائي: (فَيَحُلُّ عَلَيْكُمْ) بضم الحاء، (وَمَنْ يَحْلُلْ) بضم اللام الأولى؛ أي: ينزل، وقرأ الباقون: بكسر الحاء واللام منهما[2]؛ أي: يجب، والحرف الثالث مجمَع عليه، وهو الآتي قريباً.

* * *

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك.

﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدى الفرائض.

﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ لزم السنة.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٠ـ١٠١).

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ولما سار موسى بسبعين رجلاً لمناجاة ربه وللإتيان بالتوراة، فلما قرب من الطور، أسرع المسير نحوه شوقاً إلى مناجاة ربه.

فقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾ أي: أيُّ شيء أوجب سبقك وعجلتك.

﴿ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾؟

***

﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] واقتضى السؤال عن السبب السؤال عن العذر، فقدم العذر اعترافاً منه بالنقص تأدباً مع الله تعالى ﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ ﴾ بالقرب مني يأتون.

﴿ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ ما تقدمتهم إلا بخطا يسيرة لا يُعتد بها عادة، ثم ذكر موجب العجلة فقال:

﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك توجب مرضاتك. قرأ رويس عن يعقوب: (إِثْرِي) بكسر الهمزة وإسكان الثاء، والباقون: بفتحها(١).

***

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾ أي: ابتلينا الذين خلفتهم مع

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٢).

هارون، وكانوا ست مئة ألف، فافتتنوا بالعِجْل غير اثني عشر ألفاً من بعد انطلاقك إلى الجبل.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ بصياغته له؛ لأنه كان سبب ذلك، وكان منافقاً من طائفة من بني إسرائيل يقال لها: السامرة أظهروا الإسلام.

***

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ شديد الغضب.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً، وهو أربعون ليلة.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي: مدة ذهابي عنكم.

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾ يجب.

﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ عهدي.

***

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾.

[٨٧] ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ أي: باختيارنا. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: (بِمَلْكِنَا) بفتح الميم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضمها، والباقون: بكسرها، وكلها لغات بمعنى واحد[1]، وقيل: ضم

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٥)، و«النشر في=

الميم معناه: لم يكن لنا ملك، فنخلف موعدك بقوته وسلطانه، وإنما أخلفناه بنظر أدى إليه ما فعل السامري، وفتح الميم من (مَلْك)، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب، ولا وُفِّقنا له، بل غلبتنا أنفسُنا، وكسر الميم قد كثر استعماله فيما تحوزه اليد، ومعناها كالتي قبلها.

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب: (حَمَلْنَا) بفتح الحاء والميم مخففة؛ أي: حملنا نحن. وقرأ الباقون: بضم الحاء وكسر الميم مشددة مجهولاً[1]؛ أي: حَمَّلَنا غيرُنا.

﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ من حلي قوم فرعون كانوا استعاروها بسبب عرس، فبقيت عندهم، وكانت معهم حين خرجوا من مصر.

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي: طرحنا الحلي في حفيرة.

﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ أي: إلقاءً مثلَ إلقائهم.

﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحلي.

* * *

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ من تلك الحلي المذابة.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٣ـ١٠٤).

(١) المصادر السابقة.

﴿ عِجْلًا جَسَدًا ﴾ مجسداً ﴿ لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ صوت يُسمع.

﴿ فَقَالُواْ ﴾ أي: السامري وأتباعه ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ أي: تركه موسى هاهنا، وذهب يطلبه، تلخيصه: غلبنا بسبب كيد السامري.

***

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ ﴾ أي: يعلمون.

﴿ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ لا يرد عليهم جواباً.

﴿ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ لأنه عاجز عن ذلك، فكيف يتخذ إلهاً؟! هذا غاية الجهل.

***

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ قبل أن يرجع إليهم موسى:

﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ أي: بالعجل محنةً واختباراً، فلا تعبدوه.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ لا شريك له.

﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ على ديني في عبادة الله ﴿ وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾ الذي أمركم به.

***

﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ أي: لا نزالُ نعبدُه.

﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ فاعتزلهم هارون بمؤمنيه.

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

[٩٢] فلما رجع موسى، وسمع الصياح، وكانوا يرقصون حول العجل، قال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة، فلما بصر بهارون، أخذ شَعره بيمينه، ولحيته بشماله، و﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾ بعبادة العجل.

***

﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ .

[٩٣] ﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ ﴾ (لا) زائدة، المعنى: أي شيء صدَّكَ عن قتالهم وصدّهم واللحوق بي؟ أثبت نافع وأبو عمرو الياء في (تتَّبِعَنِي) وصلاً، وأثبتها في الحالين: أبو جعفر، وابن كثير، ويعقوب، وفتحها أبو جعفر وصلاً، وحذفها الباقون في الحالين[1].

﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ بالصلابة في الدين والمحاماة عليه؟

***

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ .

[٩٤] ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ ﴾ أي: بشعر رأسي، وكان قد أخذ ذؤابته. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٥).

عاصم: (يَبْنَؤُمِّ) بكسر الميم على حذف الياء تخفيفاً، والباقون: بفتحها[1]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (بِرَأْسِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ إذا قاتلت أحدَ الفريقين بالآخر.

﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ لم تحفظ وصيتي حين قلت لك: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢]؛ أي: ارفق بهم.

***

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ثم أقبل موسى على السامري ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ أي: ما طلبك.

﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ وما الذي حملك على فعلك؟

***

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ﴾ أي: علمت ما لم يعلموا ﴿بِهِۦ﴾. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (تَبْصُرُوا) بالتاء على الخطاب، والباقون: بالغيب على الخبر[3].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٧)، =

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أخذت ملء كفي من تراب موطىء فرس جبريل عليه السلام.

﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ ألقيتها في فم العجل المصاغ. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب: (فَنَبَذْتُهَا) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[1]، فإن قيل: كيف عرفَ جبريلَ ورآه من بين سائر الناس؟ قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيه البنون، وضعته في كهف حذراً عليه، فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما حدثتك ﴿ سَوَّلَتْ ﴾ زينت.

﴿ لِى نَفْسِى ﴾ وحسنته لي.

* * *

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ فَٱذْهَبْ ﴾ من بيننا طريداً ﴿ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ طول عمرك. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير،

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٧).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٨ـ ٩ و١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٨).

وعاصم، ويعقوب، وخلف عن حمزة: (فَاذْهَبْ فَإِنَّ) بإظهار الباء عند الفاء، والباقون: بالإدغام[1].

﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ لا مخالطة مع أحد، فكان يهيم في البرية مع الوحوش والسباع، وإذا مس أحداً، أو مسه أحد، حُمَّا جميعاً، فكان إذا رأى أحداً قال: لا مساس؛ أي: لا تقربني، وفر منه، عاقبه الله بذلك، وروي أن ذلك موجود في أولاده إلى الآن.

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ يا سامري ﴿مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابك يوم القيامة.

﴿لَّن تُخْلَفَهُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بكسر اللام؛ من أخلفتُ الموعدَ: غبت عنه؛ أي: لن تتخلف أنت عن الإتيان إلى الموعد، وهو الحشر، بل تصل إليه، وقرأ الباقون: بفتح اللام[2]؛ أي: لن تخلف الموعد، بل تبعث إليه.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ﴾ بزعمك.

﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: دمت عليه مقيماً.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾ قراءة الجمهور: بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة؛ من الإحراق بالنار، وقرأ أبو جعفر: بضم النون وإسكان الحاء وكسر الراء خفيفة، ومعناه كالأول، وروي عنه وجه ثان: بفتح النون وإسكان الحاء وضم الراء خفيفة، وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٩).

عنه[1]؛ أي: لنبردنه، ومنه قيل للمبرد: المحرق.

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ لنذرينه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ لا يصادف منه شيء.

روي أن موسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم؛ لأنه كان قد صار لحماً ودماً، ثم أحرقه بالنار، ثم ذراه في البحر، وروي أنه ذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في البحر[2]، وتقدم ذكر القصة في سورة البقرة [الآية: ٥٢].

* * *

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا أحدَ يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز؛ أي: وسع علمه كل شيء.

* * *

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مخاطبة للنبي ﷺ؛ أي: مثل ما ذكرناه لك من أخبار بني إسرائيل ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣٨)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٣٢١)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٢٩٢)، و«تفسير اللباب» لابن عادل (٢/ ٣٧٧).

﴿ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ من أخبار الأمور الماضية والأمم؛ تبصرة لك، وزيادة في علمك.

﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ يعني: القرآن، وقيل: ذكراً جميلاً، وصيتاً عظيماً بين الناس.

* * *

﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ عن القرآن، فلم يؤمن به.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ إثماً ثقيلاً، ووحد الضمير في (فإنه) رداً إلى لفظ (مَنْ).

* * *

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ ﴾ في عقاب الوزر، والجمع في (خالدين) نظراً إلى المعنى، ونصبه حال من ضمير (يحمل).

﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفراً بالقرآن.

* * *

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ القرن. قرأ أبو عمرو: (نَنْفُخُ) بنون مفتوحة وضم الفاء إخباراً عن الله تعالى؛ لقوله: (وَنَحْشُرُ)، وقرأ الباقون:

بالياء وضمها وفتح الفاء مجهولاً[1] ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ زرق العيون من العطش.

***

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ويتكلمون خفية؛ لهول ذلك اليوم قائلين: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا، وقيل: في القبور؛ استقصاراً لمدة لبثهم فيها.

﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ ليالي. وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الإدغام والإظهار من (لَبِثْتُمْ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ [طه: ٤٠].

***

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] قال الله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: يتسارون بينهم.

﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعقلهم وأعدلهم وأوفرهم رأياً:

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٢).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

[١٠٥] ولما سئل رسول الله ﷺ : ما يُصنع بالجبال يوم القيامة؟ أنزل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾[١] يقلعها من أصلها ، ويجعلها كالرمل .

* * *

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

[١٠٦] ثم يرسل الرياح عليها ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي : يترك أماكنها . ﴿ قَاعًا ﴾ مستوياً من الأرض ﴿ صَفْصَفًا ﴾ أملس لا نبات فيه .

* * *

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

[١٠٧] ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ أودية ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴾ ارتفاعاً .

* * *

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ ﴾ المنادي للحشر ، وهو إسرافيل ـ عليه السلام ـ حين ينادي : أيتها العظام البالية ، والجلود المتمزقة ، واللحوم المتفرقة! هلمي إلى عرض الرحمن ، فيأتون سريعاً .

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/ ١٣٩) ، و«تفسير النسفي» (٣/ ٦٧) .

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يعوج مدعو عن صوته، بل يتبعه من غير انحراف عنه.

﴿وَخَشَعَتِ﴾ خفيت وذلت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي: أربابها.

﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ هيبة وإجلالاً.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفياً؛ من هميس الإبل، وهو صوت أقدامها إذا مشت، المعنى: لا تسمع إلا مشي الأقدام بخفاء إلى المحشر خوفاً.

***

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ لأحد من الناس ﴿إِلَّا﴾ شفاعة.

﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع فيشفع.

﴿وَرَضِىَ لَهُۥ﴾ للمشفوع فيه ﴿قَوْلًا﴾ بأن قال: لا إله إلا الله.

***

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يعلم تعالى جميع أحوالهم؛ يعني: الذين يتبعون الداعي.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿عِلْمًا﴾ لا يدركونه، ولا يعلمون ما هو صانع بهم، ونصب (علماً) تمييز.

***

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿۞ وَعَنَتِ﴾ خضعت ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ وجوه العصاة.

﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: خسر من أشرك بالله، والظلم: الشرك.

* * *

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

[١١٢] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ قرأ ابن كثير: (فَلاَ يَخَفْ) مجزوماً على النهي جواب[1] لقوله: (وَمَنْ يَعْمَلْ) نهى المؤمن الصالح أن يخاف، وقرأ الباقون: (فَلاَ يَخَافُ) مرفوعاً استئنافاً[2]؛ أي: فهو ليس يخاف.

﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ نقصاً من حسناته.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما بيناه في هذه السورة.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: هذا الكتاب.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلسان العرب.

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾ كررنا في القرآن ﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ وعيداً.

---

(١) في «ت»: «جواباً».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٣).

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ الوعيد.

﴿ذِكْرًا﴾ اعتباراً وعظة بهلاك من تقدمهم.

***

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)﴾.

[١١٤] ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ عما يقول المشركون.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي: بقراءته.

﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ قراءته؛ أي: تثَبَّتْ حتى يفرغ جبريل من قراءته، ثم اقرأه؛ لأنه كان ﷺ يسابق جبريل خوفَ النسيان[1]. قرأ يعقوب: (نَقْضِيَ) بالنون مفتوحة وكسر الضاد وفتح الياء نصباً على تسمية الفاعل (وَحْيَهُ) بالنصب، وقرأ الباقون: (يُقْضَى) بالياء مضمومة وفتح الضاد، ورفع (وَحْيُهُ)[2].

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ بالقرآن؛ أي: حفظاً وفهماً.

***

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾.

[١١٥] ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أوصيناه ألا يأكل من الشجرة.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٤٢)، وأخرج نحوه ابنُ أبي حاتم عن السُّدي، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٥-٣٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٤).

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا الزمان ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ صبراً عما نُهي عنه.

وعطف قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان، وعرقهم راسخ في النسيان، قال ابن عباس: «إنما سمي الإنسان إنساناً؛ لأنه عُهد إليه، فنسي»(١).

* * *

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ أن يسجد. قرأ أبو جعفر: (لِلْمَلَائِكَةُ اسْجُدُوا) بضم التاء حالة الوصل إتباعاً، وروي عنه: إشمام كسرتها الضم، والوجهان صحيحان عنه(٢)، وتوجيه قراءته مستوفًى في سورة البقرة [الآية: ٣٤].

* * *

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٩)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٩٢٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٠-٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٥).

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ فتتعب في الدنيا بتحصيل ما يُحتاج إليه منها؛ كمأكل ومشرب وملبس، وخص آدم بالشقاء؛ لأن طلب المكاسب غالباً يكون بالرجال.

* * *

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾.

* * *

﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ﴿ وَأَنَّكَ ﴾ قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: (وَإِنَّكَ) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون: بالفتح نسقاً على قوله: (أَلاَّ تَجُوعَ)(١).

﴿ لَا تَظْمَؤُا۟ ﴾ تعطش ﴿ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ تبرز للشمس؛ لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود.

* * *

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ فأنهى إليه وسوسة.

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي: من أكل منها لا يموت.

﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ لا يفنى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٦).

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

[١٢١] ﴿ فَأَكَلَا ﴾ يعني: آدم وحواء ﴿ مِنْهَا ﴾ وسارعت إلى ذلك حواء، فلما رآها آدم قد أكلت، أكل، فطارت عنهما ثيابهما.

﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي: عوراتهما.

﴿ وَطَفِقَا ﴾ جعلا ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ يلصقان.

﴿ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ ﴾ ويضمان شيئاً إلى شيء يستتران بالورق، وهو ورق التين.

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ ﴾ بأكل الشجرة ﴿ فَغَوَىٰ ﴾ أي: ضلَّ عن المطلوب منه.

* * *

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة؛ من جبيت الشيء: قربته إلي، وجمعته بي.

﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ قبلَ توبته ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ هداه إلى المداومة على التوبة.

* * *

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

[١٢٣] ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا ﴾ يا آدم وحواء ﴿ مِنْهَا ﴾ ثم أخبرهما أن إبليس والحية يهبطان معهما بقوله: ﴿ جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ ﴾ يا ذرية آدم وإبليس ﴿ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ إلى يوم القيامة، و(عدو) يوصف به الواحد والاثنان والجمع.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ يا آدم وحواء، وجُمعا؛ لأنهما أصل البشر ﴿مِّنِّي هُدًى﴾ دعاء شرعي، وقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ شرط، وجوابه في قوله:

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ رسولي وكتابي. قرأ الدوري عن الكسائي: (هُدَايَ) بالإمالة(١).

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة.

***

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: القرآن، وكفر به.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ضيقاً ونكداً شاقاً من العيش.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ البصر، وقيل: أعمى عن الحجة.

***

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾.

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ بحجتي، أو بالعين، روي أنه يحشر من قبره بصيراً، فإذا سيق إلى الموقف، عمي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (حَشَرْتَنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٢).

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٩).

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ﴾ تركت العمل بها.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل تركك آياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: تترك في النار كالمنسي.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

[١٢٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل جزائنا المعرضَ عن آياتنا.

﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك.

﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهو حشره أعمى أبداً.

﴿أَشَدُّ﴾ مما يعذب به في الدنيا والقبر.

﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أدومُ ضراً من ضيق العيش في الدنيا.

* * *

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾.

[١٢٨] ثم ابتدأ يوبخهم ويذكرهم العبر بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي: يبين الله لهم. قرأ زيد عن يعقوب: (نَهْدِ) بالنون، والباقون: بالياء[١]، والمراد: كفار مكة.

---

(١) ذكرها القرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢٦٠) من قراءة ابن عباس والسَّلمي.

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي: الأمم.

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ ديارهم ومنازلهم إذا سافروا، والخطاب لقريش، كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول.

* * *

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾.

[١٢٩] ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ أي: حكمة.

﴿ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب.

﴿ لَكَانَ لِزَامًا﴾ أي: لازماً لهم في الدنيا.

﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب، وهو يوم القيامة، معطوف على (كَلِمَةٌ) فيه تقديم وتأخير تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمى، لكان لزاماً.

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾.

[١٣٠] ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ فيك، وهذا منسوخ بآية القتال ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ أي: صل ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: وأنت حامد؛ بأن وُفِّقت للتسبيح.

﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ هي صلاة الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ وهي صلاة العصر.

﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته جمع أَنِيّ؛ كنجِيِّ، وإنًا؛ كمِعًى ﴿فَسَبِّحۡ﴾ والمراد: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ صلاة الظهر، سميت طرفاً؛ لأنها في آخر الطرف الأول من النهار، وأول الطرف الآخر منه، فهو في طرفين منه؛ أي: سبحه في جميع الأوقات.

﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (تُرضَى) بضم التاء مجهولاً؛ أي: يرضاك ربك، وقرأ الباقون: بفتحها؛ أي: ترضى بما تُعطى من الثواب يا محمد[1].

***

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾.

[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ لا تنظر ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ﴾ أعطينا ﴿أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: أصنافاً من الكفرة ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ قراءة العامة: بجزم الهاء؛ أي: زينتها، وقرأ يعقوب: بفتح الهاء[2]؛ أي: نور النبات.

﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ لنجعل فتنتهم فيما أعطيناهم.

﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ﴾ ثوابه في الميعاد.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٥)، «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٤٨). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢٢).

﴿ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾ مما رزقوا.

* * *

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾.

[١٣٢] ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ ﴾ أي: أهل بيتك ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ مع ائتمارك بها ﴿ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾ أنت وهم ﴿ عَلَيۡهَاۖ ﴾ على الإتيان بها؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ ﴾ لا نكلفك رزق نفسك ولا غيرك.

﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ ﴾ وإياهم.

﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾.

روي أنه ﷺ كان إذا أصاب أهلَه ضرٌّ، أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية.

* * *

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ ﴾.

[١٣٣] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: المشركين.

﴿ لَوۡلَا ﴾ أي: هلاَّ ﴿ يَأۡتِينَا ﴾ محمد.

﴿ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ ﴾ كموسى وعيسى.

﴿ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وابن جماز عن أبي جعفر: (تَأْتِهِمْ) بالتاء؛ لتأنيث البينة، وقرأ الباقون:

بالياء على التذكير[1]؛ لتقدم الفعل، ولأن البينة هي البيان، فرد إلى المعنى.

﴿ بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: ما في الكتب المتقدمة من أخبار الأمم التي أهلكت لما اقترحوا الآيات، فأتتهم، فلم يؤمنوا بها.

***

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

[١٣٤] ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ من قبل محمد.

﴿ لَقَالُواْ ﴾ يوم القيامة.

﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ هلاَّ ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ يدعونا.

﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا.

﴿ وَنَخْزَىٰ ﴾ بالعقاب يوم القيامة.

***

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

[١٣٥] ﴿ قُلْ كُلٌّ ﴾ منا ومنكم ﴿ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ منتظر، نحن نتربص بكم العذاب، وأنتم تتربصون بنا الدوائر ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ فانتظروا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢٣).

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ إذا جاء أمر الله، وقامت القيامة.

﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ الطريق المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ من الضلالة؛ أي: ستعلمون من هذا[1]، والله سبحانه أعلم.

* * *

(١) «من هذا» زيادة من «ت».

سورة الأنبياء

مكية بإجماع، وآيها مئة واثنتا عشرة آية، وحروفها: أربعة آلاف وثماني مئة وتسعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وثمان وستون كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)﴾.

[١] ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ أي: وقت حسابهم؛ يعني: يوم القيامة، نزلت تخويفاً لمنكري البعث، وهي عامة في جميع الناس، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما يُفعل بهم ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ من التأهب لذلك المقام.

روي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً، فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا أنزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل اليوم: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ فنفض يده من البنيان وقال: والله لا بنيت أبداً، وقد اقترب الحساب(١).

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٦٦).

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ يعني: المشركين

﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ يعني: القرآن ﴿مُّحْدَثٍ﴾ أي: محدث التنزيل، لا نفس القرآن؛ أي: ما يأتيهم شيء من القرآن.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ مستهزئين به؛ لفرط غفلتهم.

***

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عما يراد منها.

﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ وأخفوا ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ هي التناجي سراً؛ أي: كتموا ما تناجَوْا به.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركوا، ثم بين الله تعالى سرهم الذي تناجوا به، وهو قول بعضهم لبعض: ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ثم قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ في الجهالة: ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾ أفتحضرون السحر؛ أي: ما يقول، شبهوه بالسحر، المعنى: أفتتبعون ﴿ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر؟!

***

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿قُل﴾ أمر للنبي ﷺ أن يقول لهم وللناس أجمعين: ﴿رَبِّى يَعْلَمُ

﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي: أقوالكم ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو بالمرصاد في المجازاة عليها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (قَالَ رَبِّي) بألف بعد القاف؛ أي: أخبرهم النبي ﷺ أن ربه يعلم القول. وقرأ الباقون: بغير ألف على الأمر، وتقدم معناه، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار(١).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

***

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾ أخلاط أحلام رآها في النوم.

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه.

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أي: كذاب، وما جاءكم به شعر؛ يعني: أن المشركين اقتسموا القول فيه، ولما اقتضت الآية المتقدمة أنهم قالوا: إن ما عنده سحر، عدد الله في هذه الآية جميع ما قالته طوائفهم، ووقع الإضراب بكل مقالة عن المتقدمة؛ ليبين اضطراب أمرهم، فبعد اختلافهم في القرآن، رجعوا إلى مقترحهم من الآيات.

فقالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ كالناقة والعصا.

﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بالآيات.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢٩).

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾ .

[٦] فنزل: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم ﴾ قبل مشركي قريش ﴿ مِّن قَرْيَةٍ ﴾ أي: أهل قرية عند مجيء الآيات التي اقترحوها، فلذلك ﴿ أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾ وهذه الأمة موعودة ألاَّ تستأصل إلى قيام الساعة، فلذلك لم تُعط مقترحَها.

﴿ أَفَهُمْ ﴾ أي: كفار قريش ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ عند مجيء الآيات؟! هم أعتى من ذلك.

***

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ونزل جواب ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ وطلبهم[١].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (نُوحِي) بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع، وقرأ الباقون: بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسم فاعله[٢].

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ أهلَ العلم بالكتابين. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوا) بالنقل، والباقون: بالهمز[٣] ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

***

---

(١) «وطلبهم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٠).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٠).

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ثم أعلم تعالى أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ ﴾ أي: الأنبياء ﴿ جَسَدًا ﴾ ولم يقل: أجساداً؛ لأنه اسم جنس.

﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ هذا رد لقولهم ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الفرقان: ٧]؛ أي: لم نجعل الرسل ملائكة، بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ من المؤمنين بهم.

﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ المفرطين في غيهم وكفرهم.

* * *

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا معشر قريش ﴿ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ ﴾ شرفكم وما تحتاجون إليه من مصالح دينكم ودنياكم ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتؤمنون.

* * *

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ أهلكنا ﴿ مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ أي: كافرة؛

يعني: أهلها، والقصم: الكسر بانفصال، ظاهر المعنى: أهلكنا كثيراً من أهل القرى الظالمين.

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ أي: جئنا ببدلهم، فسكنوا مساكنهم.

***

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ﴾ أي: المهلكون ﴿بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا﴾ أي: القرية.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ مسرعين.

نزلت هذه الآية في أهل حصورا، وهي قرية باليمن كان أهلها من العرب، فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله(١)، فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بُخت نصَّر حتى قتلهم وسباهم، فندموا وانهزموا(٢).

***

﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] فقالت لهم الملائكة: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾ نُعِّمْتُم ﴿فِيهِ﴾ من الدنيا ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ التي كانت لكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ شيئاً من دنياكم؛ استهزاءً بهم.

***

---

(١) «يدعوهم إلى الله» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩).

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] فأتبعهم بخت نصر وأصحابه[1]، وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جوِّ السماء: يا ثارات الأنبياء! فلما رأوا ذلك ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف.

* * *

﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ ﴾ أي: قولهم: يا ويلنا ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ سميت لأنهم دعوا ويلهم ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا ﴾ أي: محصودين بالموت والسيف ﴿ خَٰمِدِينَ ﴾ ساكنين.

* * *

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ أي: عبثاً، بل لمصالح الدارين.

* * *

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ هو الولد والمرأة ﴿ لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ من الحور والولدان والملائكة؛ لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره.

---

(١) «وأصحابه» ساقطة من «ت».

﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ ولكن لم نفعل؛ لاستحالته في حقنا.

* * *

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ بَلْ ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو.

﴿ نَقْذِفُ ﴾ نرمي ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ الإيمان.

﴿ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ﴾ الشرك ﴿ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ يكسره ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ هالك.

﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ اللهَ سبحانه به من الولد ونحوه.

* * *

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ عبيداً وملكاً ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ من الملائكة، نسبوا إليه تشريفاً، لا أنه تعالى في مكان.

﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ لا يتعظمون عنها ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ يَعْيَون.

* * *

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ يضعُفون، وأصل الفتور: السكون بعد حدَّة.

* * *

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ أَمِ ﴾ معناها: بل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾ والهمزة لإنكار اتخاذهم ﴿ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ لأن كل الأصنام منها.

﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ يحيون الموتى؛ زيادة توبيخ؛ أي: ليست آلهتهم كذلك، فهي غير آلهة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

* * *

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ثم بين تعالى أمر التمانع بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ أي: في السماء والأرض.

﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ﴾ أي: غيرُ ﴿ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وذلك بأنه كان يبغي بعضهم على بعض، ويهلك من فيهما؛ لوجود التمانع؛ لأن كل أمر بين اثنين أو أكثر لا يجري على نظام واحد، ثم نزه تعالى نفسه عما وصفه به أهل الجهالة والكفر فقال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

* * *

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ثم وصف تعالى نفسه بأنه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ سؤال إنكار؛ إذ له أن يفعل في ملكه ما يشاء؛ لأنه يضع الأشياء في محلها.

﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ لأنهم عبيد حقيقة، وفي أفعالهم خلل كثير.

* * *

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استفهام إنكار، وفي تكرار هذا التقرير مبالغة في الإنكار، وزيادة على الأول، وهي قوله: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ فكأنه قررهم هنا على قصد الكفر بالله تعالى، ثم دعاهم إلى الحجة والإتيان بالبرهان بقوله[١]: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أي: حجتكم على ذلك ﴿هَـٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرُ﴾ عظة ﴿مَن مَّعِىَ﴾ على ديني. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢] ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ﴾ يعني: الكتب المنزلة، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً؟ فلما لم يرجعوا عن كفرهم، أضرب عنهم فقال:

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: جميع الكفار.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ﴾ القرآنَ والتوحيد؛ لجهلهم.

﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن النظر فيما يجب عليهم.

* * *

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

---

(١) «بقوله» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٢).

[٢٥] ولما أخبر تعالى أنهم لا يعلمون الحق لإعراضهم، أتبعَ ذلك بإعلامه أنه ما أرسل قط رسولاً إلا أوحى إليه: أن الله تعالى فرد صمد.

فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ وَحِّدونِ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (نُوحِي) بالنون وكسر الحاء على التعظيم؛ لقوله: (أَرْسَلْنَا)، وقرأ الباقون: بالياء وفتح الحاء على ما لم يسم فاعله[١]، وقرأ يعقوب: (فَاعْبُدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[٢].

* * *

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه عن ذلك ﴿بَلْ﴾ أي: بل هم.

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ مشرفون؛ يعني: الملائكة، وهذا تكذيب وردّ لقول خزاعة: الملائكة بنات الله، والعبودية تنافي الولادة.

* * *

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: يتبعون أمره، ولا يتقدمون قولَه بقولهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٢).

﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ لا يأتون إلا مراده.

* * *

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عملوا، وما هم عاملون.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وهو من قال: لا إله إلا الله.

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ هيبته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

* * *

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ثم تهدد المشركين بتهديد من يدعي الربوبية فقال: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من جميع الخلائق ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

وعن ابن عباس قال: «إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء، وعلى الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ، قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ الآية، وقال لمحمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية [الفتح: ١]، قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٣).

الآيـة[إبـراهيـم: ٤]، وقـال لمحمـد: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]»[1].

﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

* * *

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾.

[٣٠] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ قرأ ابن كثير: (أَلَمْ) بغير واو كما هي في المصحف المكي، وقرأ الباقون: بواو قبل اللام كما هي في مصاحفهم[2]، المعنى: ألم يعلم الكافرون.

﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا ﴾ أي: جنساهما.

﴿ رَتۡقٗا ﴾ شيئاً واحداً، والرتق: هو الضم والالتحام.

﴿ فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ﴾ فصلنا بينهما بالهواء، فجعلت السماء سبعاً، والأرض سبعاً، وعلم الكفار ذلك ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ النازل من السماء.

﴿ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ ﴾ أي: أحييناه به؛ لأنه سبب حياته، والنبات داخل فيه.

﴿ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ مع ظهور الآيات؟!

* * *

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٣).

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ أَن ﴾ أي: لئلاً.

﴿ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي: تتحرك ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ في الرواسي ﴿ فِجَاجًا ﴾ طرقاً واسعة ﴿ سُبُلًا ﴾ تفسير الفجاج ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى مصالحهم.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾ أي: أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا ﴾ التي فيها من الشمس والقمر والنيرات.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها، ولا يعتبرون فيؤمنون.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ ﴾ تنوينه بدل من محذوف؛ أي: كل واحد من المذكور ﴿ فِي فَلَكٍ ﴾ والفلك: مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك.

﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ يجرون بسرعة كالسابح، وذكر ضمير (يسبحون)، وجمع جمع العقلاء؛ لوصفهم بالسباحة، وهي فعل من يعقل.

* * *

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ونزل نفياً للشماتة بالموت لما قال المشركون: إن محمداً سيموت:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾[١] البقاء.

﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ وحذفت الهمزة من (أَفَهُم)؛ لدلالة الأولى عليها. قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتَّ) بكسر الميم، والباقون: بضمها[٢].

* * *

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ تزهق بملابسة أيسر جزء من الموت، وهذا تهويل لشأنه.

﴿ وَنَبْلُوكُم ﴾ نختبركم ﴿ بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ ﴾ بالشدة والرخاء، وكل ما يصح أن يكون ابتلاء.

﴿ فِتْنَةً ﴾ امتحاناً وكشفاً؛ ليظهر كيف شكركم فيما تحبون، وكيف صبركم فيما تكرهون.

﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم. قراءة الجمهور: (تُرْجَعُونَ) بالخطاب

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٢٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٤).

بضم التاء وفتح الجيم، ويعقوب: بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الثعلبي عن ابن ذكوان: بالغيب بفتح الياء وكسر الجيم[1].

* * *

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قرأ ورش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عنه: (رَآكَ) و(رَآهُ) و(رَآهَا) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء[2].

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ سخرياً، نزلت في أبي جهل، مر به النبي ﷺ، فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف[3] ﴿أَهَٰذَا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: أهذا ﴿ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم.

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: بما يذكر به من الوحدانية.

﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ جاحدون، وذلك أنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، و(هُمْ) الثانية صلة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٨).

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ أي: مستعجلاً، هذا توطئة للرد عليهم في استعجالهم العذاب، وطلبهم آية مقترحة، وهي مقرونة بعذاب مجهر، ووصف تعالى الإنسان الذي هو اسم الجنس بأنه خُلق من عجل، وقيل: المراد بالإنسان: آدم عليه السلام؛ لأنه لما دخلت الروح رأسه، أبصر ثمار الجنة، فقام نحوها عَجِلاً قبل أن تبلغ الروح رجليه ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ نقماتي، قيل لهم ذلك على جهة الوعيد أن الآيات ستأتي.

﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته، فأراهم يوم بدر. وقرأ يعقوب: (تَسْتَعْجِلُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها(١).

* * *

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ وقت العذاب.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يعنون: النبي ﷺ وأصحابه.

* * *

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ السياط ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يمنعون من العذاب، وجواب

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٥).

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ﴾ محذوف، معناه: لو علموا، لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا، ولا قالوا: متى هذا الوعد؟

* * *

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم ﴾ الساعة ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة.

﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ فتحيرهم.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون.

* * *

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (وَلَقَدُ اسْتُهْزِئَ) بضم الدال في الوصل، وأبو جعفر: على أصله في فتح الياء من غير همز[1].

﴿ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ كما استهزئ بك، فصبروا.

﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ فنزل بالمستهزئين العذاب جزاء استهزائهم.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٦).

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] فاصبر أنت، و﴿ قُلْ ﴾ للمستهزئين: ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ يحفظكم.

﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ ﴾ من عذابه.

﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم ﴾ عن القرآن ومواعظه.

﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يُخطرونه ببالهم.

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ ﴾ المعنى: أيظنون أن آلهتهم تمنعهم من دوننا؟ ثم وصف الآلهة بالضعف فقال:

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا ﴾ من عذابنا.

﴿ يُصْحَبُونَ ﴾ يُجارون.

* * *

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ ﴾ وفي الكلام تقدير بعد محذوف؛ كأنه قال: ليس ثَمَّ شيء من هذا كله، بل ضل هؤلاء؛ لأنا متعناهم ومتعنا آباءهم، فنسوا عقاب الله، وظنوا أن حالهم لا يبيد، ثم وقفهم تعالى على مواضع العبر في الأمم في قوله:

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ ﴾ رؤية العين يتبعها رؤية القلب ﴿ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ ﴾ للمشركين بالفتح على محمد ﷺ، ونزيد في أطرافها للمؤمنين نصراً عليهم.

﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ أم نحن؟

***

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم ﴾ أُخوفكم ﴿ بِٱلْوَحْيِۚ ﴾ بالقرآن.

﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ قرأ ابن عامر: (تُسْمِعُ) بالتاء وضمها وكسر الميم من أَسمعَ، خطاباً للنبي ﷺ، ونصب (الصُّمَّ الدُّعَاءَ) مفعولين، وقرأ الباقون: بالياء مفتوحة غيباً، وفتح الميم ورفع (الصُّمُّ) فاعلاً، ونصب (الدُّعَاءَ) مفعولاً[١]؛ من سمع، إخبار عن الكفار.

﴿ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ أي: هم صم عن الدعاء إلى الإيمان وقت الإنذار. واختلاف القراء في الهمزتين من (الدُّعَاءَ إِذَا) كاختلافهم فيهما من (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢].

***

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ شيء قليل في الدنيا ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٧).

الذي خُوِّفوا به في الأخرى، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ عند نزولها بهم:

﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بشركنا؛ أي: لدعوا على أنفسهم بالويل، واعترفوا عليها بالظلم.

* * *

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ أي: ذوات القسط، والقسط: العدل.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: لأجله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من الظلم.

وفي الأخبار: أن الميزان له لسان وكفتان، توزن به الأعمال[١]، ليتبين للناس المحسوس المعروف عندهم، والخفة والثقل متعلقة بأجسام يقرنها الله تعالى يومئذ بالأعمال، فإما أن تكون صحف الأعمال، أو مثالات تخلق، أو ما شاء الله تعالى.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ صفة لحبة. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مِثْقَالُ) برفع اللام على أن (كان) تامة؛ أي: وإن وقع زنة حبة، وقرأ الباقون: بنصب اللام[٢]، على معنى: وإن كان الشيء أو العمل

---

(١) سلف عند تفسير الآية (٨) من سورة الأعراف، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس، كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٩٥)، وأخرج نحوه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة» (١٧٩٣) عن سلمان، وانظر «فتح الباري» لابن حجر (٢١/ ١٦٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٦٢)، و«النشر في=

مثقال حبة؛ أي: زنة مثقال حبة من خردل ﴿أَتَيْنَا﴾ جئنا.

﴿بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ حافظين، توعَّدهم.

***

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ التوراة ﴿وَضِيَآءً﴾ التوراة أيضاً؛ أي: آتيناهم الفرقان مضيئاً. قرأ قنبل عن ابن كثير: (وَضِئَاءً) بهمزتين قبل الألف وبعدها، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة بعد الألف[1] ﴿وَذِكْرًا﴾ عظة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

***

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ يخافونه في الخلاء كخوفه بين الناس.

﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

***

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَهَٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ لمن تذكَّر به وتبرَّك

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٨).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٩).

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ جاحدون؟ وهذا استفهام توبيخ وتعيير.

* * *

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ نبوته ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون؛ أي: كما هديناهما وآتيناهما النبوة، هدينا إبراهيم واصطفيناه من قبل ذلك، وقيل معنى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: هديناه صغيراً.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أخبر تعالى أنه آتاه ذلك وهو عالم أنه لذلك أهل.

* * *

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ تهاوناً بهم.

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام المصورة.

﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا﴾ أي: عليها ﴿عَٰكِفُونَ﴾ والعكوف: الملازمة للشيء، والعامل في (إِذْ) قولُه (آتينا).

* * *

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فقلدناهم.

* * *

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] فثم ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ ﴾ الذين قلدتموهم .

﴿ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ خطأ ظاهر .

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ أي : أجادٌّ أنت فيما تقول أم تلعب؟

* * *

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] فثم أضرب عنهم مخبراً أنه جِدٌّ، ومثبتاً الربوبية وحدوث الأصنام .

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ عبارة عن الأصنام كأنها تعقل، وهذا من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بما يوصف به(١) من يعقل؛ أي : فكيف يُعبد المخلوق ويُجحد الخالق؟!

﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ بصحته .

* * *

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ ﴾ لأكسرن ﴿ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ ﴾ عنها

---

(١) «به» زيادة من «ت».

﴿ مُّدۡبِرِينَ ﴾ إلى عيدكم، وكان لهم في كل سنة مجمع وعيد، فكانوا إذا رجعوا من عيدهم، دخلوا على الأصنام، فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد، قال أبو إبراهيم له: يا إبراهيم! لو خرجت معنا إلى عيدنا، لأعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان في بعض الطريق، ألقى نفسه وقال: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩] يقول: أشتكي رجلي، فلما مضوا، نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعِيفُو الناس: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾ فسمعوها منه.

* * *

﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝٥٨ ﴾.

[٥٨] ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، وكانوا قد وضعوا طعامهم لدى أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا، أكلوه، فلما لم يبق عندهم أحد، أخذ الفأس ودخل عليهم، والطعام لديهم، وقال استهزاء بهم: ﴿ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [الصافات: ٩١]، فلم يجيبوه، فأكبَّ عليهم به[١].

﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا ﴾ فتاتاً. قرأ الكسائي: بكسر الجيم، والباقون: بضمها، وهما لغتان معناهما واحد[٢]، وقوله: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ ﴾ ونحوه معاملة للأصنام بحال من يعقل؛ من حيث كانت تُعبد وتُنزل منزلة من يعقل.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٨). وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٣)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٠).

﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ أي: كسر جميع الأصنام إلا كبيرها؛ فإنه تركه ولم يكسره، وعلق الفأس في عنقه.

﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ ﴾ إلى الأصنام[1]؛ أي: الصنم الأعظم.

﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ فيسألونه عن كاسرها، وهذا تبكيت لهم، وإثبات للحجة عليهم.

* * *

﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم، ورأوا ذلك ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: من المجرمين.

* * *

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني: الذين سمعوا قول إبراهيم: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ يعيبهم.

﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ هو الذي نظن أنه صنع هذا.

* * *

﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] فبلغ ذلك نمرود الجبار وأصحابه ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ أي: ظاهراً بمرأى من الناس.

---

(١) «إلى الأصنام» ساقطة من «ت».

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أنه قال لآلهتنا ما قال، وأنه كسرها؛ لئلا نأخذه بلا بينة.

* * *

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] فلما جيء به ﴿قَالُوٓاْ﴾ له: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، ورويس عن يعقوب: (أَأَنْتَ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، وورش: يبدلها ألفاً خالصة، وروي عنه التسهيل بين بين، وقرأ الباقون وهم الكوفيون، وابن ذكوان، وروح: بتحقيق الهمزتين من غير فصل بينهما كل القرآن، واختلف عن هشام في الفصل بألف مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بين بين وتحقيقها(١).

* * *

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار، وهو أكبر منها، فكسرهن، وأراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤١-١٤٢).

﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ ﴾ عن حالهم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوهُمْ) بالنقل، والباقون: بالهمز[١].

﴿ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ أي: إن قدروا على النطق، قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره: أنا فعلت ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: اثنتين منهن في ذات الله: قوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾، وقوله لسارة: هذه أختي»[٢].

وملخص قصة سارة: أنه لما نجى الله خليله ﷺ من النمرود الجبار، استجاب له رجال من قومه على خوف من نمرودَ وملئِه، ثم إن إبراهيم وأصحابه أجمعوا على فراق قومهم، فخرج إبراهيم هو وأهله ومن معه، فنزل الرها، ثم سار إلى مصر، وصاحبها فرعون، فَذُكِرَ لفرعون جمال سارة زوج الخليل عليه السلام، وهي ابنة عمه هاران، فسأل إبراهيمَ عنها، فقال: هذه أختي؛ يعني: في الإسلام؛ خوفاً أن يقتله، فقال له: زينها وأرسلها إلي، فأقبلت سارة إلى الجبار، وقام إبراهيم يصلي، فلما دخلت إليه ورآها، أهوى إليها يتناولها بيده، فأيبس الله يده ورجله، فلما تخلى عنها، أطلقه الله، وتكرر ذلك منه، فأطلقها، ووهبها هاجر[٣].

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) رواه البخاري (٣١٧٩)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾، ومسلم (٢٣٧١)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ.

(٣) انظر: و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٥٠)، وأصل القصة في «الصحيح» كما سلف. =

وفي بعض الأخبار: أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى ينظر إليها من وقت خروجها من عنده إلى وقت انصرافها؛ كرامة لهما صلوات الله عليهما، وتطييباً لقلب إبراهيم عليه السلام.

ثم سار إبراهيم من مصر إلى الشام، وأقام بين الرملة وإيليا، فهو أول من هاجر من وطنه في ذات الله، والحديث الوارد أنه لم يكذب إلا ثلاث كذبات ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُذم فاعله، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن له في ذلك لقصد الصلاح، وتوبيخهم، والاحتجاج عليهم؛ كما أذن ليوسف عليه السلام حتى أمر مناديه فقال لإخوته: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، ولم يكونوا سرقوا(١).

* * *

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: فتفكروا بقلوبهم، ورجعوا إلى عقولهم.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ ما نراه إلا كما قال ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بعبادتكم من لا يتكلم.

* * *

= وانظر: «صحيح مسلم» (٢٣٧١)، باب: من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٥).

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ رُدُّوا إلى الكفر بعد اعترافهم بالظلم، ومنه: نكس المريض: عاد إلى المرض بعد العافية، وأصله قلبُ أعلى الشيء أسفله، وقالوا:

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ أي: لقد علمت عجزهم عن المنطق، فكيف نسألهم؟!

* * *

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ ﴾ لهم:

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ إن عبدتموه.

﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتم عبادته؟!

* * *

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ أي: نتناً وقذراً لكم ﴿ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أليس لكم عقل تعرفون هذا الذي يعرفه كل عاقل فتؤمنون؟! **قرأ** ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: بكسر الفاء مع التنوين، **وقرأ** الباقون: بكسر الفاء من غير تنوين[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩-٤٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» =

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

[٦٨] فلما لزمتهم الحجة، وعجزوا عن الجواب، أضربوا عن محاجته، و﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ ﴾ بالنار؛ لأنها أوجع وأبشع .

﴿ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ على الذي أهانها ﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ النصر لها .

* * *

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٩] فلما جمع نمرود قومه لإحراق إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، حبسوه في بيت بكوثا شهراً، وبنوا بنياناً كالحظيرة، قيل: طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤوه من الحطب، وأوقدوا في نواحيه النيران، فصارت ناراً واحدة شديدة، حتى إن الطير لتحترق إذا مرت بها .

وروي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها، فجاء إبليس وعلمهم عمل المنجنيق، فعملوه، وعمدوا إلى إبراهيم عليه السلام، فغلُّوه ووضعوه في كفة المنجنيق، فثم قال إبراهيم: «لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، فاستغاثت الملائكة قائلة: يا رب! هذا خليلك قد نزل به من عدوك ما أنتَ أعلمُ به، فقال تعالى: إن خليلي ليس لي خليل سواه، وأنا إلهه، وليس له إله غيري، فإن استغاث بكم، فانصروه، وإلا، فخلُّوا بيني وبينه، فأتاه خازن المياه فقال له: إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الرياح فقال له: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم:

= لابن الجزري (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٢).

لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل، وتعرض له جبريل وهو يقذف به في لجة الهواء إلى النار، وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما إلى الله، فبلى، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فلم يستنصر بغير الله، ولا جنحت همته لما سوى الله، بل استسلم لحكم الله مكتفياً بتدبير الله ـ عز وجل ـ عن تدبير نفسه، وكان يومئذ ابن ست عشرة سنة، ولما وقع في النار، لم يحترق سوى وثاقه»، فذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1] أي: ابردي ليسلم، فذهبت حرارتها وإحراقها، وبقيت إضاءتها وإشراقها.

قال ابن عباس: «لو لم يقل: برداً وسلاماً، [لمات إبراهيم من بردها، ولو لم يقل: على إبراهيم، لبقيت برداً وسلاماً][2] أبداً»[3].

وروي أنه لم يبق في ذلك الوقت نار بمشارق الأرض ومغاربها إلا خمدت، ظانة أنها المعنية بالخطاب، قال كعب الأحبار: «جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغ؛ فإنه كان ينفخ في النار» فلذلك أمر النبي ﷺ بقتلها، وسماها فويسقاً[4].

وعن علي رضي الله عنه: «أن البغال كانت تتناسل، وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم، فدعا عليها، فقطع الله نسلها، ولما

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٦ـ١٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٣٠٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ١٧٥)، و«روح المعاني» للآلوسي (١٢/ ٤٢٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٧).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٣٠٤).

سقط في النار، تلقته الملائكة، فأجلسوه على الأرض، فإذا بعين ماء عذب وروضة وورد ونرجس، فأقام بها سبعة أيام، وجاءه ملك بقميص من حرير الجنة، وطنفسة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة، وجعل يحدثه ويقول له: إن ربك يقول لك: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي»[1].

وروي أنه قال: «ما كنت قط أنعمَ مني من الأيام التي كنتُ فيها في النارِ»[2].

* * *

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] فلما رأوه، وقد أكرمه الله بما كرمه، آمن بالله جمع كبير في سر؛ خوفاً من نمرود، وخرج إبراهيم من مكانه يمشي، وفارقه جبريل عليه السلام، فأقبل نحو منزله، فأرسل إليه نمرود وسأله عن كسوته ورفيقه، فقال: «إنه ملك أرسله إلي ربي، وقص عليه القصة»، فقال نمرود: إن إلهك الذي تعبده لإله عظيم، وإني مقرب قرباناً إليه؛ لما رأيت من عزته وعظمته وقدرته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته[3]، فقرب أربعة آلاف بقرة، ثم احترم إبراهيم بعد ذلك، وكف عنه، وقد عذب الله النمرود بإرسال البعوض عليه وعلى جيشه، فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاماً، ودخلت واحدة منها في منخر الملك نمرود، فلبثت في منخره، عذبه الله بها، فكان يضرب رأسه بالمرازب حتى أهلكه الله عز وجل،

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ١٨٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤) عن المنهال بن عمرو.

(٣) «إلا عبادته» زيادة من «ت».

وسلط الله على مدينة كوثا الزلازل حتى خربت.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾[1] إحراقاً.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ في نفقاتهم على كيده.

* * *

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾.

[٧١] ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا﴾ ولد هارون أخي إبراهيم من نمرود وقومه من أرض العراق.

﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ هي أرض الشام، بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأنهار والأشجار، ولأن أكثر الأنبياء يبعثون منها.

روي أنه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة، وبينهما يوم وليلة.

* * *

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾.

[٧٢] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾ ولده لصلبه بدعائه حيث قال: ﴿هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿نَافِلَةٗ﴾ زيادة من غير سؤال.

﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

* * *

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٨).

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدى بهم في الخير[1] ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعون الناس إلى ديننا. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (أَئِمَّةً) بهمزتين محققتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين، وروي عنهم وجه: أنها تجعل ياء خالصة مكسورة تخفيفاً لاستثقالهم تحقيق همزتين في كلمة واحدة، وأبو جعفر يدخل بينهما ألفاً مع تسهيل الثانية، وهشام راوي ابن عامر روى عنه المد مع تحقيق الهمزة الثانية[2].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهي جميع الأعمال الصالحة.

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ المحافظة عليها، وحذفت الهاء من (إقامة)؛ لإضافتها إلى الصلاة.

﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ إعطاءها ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ موحِّدين.

***

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿وَلُوطًا﴾ سمي بذلك؛ لأن حبه لِيطَ بقلب إبراهيم؛ أي: تعلق ولصق، وكان عمه إبراهيم يحبه حباً شديداً، وهو ممن آمن به وهاجر معه إلى مصر وعاد إلى الشام.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة وفصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا﴾ بما ينبغي علمه

---

(١) «يقتدى بهم في الخير» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٢-١٤٣).

للأنبياء عليهم السلام ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ سدوم.

﴿ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ﴾ أي: يعمل أهلها.

﴿ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ﴾ إتيان الرجال، وقطع السبل، والمكس، وغير ذلك من المعاصي.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴾ بعملهم الخبائث.

***

﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ﴾ أي: في أهل رحمتنا.

﴿ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى.

***

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ ﴾ دعا على قومه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إبراهيم ولوط ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الغرق، وتكذيب قومه.

***

﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ ﴾ منعناه ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ أن يصلوا إليه بسوء.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لاجتماع الأمرين: تكذيب الحق، والانهماك في الشر؛ لأنهما لم يجتمعا في قوم إلا أهلكهم الله.

* * *

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: اذكرهما ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ كان زرعاً أو كرماً ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ ﴾ دخلت فيه ﴿ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ فأكلته، والنفش: انتشار الغنم ليلاً بلا راع، وأصله الانتشار.

﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ أي: عالمين، لا يخفى علينا علمه، جمع اثنين فقال: ﴿ لِحُكْمِهِمْ ﴾ وهو يريد داود وسليمان؛ لأن الاثنين جمع، وهو مثل قوله: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ [النساء: ١١] وهو يريد: أخوين، وقيل: ﴿ لِحُكْمِهِمْ ﴾ أي: لحكم الحاكمين والمتحاكمين، وأقل الجمع ثلاثة حقيقة بالاتفاق.

* * *

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا ﴾ أي: الحكومة ﴿ سُلَيْمَٰنَ ۚ ﴾ وعلمناه القضية.

فيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان؛ لأن الغنم رعت الزرع بلا راع ليلاً، فتحاكما إلى داود، فحكم لصاحب الزرع بالغنم، فقال سليمان: غير هذا أرفق بهما، وكان سنه إحدى عشرة سنة، فعزم عليه داود بالأبوة

والنبوة ليحكمن بينهما، فدفع الغنم إلى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها، وإلى صاحب الغنم الحرث يصلحه، فإذا عاد كحاله حين هلك، ترادا، فقال له: القضاء ما قضيت، هذا كان في شريعتهم.

وأما في شريعتنا، فما أفسدته البهائم من الزرع والشجر وغيرهما نهاراً بلا راع، فلا ضمان على ربها عند مالك والشافعي وأحمد، وما أفسدته ليلاً، ففيه الضمان عندهم إن فرط، وإلا، فلا؛ لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار، وترد بالليل إلى المراح.

وعند أبي حنيفة: لا ضمان في ذلك في ليل ولا نهار، إلا أن يكون معها سائق أو قائد، إلا أن ترسل عمداً.

واختلفوا فيما أتلفت من الأنفس والأموال سوى الزروع والثمار، فقال مالك: لا ضمان على ربها في ليل ولا نهار، وقال الشافعي: يضمن ما أتلفت من نفس ومال إذا كان معها ليلاً أو نهاراً، فإن بالت أو راثت بطريق، فتلف به نفس أو مال، فلا ضمان عليه، وقال أبو حنيفة وأحمد: إذا كانت في يد راكب أو سائق أو قائد، فيضمن ما جنت يدها أو فمها، أو وطؤها برجلها، وقيد أحمد بما [إذا كان قادراً على التصرف فيها، ولا يضمن عندهما ما نفحت برجلها، وقيد أحمد][(١)] بما إذا لم يكبحها؛ أي: يجد بها زيادة على المعتاد، أو يضربها على وجهها، ولا يضمن عندهما ما جنت بذنبها، والله أعلم.

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

وكان حكم داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ بوحي عند بعض، ومنع الأنبياء من الاجتهاد؛ لاكتفائهم بالوحي، فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود باجتهاد عند بعض؛ ليدركوا فضيلة المجتهدين، وجوز الخطأ عليهم؛ لأن المجتهد لا يقدر على إصابة الحق في كل حادثة، وأما العلماء، فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة، وإذا أخطأوا، فلا إثم عليهم.

وتقدم ذكر مذاهب الأئمة في جواز اجتهاد النبي ﷺ في أمر الدنيا، وحكم المجتهدين بعده في سورة التوبة عند ذكر قصة حنين، ومما يوضح أن داود وسليمان كانا على الصواب قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ يعني: داود وسليمان.

﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الفهم في القضاء والنبوة.

قال الحسن: لولا هذه الآية، لرأيت الحكام قد هلكوا، ولكن الله تعالى حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده[1].

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يقدسن الله تعالى معهُ.

﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على الجبال.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قادرين على المذكور من التسبيح والتفهيم، وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر، وكانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير.

* * *

---

(١) انظر: «الأم» للإمام الشافعي (٧/ ٩٣)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١١٨).

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ دروع ﴿لَّكُمْ﴾ واللبوس في اللغة: اسم لكل ما يُلبس في الأسلحة، والمراد: الدروع؛ لأنها كانت من صفائح، فهو أول من سردها وحلقها؛ لتجتمع الخفة والحصانة.

﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: يحرزكم من الحرب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بالتاء على التأنيث، يعني: الصنعة، ورواه أبو بكر، ورويس عن يعقوب: بالنون إلى الله تعالى لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير؛ أي: داود[1].

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ نعمتنا عليكم؟ خطاب لداود وأهل بيته، وقيل: لأهل مكة، فهل أنتم شاكرون نعمتي بطاعة الرسول؟

* * *

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ أي: وسخرنا لسليمان ﴿ٱلرِّيحَ﴾ وهي هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحس بحركته، وتذكر وتؤنث. قرأ أبو جعفر: (الرِّيَاحَ) بألف بعد الياء على

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٤).

الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد[1] ﴿عَاصِفَةً﴾ قوية.

﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، فكانت تسير به وبجنده على البساط، وكان عرضه فرسخاً في فرسخ، منسوج بإبريسم، عملته له الجن ـ حيث شاء، ثم يعود من يومه إلى منزله، وكان يقيل بمكان بينه وبينه شهر، ويمسي بآخر بينه وبينه شهر، وكان يغدو من إيلياء فيقيل بإصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل، وكان مقامه بتدمر، بناها له الشياطين بالصّفّاح والعَمَد وألوان الرخام.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ علمناه.

﴿عَٰلِمِينَ﴾ بصحة التدبير فيه، فنفعل مقتضى الحكمة.

***

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: وسخرنا منهم ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحر لاستخراج الدُّرِ ونحوه ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ أي: سواه من الأعمال.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ لئلا يعصوه، ولئلا يفسدوا عملهم، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل، أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره.

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٥).

﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ ۞وَأَيُّوبَ ﴾ أي: واذكره ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، وتمزيق جسده، وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين، مؤدياً لحق الله، شاكراً لأنعم الله، وتقدم ذكر نسبه في سورة النساء، وكان صاحب أموال عظيمة، وكانت له الثنية جميعها من أعمال دمشق ملكها، فابتلاه الله تعالى بأن أذهب أمواله حتى صار فقيراً، ثم ابتلاه في جسده حتى تجذم ودوَّد، وبقي رميّاً على مزبلة لا يطيق أحد أن يشم رائحته(١)، ورفضه كل الناس غير زوجته رحمة بنت أفراييم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام؛ فإنها استمرت صابرة تخدمه حتى باعت ظفيرتها بشيء أكله، فتزايا لها إبليس، وقال لها: اسجدي لي لأرد مالكم، فاستأذنت أيوب، فغضب وحلف ليضربنها مئة، ثم عافاه الله تعالى بعد ثلاث سنين، أو سبع، ورزقه، ورد على امرأته شبابها وحسنها، وولدت له ستة وعشرين ذكراً،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٥) عن الحسن، وذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٧٦-١٧٩) في خبر طويل، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٨٥).
ومعلوم أن الله تبارك وتعالى حمى أنبياءه ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ من كل ما ينفِّر، وعصمهم من مثل ما روي عن سيدنا أيوب ـ عليه السلام ـ. قال العلامة جمال الدين القاسمي في «محاسن التأويل» عند تفسيره لهذه الآية: إن أسانيدها مختلفة واهية، لا يقام لها وزن. وقال صاحب «أضواء البيان» (٤/ ٢٣٩): كل ذلك من الإسرائيليات، وغاية ما دلَّ عليه القرآن أن الله سبحانه ابتلى أيوب، وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كلَّ ضر، ووهبه أهله ومثلهم معهم.

ولما عوفي، أمره الله أن يأخذ عرجوناً من النخل فيه مئة شمراخ، فيضرب به زوجته رحمة؛ ليبر في يمينه، ففعل، وكان أيوب نبياً في عهد يعقوب، وعاش ثلاثاً وتسعين سنة ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: الضرر والشدة. قرأ حمزة: (مَسَّنِي الضُّرُّ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1] ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وشكواه لم تخرجه عن الصبر، ولذلك وصف بالصبر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]؛ لأنها إلى الخالق بأوجز عبارة، وألطف إشارة إلى أنه تعالى أهل أن يَرحم، وأيوب أهل أن يُرحم، وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه؛ ليسمع تضرعه»[2].

***

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ أولاده، روي أن الله تعالى أحياهم ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ آتاه الله مثلهم.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ لأيوب ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ عظة للمطيعين؛ ليصبروا كصبره، فيثابوا كثوابه، وتأتي تتمة قصته في سورة (صٓ) إن شاء الله تعالى.

سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٦).

(٢) رواه هنّاد بن السّري في «الزهد» (١/ ٢٣٩)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٩٧٠)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[1].

* * *

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٨٥)﴾.

[٨٥] ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ يعني: ابن إبراهيم.

﴿وَإِدْرِيسَ﴾ تقدم ذكره في سورة مريم.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ هو بشر بن أيوب، بعثه الله بعد أبيه، وسماه ذا الكفل، وكان مقامه بالشام، وقبره في قرية كفل حارس من أعمال نابلس، وسمي بذلك؛ لأنه تكفل بصيام جميع نهاره، وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى، فشكر الله له، ونبأه، فسمي ذا الكفل.

﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على أمر الله.

* * *

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٦)﴾.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ يعني: النبوة.

﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح؛ فإن الأنبياء صلاحهم معصوم عن كدر الفساد.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٢٣)، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٤٨١)، والإمام أحمد في المسند (١/ ١٧٢)، وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ أي: اذكر صاحب الحوت، وهو يونس بن متى عليه السلام، سمي به لابتلاع النون إياه، وهو الحوت.

﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ غضب على قومه لكفرهم، لا مغاضباً لربه؛ إذ مغاضبة الله معاداة له، ومعاداة الله كفر لا تليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء؟!

﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ ﴾ أي: نُضَيِّق ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ **قراءة العامة**: بالنون مفتوحة وكسر الدال، **وقرأ** يعقوب: بالياء مضمومة وفتح الدال مخففة على المجهول(١).

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ بطن الحوت والبحر والليل ﴿ أَن ﴾ أي: بأن ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بمغاضبتي، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له»(٢).

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٨٨-١٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٠)، وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أجبناه ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ من تلك الظلمات.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من كل كرب إذا استغاثوا بنا. قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُجِّي) بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء، على معنى: (نُنَجِّي)، ثم حذفت إحدى النونين تخفيفاً، كما جاء عن ابن كثير وغيره قراءة (وَنُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً) في الفرقان [الآية: ٢٥]، قال الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه «اللوامح»: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ على حذف النون الذي هو فاء الفعل من (نُنَزِّل). قراءة أهل مكة ووجه النصب في المؤمنين: أن المصدر قام مقام الفاعل، فبقي الـ(المؤمنين) مفعولاً به صريحاً، تقديره: نجي النجاء المؤمنين، ونظيره ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ على قراءة أبي جعفر في الجاثية [الآية: ١٤]؛ أي: ليجزي الجزاء قوماً، وقرأ الباقون: بنونين، الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم مستقبل أنجينا، وقد اعترض الزمخشري وغيره على قراءة ابن عامر وأبي بكر، وزعموا أنها لحن، فرد الكواشي اعتراضهم، وبين وجه الصحة فيها، وأشبع الكلام في ذلك(١).

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٨٩ـ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٧).

وتقدم ذكر يونس عليه السلام، ووفاته، ومحل قبره في سورة النساء [الآية: ١٦٣]، وتقدم طرف من ذكر قصته في سورة يونس [الآية: ٩٨]، ولنذكر في هذا المحل باقيها باختصار، فنقول وبالله التوفيق: يونس بن متى عليه السلام، قيل: إنه من بني إسرائيل، وإنه من سبط بنيامين، وتزوج بنت رجل من الأولياء اسمه زكريا كان مقيماً بالرملة، فأقام يونس عنده، ثم بعد وفاة زكريا، توجه إلى بيت المقدس يعبد الله تعالى، وكانت بعثته في أيام يوثم بن عَزِّيا هو أحدِ ملوك بني إسرائيل، وبعثه الله إلى أهل نينوى قبالة الموصل، بينهما دجلة، وكانوا يعبدون الأصنام، فنهاهم وواعدهم العذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، وضمن ذلك عن ربه ـ عز وجل ـ، وخرج يونس من بين أظهرهم، فلما أظلهم العذاب، آمنوا، فكشفه الله عنهم كما تقدم في سورة يونس، وجاء يونس لذلك اليوم، فلم ير العذاب حل بهم، ولا علم بإيمانهم، فذهب مغاضباً، ودخل في سفينة من سفن دجلة، فوقفت السفينة ولم تتحرك، فقال رئيسها: فيكم من له ذنب، فتساهموا على من يلقونه في البحر، فوقعت المساهمة على يونس، فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به إلى الأيكة، وكان من شأنه ما أخبر الله تعالى به.

وملخص قصته: أن الحوت التقمه، فكان يونس يسجد على قلب الحوت، والحوت يقول: يا يونس! أسمعني تسبيح المغمومين، وهو يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فتقول الملائكة: «إلهنا! إنا نسمع تسبيح مكروب، كان لك شاكراً، اللهم فارحمه في كربته وغربته»، واختلف في مدة لبثه، فمنهم من قال: أربعين يوماً، وقيل: ثلاثة أيام، فلما انقضت مدة قدرها الله تعالى له، أمر الحوت أن يرده إلى الموضع الذي أخذه منه، فشق ذلك على الحوت؛ لاستئناسه بذكر الله

تعالى، فقيل له: اقذفه، فقذفه في الساحل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، وخرج يونس مثل الفرخ المنتوف[1]، وقد ذهب بصره، وهو لا يقدر على القيام، فأنبت الله شجرة من يقطين لها أربعة آلاف غصن، فكانت فِراشه وغطاءه، وأمر الله الظبية فجاءته وأرضعته حتى قوي، وهبط جبريل ـ عليه السلام ـ، فسلم عليه، وأمرَّ يده على رأسه وجسده، فأنبت الله لحيته، ورد عليه بصره، وأوحى الله إليه بإيمان قومه حين رأوا العذاب، ثم هبط إليه ملك، ودفع إليه حلتين، وقال: سر إلى قومك؛ فإنهم يتمنونك، فاتزر بواحدة، وارتدى بأخرى، وسار يونس ـ عليه السلام ـ، فاجتمع بزوجته وولديه قبل وصوله إلى قومه، ثم وصل الخبر إلى قومه، فوثب الملك عن سريره، وخرجوا كلهم إلى يونس ـ عليه السلام ـ، وسلموا عليه، وفرحوا به، وحملوه إلى المدينة، وأقام فيهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر إلى أن توفاه الله تعالى، وفي قصته خلاف بين المفسرين والمؤرخين، والله أعلم.

***

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

[٨٩] ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا.

﴿رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ بلا ولد يرثني.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٥٩)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣٨)، و«العقوبات» (١٧١) عن عبد الله بن مسعود، ولم يرفعه، بلفظ: «كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش» ولم أقف على باقيه، وانظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١٠/ ٢١٢).

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ خير من يبقى بعد من يموت. واختلاف القراء في الهمزتين من (زَكَرِيَّا إِذْ) كاختلافهم فيهما في أول سورة مريم.

***

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ ولداً.

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ بتحسين خَلْقها وخُلقها، وجعلِها ولوداً بعد العقم ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي: مَنْ ذُكر من الأنبياء.

﴿ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يبادرون في عمل الطاعات.

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ طمعاً وخوفاً.

﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ متواضعين ذللاً. قرأ الدوري عن الكسائي: (يُسَارِعُونَ) بالإمالة، وأمال أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (مُوسَى) و(عِيسَى) و(يَحْيَى) حيث وقع[١].

***

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ منعته مما لا يحل، وهي مريم بنت عمران.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١-٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١٤٨).

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أمرنا جبريلَ حتى نفخ في جيب درعها، فأجرينا فيها روح عيسى ـ عليه السلام ـ المخلوقة.

﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ دلالة على كمال قدرتنا حمل امرأة بلا مساسة ذكر، وكون ولد من غير أب، ووحد الآية، ولم يقل: آيتين؛ لأن معنى الكلام: وجعلنا شأنهما آية؛ لأن الآية فيهما واحدة.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الأمة: الملة، و(هذه) إشارة إلى الإسلام، فأبطل ما سواه من الأديان، و(أمتكم) رفع خبر (إن)، و(أمة واحدة) نصب حال.

﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ قرأ يعقوب: (فَاعْبُدُونِي) بإثبات الياء[١].

* * *

﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة فقال: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ أي: اختلفوا في الدين، فصاروا فرقاً.

﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ فنجازيه.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٤).

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

[٩٤] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ لا يجحد عمله ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ ﴾ للسعي ﴿ كَٰتِبُونَ ﴾ في صحيفة عمله، فنثيبه عليه.

* * *

﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

[٩٥] ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: وحرام على أهل قرية حكمنا بإهلاكهم أن تقبل أعمالهم؛ لأنهم لا يرجعون عن كفرهم، وقيل: المعنى: حرام عليهم الرجوع إلى الدنيا بعد الهلاك. **قرأ** حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (وَحِرْمٌ) بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، والباقون: بفتح الحاء والراء وألف بعدها، ومعناهما واحد؛ لأنهما لغتان مثل حِلّ وحلال[1].

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

[٩٦] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي: فتح سدهما. **قرأ** ابن عامر، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (فُتِّحَتْ) بالتشديد على التكثير،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٠).

والباقون: بالتخفيف[1]، وتقدم تفسير يأجوج ومأجوج، واختلاف القراء فيهما في سورة الكهف[2].

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ هو المكان المرتفع ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون.

***

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ مرتفعة الأجفان ﴿أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فلا تكاد تطرف؛ لهول ما ترى، يقولون:

﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم.

﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها.

***

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ونزل خطاباً لعابدي الأصنام وإبليس وأتباعه:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥١).

(٢) عند تفسير الآية (٩٤) منها.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ما يُرمى به فيها للوقود.

﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ فيها داخلون.

* * *

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ثم وبخهم، وأخبرهم أن آلهتهم يدخلون النار بقوله: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: الأصنام ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلهاً.

﴿وَكُلٌّ﴾ من العابد والمعبود منهم ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا خلاص لهم منها. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (هَؤُلاَءِ آَلِهَةً) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل ياء[١].

* * *

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أنين وتنفس شديد.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً؛ لشدة غليان النار، ولما بهم من الألم، ومنعوا السمع؛ لأن فيه[٢] أنساً.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٣).

(٢) في «ت»: «فيها».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾.

[١٠١] ولما سمع عبد الله بن الزبعرىٰ السهمي ذلك، قال للنبي ﷺ: أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى المسيح، وبنو مليح الملائكة؟ فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا﴾(١) المنزلة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ السعادة؛ يعني: عزيراً والمسيح والملائكة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ وأنزل في ابن الزبعرىٰ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

* * *

﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾.

[١٠٢] ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ صوتها الخفي إذا دخلوا الجنة.

﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ من النعيم ﴿خَٰلِدُونَ﴾ مقيمون.

* * *

﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ﴾ قرأ أبو جعفر: بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي(٢) ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ النفخة الآخرة

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٤ـ١٧٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٣).

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تستقبلهم عند باب الجنة مهنئين يقولون لهم:

﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنة والثواب.

***

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ وطيُّها: تكوير نجومها، ومحو رسومها. **قرأ** أبو جعفر: (تُطْوَى) بالتاء وضمها على التأنيث وفتح الواو ورفع (السَّمَاءُ) على ما لم يسم فاعله، **وقرأ** الباقون: بالنون مفتوحة على التعظيم وكسر الواو ونصب (السَّمَاءَ)(١).

﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (لِلْكُتُبِ) بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، **وقرأ** الباقون: بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد(٢)، و(السِّجل) الصحيفة (للكتب)؛ أي: لأجل ما كتب، معناه: كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل: اسم مشتق من المساجلة، وهي المكاتبة، والطيُّ: هو الدرج الذي ضد النشر، ثم أومأ إلى تبديل السماء فقال:

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ نرده مثل أول خلقه، وأول خلقه إيجاد

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٥).

عن عدم، والخلق هنا يعم جميع الخلائق، المعنى: كما أوجدناه عن عدم، فكذلك نعيده عند البعث عن عدم.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ مصدر مؤكد؛ لأن نعيده عِدة بالإعادة.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك.

* * *

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ وفي جميع الكتب المنزلة. قرأ حمزة، وخلف: (الزُّبُورِ) بضم الزاي، والباقون: بفتحها[١].

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: اللوح المحفوظ؛ لأنها كلها أخذت منه ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، أو الأرض المقدسة.

﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ هو محمد ﷺ وأمته، يفتحون أرض الكفار، ويدخلون الجنة. قرأ حمزة: (عِبَادِي الصَّالِحُونَ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

* * *

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ لكفاية.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٥).

﴿لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ﴾ عاملين، وهم أمة محمد ﷺ.

* * *

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ جميعاً، فهو رحمة للمؤمن في الدارين، وللكافر في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ ونحوه.

* * *

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ منزه عما لا يليق بصفات الوحدانية ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: آمنوا بالمذكور.

* * *

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ فاستوينا في العلم بما أعلمتكم به ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ وما أعلم.

﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ أي: لا أعلم متى يحل بكم العذاب، وهو[١] أهولُ وأخوفُ.

* * *

---

(١) في «ت»: «وهذا».

﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ الضمير عائد إلى الله عز وجل ﴿ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ وفي هذه الآية تهديد؛ أي: يعلم جميع الأشياء الواقعة منكم، وهو بالمرصاد في الجزاء عليها.

* * *

﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ ﴾ أي: تأخير العذاب عنكم.

﴿ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾ أي: اختبار؛ ليرى كيف صنيعكم، وهو أعلم.

﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: تمتعون إلى انقضاء آجالكم.

* * *

﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ﴿ قَٰلَ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (قَالَ) بالألف إخبار عن النبي ﷺ، وقرأ الباقون: (قُلْ) بغير ألف على الأمر(١)؛ أي: أمره الله تعالى أن يقول على جهة الدعاء: ﴿ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ وقرأ أبو جعفر: (رَبُّ) بضم الباء، وقال ابن الجزري: ووجهه أنه لغة معروفة جائزة في نحو يا غلامي تنبيهاً على الضم، وأنت تنوي الإضافة، وليس ضمه على أنه منادى مفرد؛ كما ذكره أبو الفضل الرازي؛ لأن هذا ليس من نداء النكرة المقبل عليها،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٦).

وقرأ الباقون: بكسر الياء اكتفى بها عن الياء[1]، ومعنى ﴿ٱحۡكُم﴾: افصل بيني وبين مكذبي بالعذاب، فالحق بمعنى العذاب هنا، فعذبوا يوم بدر، وقرأ زيد عن يعقوب: (رَبِّي) بالياء (أَحْكَمُ) بقطع الألف وفتح الكاف ورفع الميم على وزن أفعل على الابتداء والخبر من الإحكام[2].

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الكذب والباطل. قرأ الدوري عن ابن ذكوان: (يَصِفُونَ) بالغيب، وقرأ الباقون: بالخطاب[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٦).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٧)، وهذه القراءة ليست متواترة عن يعقوب.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٧).

سورة الحج

قال الجمهور: هي مختلطة، منها مكي، ومنها مدني، قال ابن عطية: وهذا هو الأصح[1]، والله أعلم؛ لأن الآيات تقتضي ذلك، وآيها: ثمان وسبعون آية، وحروفها: خمسة آلاف ومئة وخمسة وسبعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئتان وإحدى وتسعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ أطيعوه، وهذا تحذير لجميع العالم.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ حركتها الشديدة﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ لا يوصف لعظمته، والزلزلة: التحريك العنيف، وزلزلة الساعة: هي كالمعهود في الدنيا، إلا أنها في غاية الشدة، واختلف فيها، فقال الجمهور: هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة، وقيل: هي في القيامة على

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١٠٥).

جميع العالم. قرأ أبو عمرو (السَّاعَة شَّيْءٌ) بإدغام التاء في الشين[1].

***

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: الزلزلة ﴿تَذْهَلُ﴾ تشغل ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ من الولد، فتترك إرضاعه في حال إلقامه ثديها؛ لشدة الأمر.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حبلى ﴿حَمْلَهَا﴾ ولدها قبل تمامه، والحمل ـ بالفتح ـ: ما تحمله الإناث، وـ بالكسر ـ: ما يحمل على الظهر والرأس، والتلاوة بالأول، وهذا دليل لمن قال: إن الزلزلة تكون في الدنيا؛ لأن بعد البعث لا يكون حبل، ومن قال: هي في القيامة، جعل ذلك تهويلاً لشأنها، يعني: لو فُرض ثَمَّ حامل، لوضعت.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ تشبيه لهم من الخوف. قرأ أبو عمرو: (النَّاس سُّكَارَى) بإدغام السين في السين[2] ﴿وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ السُّكر الحقيقي الذي هو من الخمر. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَكْرَى) بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف فيها. وقرأ الباقون: بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها، وهما لغتان لجمع السكران؛ مثل: كَسْلَى وكُسالى[3]، وقرأ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦١/٤).

(٢) المصدران السابقان.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٠)، =

أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالإمالة فيهما، واختلف عن ورش وابن ذكوان في الإمالة والفتح[1].

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم، وأذهب تمييزهم.

***

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

[٣] وكان النضر بن الحارث كثير الجدال في الله تعالى بالباطل، يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وينكر البعث وإحياء من صار تراباً، فنزل فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ﴾[2] في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ عاتٍ مستمر في الشر.

***

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قُضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه.

﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ لأن من شأنه الإضلال ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوه.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٨).

﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ بما يزين له من الباطل، والهاء في (عليه)، وفي (فأنه) للشيطان، وفي (يضله) لمتوليه، وفي معنى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ الآية من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: من أعان ظالماً، سُلِّط عليه.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: إن ارتبتم في البعث، فاستدلوا على صحته ببدء خلقكم.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مَنِيّ، خلقتم أنتم منها ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم جامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ لحمة صغيرة قدر ما تمضغ، وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً، ثم تصير لحماً.

﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق.

﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ النطفة قبل أن تصور، وهي ما تمجه الأرحام، وما يعني السقط ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ﴾ قدرتنا على البعث.

﴿وَنُقِرُّ﴾ نثبتُ ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ثبوته.

﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وقت الولادة. قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس: (نَشَاءُ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً خالصة مكسورة، وهو قول جمهور القراء المتقدمين، وذهب بعضهم إلى أنها تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء، وهو الأوجه في القياس، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين[١].

واتفق الأئمة على أن الأَمَة تكون أمَّ ولد بما أسقطته من ولد [تام الخلق، وتكون عند مالك أم ولد][٢] بالعلقة والمضغة، سواء كانت مخلقة أو غير مخلقة، وعند أبي حنيفة: إن كان قد تبين له شيء من خلق بني آدم؛ كإصبع أو عين أو غير ذلك، فهي به أم ولد، وعند الشافعي وأحمد: إذا وضعت ما فيه صورة، ولو خفية، صارت أم ولد.

واتفقوا على أن المولود إذا استهل صارخاً، غسل وصلي عليه، فإن لم يستهل صارخاً، لم يصل عليه عند الثلاثة، وعند أحمد: إذا ولد السقط لأكثر من أربعة أشهر، غسل، وصلي عليه.

﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ ﴾ من الرحم ﴿ طِفْلًا ﴾ اسم جنس؛ أي: أطفالاً.

﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ﴾ كمال عقلكم وقوتكم.

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ قبل بلوغ الكبر.

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ أخسه، وهو الخرف.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٥).

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من «ش».

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ ﴾ عَلِمَه قبل ﴿ شَيْـًٔا ﴾ أي: لينسى معارفه وعلمه الذي كان معه، فلا يعلم من ذلك شيئاً.

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ يابسة ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ﴾ المطر ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ تحركت بالنبات ﴿ وَرَبَتْ ﴾ قرأ أبو جعفر (وَرَبَأَتْ) بهمزة مفتوحة بعد الباء؛ أي: ارتفعت، وقرأ الباقون: بحذف الهمزة؛ أي: انتفخت(1).

﴿ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ ﴾ نوع.

﴿ بَهِيجٍ ﴾ حسن، فهذا دليل آخر على البعث.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) ﴾.

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكور، مبتدأ، خبره: ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: لتعلموا أن الله هو الحق ﴿ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

* * *

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ (٧) ﴾.

[٧] ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف.

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ (٨) ﴾.

---

(1) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٢). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٧).

[٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ يعني: النضر بن الحارث، وكرر الآية ردعاً للجاهل وتوبيخاً؛ لأنه يجادل بظن من غير تحقيق.

﴿وَلَا هُدٗى﴾ ليس معه من ربه رشاد ولا برهان.

﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ واضح.

***

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾.

[٩] ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ لاوياً جانبه متكبراً ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيَضِلَّ) بفتح الياء على اللزوم، وقرأ الباقون: بالضم(١)؛ أي: ليُضل هو الناسَ.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ عذاب وهوان، فقتل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط ببدر صبراً ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ وهو النار.

***

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النازل بك.

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ من العمل.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ إنما هو مُجازٍ لهم على أعمالهم.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٨).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ونزل فيمن دخل في الإسلام من غير اعتقاد صحته: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ ﴾(١) أي: شك واضطراب، وأصله من حرف الشيء، وهو طرفه، نحو حرف الجبل، فقيل للشاك في الدين إنه يعبد الله على حرف؛ لأنه على طرف وجانب في الدين، لم يدخل فيه على الثبات والتمكن؛ كالقائم على حرف الجبل، مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف؛ لضعف قيامه.

﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ ﴾ سكن إليه ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ اختبار بجدب وعسرة ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ رجع إلى الكفر ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا ﴾ بفوات ما كان يؤمله ﴿ وَٱلْءَاخِرَةَۚ ﴾ بخلوده في النار. قرأ روح، وزيد عن يعقوب: (خَاسِرَ) بإثبات الألف بعد الخاء على وزن فاعل، وخفض (الآخِرَةِ)(٢).

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الضرر الظاهر.

---

(١) روى البخاري (٤٤٦٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته، ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٨)، وليست هذه القراءة هي المتواترة عن يعقوب.

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ يَدْعُواْ ﴾ يعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ إن لم يعبده.

﴿ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ﴾ إن عبده.

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ عن الهداية الذاهب عن الحق.

***

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ يَدْعُواْ ﴾ تكريراً تأكيداً لكفره ﴿ لَمَن ضَرُّهُۥٓ ﴾ بكونه معبوداً؛ لأنه يوجب القتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة ﴿ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ ﴾ الذي يتوقع بعبادته، وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى. و(اللام) في قول الكسائي مقدمة في غير موضعها، و(مَنْ) في موضع نصب، و(ضَرُّهْ) مبتدأ، و(أَقْرَبُ) خبره، والجملة صلة (مَنْ)، وخبر (مَنْ) محذوف، والتقدير: يقول لمن ضره أقرب من نفعه آلهة، والمعنى: أنه يضر ولا ينفع.

﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ الناصر ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الصاحب المعاشر.

***

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ من إثابة الموحد، وعقاب المشرك.

***

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ولما ظن الكفار أن محمداً ﷺ لن يُنصر، نزل: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[١] المعنى: أن الله ينصر نبيه، فمن ظن خلافه.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فليشدد حبلاً في سقف بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ليختنق به فيموت. قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وورش عن نافع، ورويس عن يعقوب: (لِيَقْطَعْ) بكسر اللام؛ لأنها لام أمر أصلها الكسر، كما لو ابتدأ بها، ولا اعتداد بحرف العطف، والباقون: بإسكانها تخفيفاً[٢]، واعتداداً بحرف العطف مبتدأ به.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ تلخيصه: هل يذهب فعله غيظه؟! وهذا مبالغة في الزجر؛ كما يقال للعدو: إن لم ترض، فاختنق، ومت غيظاً، وإلا، فلا نظر بعد الموت.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك؛ يعني: ما تقدم من آيات القرآن.

﴿أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ﴾ أي: وأنزلنا أن ﴿ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ هدايته.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٩).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على الحقيقة ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يعني: اليهود، سموا به؛ لقولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا؛ أي: تابوا عن عبادة العجل، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ جمع صابئ، أصله الخروج، يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين آخر، وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية، وعبدوا الملائكة، ويستقبلون القبلة، ويوحدون الله تعالى، ويقرؤون الزبور. **قرأ** نافع، وأبو جعفر: (وَالصَّابِينَ) (وَالصَّابُونَ) بغير همز، والباقون: بالهمز(١).

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ سموا به لقولهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] وقيل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها: ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام.

﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ هم عبدة النار والشمس والقمر.

﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ هم عبدة الأوثان، قال قتادة: الأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد للرحمن(٢).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ يحكم بين الفرق المذكورة، فيدخل الكافر النار، والمؤمن الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ عالم به.

* * *

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾.

[١٨] ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ بقلبك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ قال مجاهد: سجود هذه الأشياء بظلالها[١]، وقيل: المراد بسجود من ليس من أهله: انقياده لما أريد منه.

﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ يعني: المسلمين ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ بترك السجود، وهم الكفار، وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عز وجل.

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي: يهنه الله بالشقاوة.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ يكرمه بالسعادة، المعنى: من يُذِلُّه الله تعالى، فلا مُعِزَّ له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ من الإكرام والإهانة بإرادته ومشيئته، وهذا محل سجود بالاتفاق.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٦).

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ونزل في حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث حين برزوا ببدر إلى عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾(١) أي: طائفتان. قرأ ابن كثير: (هَذَانِّ) بالمد وتشديد النون، والباقون: بالتخفيف(٢)، والخصم: مصدر يعم المفرد والجمع، والذكر والأنثى، فلذلك قال:

﴿ ٱخْتَصَمُوا۟ ﴾ رداً إلى المعنى ﴿ فِى رَبِّهِمْ ﴾ في دينه.

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ ﴾ هيئت.

﴿ لَهُمْ ثِيَابٌ ﴾ يلبسونها ﴿ مِّن نَّارٍ ﴾ وسمي ما يتخذ من النار ثياباً؛ لإحاطته باللابس كالثوب ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ الماء البالغ نهاية الحر. قال ابن عباس: لو سقطت قطرة منه على جبال الدنيا، لأذابتها(٣).

* * *

﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ ﴾ يذاب بالحميم المسكوب على رؤوسهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٤٨)، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، ومسلم (٣٠٣٣)، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧١).

(٣) انظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٠١).

﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها، فيقطعها، وتخرج من أدبارهم ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أيضاً تذاب.

* * *

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ﴾ سِياط مختصة بهم، جمع مِقْمَعة.

﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ يُضربون بها.

* * *

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ من النار.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم، فخرجوا.

﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ وذلك أن النار تضربهم بلهبها، فتلقيهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد، فيهوون إلى قعرها سبعين خريفاً، فالمراد: إعادتهم إلى معظم النار، لا أنهم ينفصلون عنها بالكلية، ثم يعودون إليها.

﴿وَذُوقُوا﴾ أي: ويقال لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ البالغ نهاية الإحراق، هؤلاء أحد الخصمين.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] وقال في الآخر، وهم المؤمنون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ يلبسون الحلي في الجنة.

﴿مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ جمع سوار.

﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ اللؤلؤ: اسم جامع للحَبِّ يخرج من البحر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، ويعقوب: (وَلُؤْلُؤاً) بالنصب على معنى: ويحلون لؤلؤاً، ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف، فأبو جعفر يترك الهمزتين، فيسكن الواو الأولى، وينصب الثانية، وأبو بكر عن عاصم: يترك الأولى فقط، وقرأ الباقون: بالخفض عطفاً على (أساور)، وأبو عمرو يترك الهمزة الأولى، واختلفوا في وجه إثبات الألف فيه، فقال أبو عمرو: أثبتوها كما أثبتوا في (قالوا)، و(كانوا)، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة؛ لأن الهمزة حرف من الحروف(١).

﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿حَرِيرٞ﴾ هو الإبريسم المحرم لبسُه على الرجال، ولا خلاف بين الأئمة في تحريم لبس الحرير على الرجل إلا في

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٥)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١١٧ـ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٢).

الحرب المباح، أو لضرورة؛ كحكة، أو جرب في جسده، واختلفوا في الجلوس عليه، والاستناد إليه، فأجازه أبو حنيفة، ومنعه الثلاثة كلبسه، وحكم الصبي عند أحمد كالرجل.

***

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أُرشدوا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ هو القرآن، وقيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل غير ذلك ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ طريق الجنة، و(الحميد) هو الله المحمود في أفعاله.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن﴾ تقديره، وهم يصدون ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي؛ لأن الصد بمعنى دوام الصفة لهم، وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صُد النبي ﷺ عن المسجد الحرام.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: ويصدون عن المسجد الحرام.

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ قبلةً لصلاتهم، ومنسكاً ومتعبداً، وقال ابن عباس وغيره: المراد منه جميع الحرم[1].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ٣٢).

﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ ﴾ المقيم ﴿ وَٱلْبَادِۚ ﴾ أي: الآتي إليه من البادية. قرأ حفص عن عاصم: (سَوَاءً) نصب بإيقاع الجعل عليه؛ لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء، وما بعده خبره، وتمام الكلام عند قوله: (للناس)[1]، وأثبت أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: الياء في (البادي) وصلاً، وأثبتها ابن كثير ويعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين، وهي في الإمام بغير ياء[2]، المعنى: المقيم فيه، والوارد إليه سواء، لا يخص بعضاً دون بعض.

وأجمع الناس على الاستواء في نفس المسجد الحرام، واختلف في مكة، فذهب عمر بن الخطاب، وابن عباس، ومجاهد، وجماعة إلى أن الأمر كذلك في دور مكة، وأن القادم له النزول حيث وجد فارغاً، وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى، وقال ذلك سفيان الثوري وغيره، وكذلك كان الأمر في الصدر الأول.

وروي أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قُبضوا وما تُدعى دور مكة إلا السوائبَ، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن[3]، وكانت دورهم بغير أبواب حتى كثرت السرقة، فاتخذ رجل باباً، فأنكر عليه عمر

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٥).

(٣) رواه ابن ماجه (٣١٠٧)، كتاب: المناسك، باب: أجر بيوت مكة، والدارقطني في «سننه» (٣/ ٥٨)، وغيرهما عن علقمة بن نضلة ـ رضي الله عنه ـ.

وقال: أتغلق باباً في وجه حج[1] بيت الله، فقال: إنما أردت حفظ متاعهم من السرقة، فتركه، فاتخذ الناس الأبواب.

قال ابن عطية: وقال جمهور من الأمة، منهم الإمام مالك: ليست الدور كالمسجد، ولأهلها المتاع بها، والاستبداد، وعلى هذا العمل اليوم، وهذا الخلاف متركب على الاختلاف في مكة، هل هي عَنْوة أو صلح؟ فمن رآها صلحاً، فإن الاستواء عنده في المنازل بعيد، ومن رآها عنوة، أمكنه أن يقول: الاستواء فيها قرره[2] الأئمة الذين لم يُقطعوها أحداً، وإنما سكنى من سكن من قبل نفسه[3].

واختلف الأئمة في فتحها، فذهب مالك وأصحابه: إلى أنها فتحت عنوة بالسيف، وهو الصحيح من مذهب الإمام أحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: فتحت صلحاً.

واختلفوا في جواز بيع دور مكة وإجارتها، فقال أحمد: لا يجوز بيع رَباع مكة والحرم، وهي المنازل، ولا إجارتها؛ لأنها فتحت عنوة، وقال مالك: يجوز إجارتها وبيعها؛ لأن النبي ﷺ منَّ بمكة على أهلها، فلم تقسم، ولا سبي أهلها؛ لما عظم الله من حرمتها، ولكن الكراهة عنده في كراء دور مكة قوية؛ طلباً للمواساة بها، وروي عنه أيضاً كراهة كرائها في أيام الموسم خاصة، وقال أبو حنيفة: لا بأس ببيع بناء بيوت مكة، ويكره بيع أرضها، وكذا الإجارة، وقال صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن:

---

(١) «حج» زيادة من «ت».

(٢) في «ش» «فيما قدره».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١١٦).

لا بأس بالبيع في الأرض والبناء، وأما مذهب الشافعي، فلم يختلف في جواز البيع والإجارة؛ لأنها فتحت عنده صلحاً.

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ أي: يفعل ﴿فِيهِ﴾ أي: في المسجد ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ هو الميل عن الحق، والباء زائدة، معناه: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، والمراد بالإلحاد هنا: الشرك وجميع المعاصي ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جواب لـ(مَنْ).

* * *

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿بَوَّأْنَا﴾ هيأنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ ليبنيه؛ لأن البيت كان رفع إلى السماء زمن الطوفان؛ وكان من ياقوتة حمراء، ثم لما أمر الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ببنائه، لم يدر أين يبني، فأعلم الله مكانه بريح أرسلها، فكنست ما حوله، فبناه على أُسِّه القديم ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أي: وقلنا له: لا تشرك بي شيئاً.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر، وحفص عن عاصم: (بَيْتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ بالبيت ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين به.

﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٦).

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ ﴾ أي: نادِ فيهم ﴿ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ مشاة.

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ بعير مهزول ﴿ يَأْتِينَ ﴾ أي: النوق.

﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ ﴾ طريق ﴿ عَمِيقٍ ﴾ بعيد، والضامر: هو كل ما اتصف بذلك من جمل وناقة وغير ذلك.

روي أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أُمر بالأذان بالحج، قال: «يا رب! وإذا ناديتُ، فمن يسمعني؟ فقيل له: نادِ يا إبراهيم، فعليك النداء، وعلينا البلاغ، فصعد على أبي قبيس فقال: أيها الناس! ألا إن ربكم قد بنى بيتاً، وكتب عليكم الحج، فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، فجرت التلبية على ذلك».

قال ابن عباس: «فأول من أجابه أهل اليمن(١)، فهم أكثر الناس حجاً»(٢).

واتفق الأئمة على أن الحج فرض على كل مسلم بالغ عاقل صحيح مرة في العمر مع الاستطاعة، فعند الشافعي ومالك: يجب على التراخي، وقيد مالك بما إذا لم يخش الفوت، وعند أبي حنيفة وأحمد: على الفور.

واختلفوا في العمرة، فقال أبو حنيفة ومالك: هي سنة، وقال الشافعي

---

(١) في «ت»: «اليمين».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٣).

وأحمد: هي فرض كالحج، وتقدم الكلام على ذلك، وعلى أوجه الحج الثلاثة، وهي: الإفراد، والتمتع، والقران في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[1] [الآية: ١٩٦].

---

(١) جاء في هامش الأصل: روي عن بعض. . . . قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ أقبلت طائفة من اليمن، فقالوا: فداك الأمهات والآباء، أخبرنا بفضائل الحج، قال: بلى، أي رجل خرج من منزله حاجاً أو معتمراً، فكلما رفع قدماً، ووضع قدماً تناثرت الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة. . . . بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل، طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين، جدد الله له الحسنات، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك، أجابه الله ـ عز وجل ـ بلبيك وسعديك، أسمع كلامك، وأنظر إليك، فإذا دخل مكة، وطاف وسعى بين الصفا والمروة، وصل الله له الخيرات، فإذا وافى عرفات، وضجت الأصوات بالحاجات، باهى الله بهم ملائكته بسبع سموات، ويقول: ملائكتي وسكان سمواتي! أما ترون إلى عبادي، أتوني من كل فج عميق شعثاً غبراً، قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان، فوعزتي وجلالي وكرمي [لأجزين] منهم المحسن، [ولأطهرنهم] من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم، فإذا رموا الحجارة وحلقوا الرؤوس، وزاروا البيت، نادى مناد من بُطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم، واستأنفوا العمل»[1]. قال ﷺ: «من مات ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»[2] انتهى.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الترمذي (٧٤٠)، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحجِّ، من حديث عليٍّ رضي الله عنه وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعَّف في الحديث. اهـ. وذكر الحافظ ابن حجر ما ملخصه: أن هذا الحديث له طرق صحيحة إلا أنها موقوفة، وأن له أصلاً. وقد خطَّأ رحمه الله مَن ادَّعى أنه موضوع، ومَحمَلُ الحديث على مَن استحلَّ التَّرك. انظر: «التلخيص الحبير» (٣/ ١٢٢).

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ ﴾ ليحضروا ﴿ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ دينية ودنيوية.

﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ عند التذكية ﴿ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ عندهم؛ لأنهم كانوا يحرصون على علمها وعدها لأجل الحج، وهي عشر ذي الحجة عند الأئمة الثلاثة، وأكثر أهل العلم، وعند مالك: هي أيام النحر الثلاثة.

﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، فلا تجوز الأضحية من غيرها.

﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ أمر إباحة ليس بواجب، وإنما قال ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، وأما الأضحية، فإنها مشروعة بأصل الشرع بالاتفاق.

واختلفوا في حكمها، فقال أبو حنيفة: هي واجبة على كل مسلم حر مقيم ملكَ نصاباً من أي الأموال كان، وقال الثلاثة: هي سنة غير مفروضة، واستثنى مالك الحاج الذي بمنى، فإن سنته عنده الهدي، ويجوز الأكل منها باتفاقهم، فقال أبو حنيفة: له أن يأكل منها، ويطعم الأغنياء والفقراء، ويدخر، ويستحب ألاّ ينقص الصدقة من الثلث، وقال مالك: يأكل ويطعم، وليس لما يأكله ولا لما يطعمه حد، وقال الشافعي وأحمد: يأكل الثلث، ويهدي الثلث، ويتصدق بالثلث، ولو أكل أكثر، جاز.

واختلفوا في الأفضل مما يضحى به، فقال مالك: الأفضل الغنم، ثم

البقر، ثم الإبل، قال الثلاثة: أفضلها الإبل، ثم البقر، ثم الغنم، والضأن أفضل من المعز بالاتفاق، ويجوز الذكر والأنثى والخصي، وشرطها سلامة من عيب ينقص اللحم، فلا تجزىء العجفاء، وهي الهزيلة، ولا ذات عرج وعور ومرض، وتجزىء الجماء، وهي التي خلقت بغير قرون، ولا يضر شق أذن وخرقها، بغير خلاف في ذلك، وتجزىء الشاة عن واحد باتفاقهم، وتجزىء البدنة والبقرة عن سبعة عند الثلاثة، وقال مالك: هما كالشاة لا تجزىء إلا عن واحد.

واختلفوا فيما يجزىء في الأضحية والهدي، فقال أبو حنيفة وأحمد: يجزىء الجذع من الضأن، وهو ما له ستة أشهر، والثني مما سواه، فمن المعز ما له سنة، ومن البقر ما له سنتان، ومن الإبل ما له خمس سنين، وقال مالك: الجذع من الضأن ما له سنة، والثني مما سواه، فمن المعز ما له ثلاث سنين، ومن البقر ما دخل في الثالثة، ومن الإبل ما له ست سنين، وقال الشافعي: من الإبل ما طعن في السادسة، ومن البقر والمعز ما طعن في الثالثة، ومن الضأن ما طعن في الثانية، والسنة أن يذبحها بنفسه إن كان يحسن، وإلا يحضُرها.

واختلفوا فيما إذا ذبحها كتابي، فقال مالك: لا يجوز، وقال الثلاثة: يجوز مع الكراهة.

وله أن ينتفع بجلدها، ولا يعطى الجازر بأجرته شيئاً منها، ولا يبيعها ولا شيئاً منها بالاتفاق، وأما الهدي الواجب بأصل الشرع؛ كدم التمتع والقران، والواجب بإفساد الحج وفواته، وجزاء الصيد، وما أوجبه على نفسه بالنذر، فلا يجوز الأكل منها عند الشافعي، وقال مالك: يأكل من

هدي التمتع، ومن كل هدي وجب عليه، إلا من أربعة أشياء: فدية الأذى، وجزاء الصيد، ونذر المساكين، وهدي التطوع إذا عطب قبل محله، وقال أبو حنيفة وأحمد: يأكل من هدي التطوع، ودم التمتع والقران، ولا يأكل من واجب سواهما، وسيأتي ذكر وقت الذبح والكلام عليه في سورة الكوثر إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ﴾ هو ذو البؤس؛ أي: الشدة.

﴿ٱلْفَقِيرَ﴾ الذي لا شيء له.

***

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ يزيلوا أوساخهم، والمراد: الخروج عن الإحرام بالحلق، وقص الشارب، وقلم الأظافر، ولبس الثياب، وقال ابن عباس وابن عمر: قضاء التفث: مناسك الحج كلها(١).

﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ ما ينذرون من البر في حجهم ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ ليدوروا طواف الإفاضة ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ الكعبة؛ لأنه أول بيت وضع للناس. **قرأ** ابن عامر، وأبو عمرو، وورش، ورويس، وقنبل: (ثُمَّ لِيَقْضُوا) بكسر اللام، والباقون: بإسكانها(٢)، وتقدم توجيه قراءتهم عند

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٤٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٧).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾، وهذا الحرف نظيره، **وقرأ** ابن ذكوان عن ابن عامر: (وَلِيُوفُوا) (وَلِيَطَّوَّفُوا) بكسر اللام فيهما، والباقون: بإسكانها منهما[1]، **وقرأ** أبو بكر عن عاصم: (وَلْيُوَفُّوا) بفتح الواو وتشديد الفاء[2].

وطواف الإفاضة ركن، وبه تمام الحج بالاتفاق، وأول وقته عند أبي حنيفة طلوع الفجر من يوم النحر، وآخره آخر اليوم الثاني من أيام التشريق، فإن أخره إلى اليوم الثالث، لزمه شاة، وعند الشافعي وأحمد: أول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر، والأفضل فعله يوم النحر، فإن أخره عن أيام منى، جاز، وعند مالك: يجوز تأخيره إلى آخر ذي الحجة؛ لأنه بكماله عنده من أشهر الحج، لكنه قال: لا بأس بتأخير الإفاضة إلى أيام التشريق، وتعجيلها أفضل، فإن أخرها إلى المحرم، فعليه دم.

***

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من أعمال الحج ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦-١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٨).

﴿ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه، وتعظيمها: ترك ملابستها.

﴿فَهُوَ﴾ أي: التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الدار الآخرة.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه؛ أي: في سورة المائدة، وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [الآية: ٣] استثناء منقطع؛ لأن المحرَّم ليس من جنس الأنعام.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ القذر ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ بيان للرجس؛ لأن الرجس: الأوثان وغيرها؛ أي: اجتنبوا الرجس من هذا القبيل.

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ الكذب والبهتان.

روي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس! عدلت شهادة الزور بالشرك بالله، ثم قرأ هذه الآية»(١).

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور، فقال أبو حنيفة: لا يُعزر، بل يوقف في قومه، ويقال لهم: إنه شاهد زور، وقال الثلاثة: يعزر، ويوقف في قومه، ويعرفون أنه شاهد زور، وقال مالك: يشهر في الجوامع

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٩)، كتاب: الأقضية، باب ما جاء في شهادة الزور، والترمذي (٣٠٠)، كتاب: الشهادات، باب: ما جاء في شهادة الزور، وابن ماجه (٢٣٧٢)، كتاب: الأحكام، باب: شهادة الزور، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢١)، وغيرهم عن خريم بن فاتك ـ رضي الله عنه ـ. وفي إسناده مجهول، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠).

والأسواق والمجامع، وقال أحمد: يطاف به في المواضع التي يشتهر فيها، فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور، فاجتنبوه.

* * *

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ اجتنبوا معصية الله تعالى مخلصين ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ يعني: من أشرك لا يكون حنيفاً.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى الأرض.

﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ تستلبه ﴿ٱلطَّيْرُ﴾ والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة. قرأ أبو جعفر، ونافع: (فَتَخَطَّفُهُ) بفتح الخاء وتشديد الطاء؛ أي: تتخطفه، فحذفت إحدى التاءين، وقرأ الباقون: بإسكان الخاء وتخفيف الطاء؛ من خطف يخطف(١).

﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: تميل وتذهب به ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد مهلك لا يرجى خلاصه منه، المعنى: ومن يشرك بالله، فقد هلكت نفسه هلاكاً يشبه أحد الهلاكين. قرأ أبو جعفر: (الرِّيَاحُ) بألف بعد الياء على الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٩).

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من اجتناب الرجس وقول الزور.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ وهي الهدي والبدن، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدي، وتعظيمها: استسمانها واستحسانها.

﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الفعلة، وهي اجتناب الرجس، وتعظيم الشعائر.

﴿مِن﴾ أفعال ذوي ﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ وذكر القلوب؛ لأنها منشأ التقوى والفجور، والآمرة بهما.

* * *

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في البدن ﴿مَنَٰفِعُ﴾ قبل تسميتها للهدي؛ من دَرِّها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أن يسميها ويوجبها هدياً، فإذا فعل ذلك، لم يكن له شيء من منافعها.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ والمراد: الحرم كله، فتنحر فيه، واتفق الأئمة على جواز ركوب الهدي للحاجة ما لم يضر به.

* * *

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم.

﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (مَنْسِكاً) بكسر السين بمعنى: موضع القربان، **وقرأ** الباقون: بفتح السين، مصدر بمعنى النسك، وهو إهراقة الدماء(١).

﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عند النحر ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ وقيد بهيمة الأنعام؛ لأن من البهائم ما لا يجوز في القرابين؛ كالخيل والحمر.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أخلصوا وأطيعوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المطيعين المتواضعين، والخبت: المكان المطمئن من الأرض، روي أن قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ نزل في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم(٢).

* * *

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت واضطربت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ من المحن ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٨-٤٩).

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ جمع بَدنَة، سميت بذلك؛ لعظم أبدانها، وهي الإبل خاصة.

﴿ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أعلام دينه، سميت شعائر؛ لأنها تُشْعَر، وهو أن تطعن بحديدة في سنامها، فيعلم أنها هَدْي، وتقدم الكلام على ذلك واختلاف الأئمة فيه في أول سورة المائدة.

﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ النفع في الدنيا، والأجر في العقبى.

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند نحرها ﴿ صَوَآفَّ ﴾ أي: قياماً على ثلاث قوائم، قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدُها اليسرى معقولة عند الذبح، وهي جمع صافَّة.

واختلف الأئمة في التسمية عند الذبح، فمذهب الشافعي: أن التسمية سنة، وتحل الذبيحة إذا تركها عامداً أو ناسياً، ومذهب الثلاثة: إن تركها عمداً، لم تحل، وإن تركها ناسياً، حلت.

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ ﴾ سقطت ﴿ جُنُوبُهَا ﴾ إلى الأرض ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ إن شئتم ﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ ﴾ هو ذو القناعة الذي لا يتعرض ولا يسأل.

﴿ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ المتعرض بغير سؤال.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك التسخير.

﴿ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ ﴾ مع عظمها وقوتها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ إنعامنا عليكم.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ لن ترفع إليه ﴿لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ وذلك أن الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن، لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله تعالى، فنزلت الآية: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(١) يعني: النية والإخلاص، وما أريد به وجه الله. قرأ يعقوب: (لَنْ تنَالَ) (وَلَكِنْ تنَالُهُ) بالتاء على التأنيث فيهما؛ لتأنيث الجماعة، وتأنيث التقوى، وقرأهما الباقون: بالياء على التذكير(٢).

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ يعني: البدن ﴿لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ لأعلام دينه، ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، وقيل: التسمية والتكبير على الهدي والأضحية أن يقول الذابح: بسم الله والله أكبر ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الموحدين، روي أن قوله: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ نزل في الخلفاء الأربعة كما تقدم في المخبتين، فأما ظاهر اللفظ، فمقتض للعموم في كل محسن.

* * *

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١)، و«تفسير البيضاوي» (٤/ ١٢٨)، و«عمدة القاري» للعيني (١٠/ ٢٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٣).

[٣٨] ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ يذهب غوائل المشركين وأذاهم.

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ خائن في أمانته.

﴿كَفُورٍ﴾ بالله تعالى؛ حيث أشرك.

* * *

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ولما كان المشركون من أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ، فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج، ويشكون إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أؤمر بقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾(٢). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وخلف باختلاف عنه: (أُذِنَ) بضم الهمزة مجهولاً،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١-٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٤).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٦). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٨٧-٣٨٨) غريب جداً.

[والباقون: بفتحها؛ أي: أذن الله للذين يقاتلون[١]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (يُقَاتَلُونَ) بفتح التاء مجهولاً][٢]؛ أي: يقاتلهم عدوهم، وقرأ الباقون: بكسرها معلوماً[٣]؛ أي: يقاتلون هم عدوهم.

﴿ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾ بسبب كونهم مظلومين باعتداء الكفار عليهم.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ونسخت هذه الآية سبعين آية؛ لأنها أول آية نزلت في الإذن بالقتال، ونزلت بالمدينة[٤].

***

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم ﴾ يعني: مكة، بدل من ﴿ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ﴾ ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بغير ذنب ﴿ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ ﴾ المعنى: لم يخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٤-١٨٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) المصادر السابقة.

(٤) في «ش»: «في المدينة».

﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ﴾ بالجهاد وإقامة الحدود. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (دِفَاعُ) بكسر الدال وألف بعد الفاء، **وقرأ** الباقون: (دَفْعُ) بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف(١).

﴿لَّهُدِّمَتۡ﴾ لخربت. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: بتخفيف(٢) الدال، والباقون: بتشديدها، فالتخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد يختص بالكثير(٣)، **وقرأ** ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون، والأصبهاني عن ورش، وهشام عن ابن عامر: بإظهار التاء عند الصاد من (صَوَامِعُ)، والباقون: بإدغامها(٤).

﴿صَوَٰمِعُ﴾ منابر الرهبان ﴿وَبِيَعٞ﴾ جمع بِيعة، وهي كنيسة النصارى.

﴿وَصَلَوَٰتٞ﴾ أي: مواضع صلوات، وهي كنائس اليهود.

﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ هي للمسلمين.

﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ المعنى: لولا دفع الله عن المتعبدين بالمجاهدين، لانقطعت العبادات، وخربت المتعبدات، وقدم مصليات الكافرين على مساجد المؤمنين؛ لأنها أقدم.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٥).

(٢) في «ش»: «بفتح» وهو خطأ.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٥ـ١٨٦).

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٦).

واتفق الأئمة على منع أهل الذمة من إحداث الكنائس والبيع في بلاد الإسلام فيما اختطه المسلمون من الأمصار، وما فتح عنوة، واتفقوا على جواز ذلك فيما شرطوه فيما فتح صلحاً على أنه لنا، واختلفوا في إعادة المنهدم منها، فقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز إعادته، وقال مالك وأحمد: لا يجوز، قال أحمد: ولو هدم ظلماً، وأما رم المتشعث منها، فيجوز عند الثلاثة، وعند مالك: إن اشترطوه جاز، وإلا فلا.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: ينصر دينه، وقد نجز وعده بتسليط المهاجرين والأنصار على العرب والعجم، وأورثهم أرضهم وديارهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ ممتنع في سلطانه.

***

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بنصرهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد، قال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي[(١)]: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه.

***

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ثم سلى نبيه فقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ﴾.

---

(١) «أي» ساقطة من «ت».

﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾.

* * *

﴿ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ أمهلتهم.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ ﴾ عاقبتهم.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ إنكاري عليهم بإهلاكهم، يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه، وقوله: ﴿ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾ مجهولاً؛ لأن موسى لم يكذبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذبه القبط. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (أَخَذْتُهُمْ) (أَخَذْتُهَا)[1] بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[2]، وقرأ ورش عن نافع: (نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[3].

* * *

---

(١) «أخذتها» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٨/٤).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٢٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٨/٤).

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿فَكَأَيِّن﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، وأبو جعفر يسهل الهمزة، والباقون: بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة، ووقف أبو عمرو ويعقوب (فَكَأَيْ) بغير نون حيث وقع، ووقف الباقون: (فَكَأَيِّنْ)، وهي كاف التشبيه ضمت إلى الاستفهام، فصار المعنى: وكم[١].

﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ يعني: أهلها. قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (أَهْلَكْتُهَا) بالتاء مضمومة من غير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون: بالنون مفتوحة وألف بعدها جمعاً على التعظيم[٢].

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: مشرِكٌ أهلُها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها؛ بأن سقطت السقوف، ثم سقطت عليها الحيطان.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: وكم من بئر متروكة مع وجود الماء وآلاتها فيها؛ لهلاك أربابها. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (وَبِيرٍ) بغير همز، والباقون: بالهمز[٣].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٨ـ١٨٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ مجصَّص من الشيد مرتفع محكم أخليته بإهلاك أربابه[1]، أفلم يعتبر كفار مكة بذلك؟

روي أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها: حاصوراء، وذلك أن أربعة آلاف ممن آمن بصالح ـ عليه السلام ـ نجوا من العذاب، فأتوا حضرموت، ومعهم صالح، فلما حضروه، مات صالح، فسمي: حضرموت؛ لأن صالحاً لما حضره[2] مات، فبنوا حاصوراء، وقعدوا على[3] هذه البئر، وأمَّروا عليهم رجلاً، فأقاموا دهراً، وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا، فأرسل الله عز وجل إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، وكان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله، وعطلت بئرهم، وخربت قصورهم[4].

* * *

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: كفار مكة، فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ أي: يعلمون بها، فيه دليل على أن العقل محله القلب، وهو قول المالكية والشافعية

= الجزري (١/ ٣٩٠ـ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٩).

(١) في «ت»: «أربابها».

(٢) في «ت»: «حضروه».

(٣) في «ش»: «في».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٤).

وأصحاب أحمد، والأطباء قالوا: وله اتصال بالدماغ، والمشهور عن أحمد أنه في الدماغ، وفاقاً للحنفية، والعقل ما يحصل به المَيْزُ، وهو نور في القلب كالعلم، وهو غريزة، ويختلف، فعقل بعض الناس أكثر، وهو مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل.

﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية، فيعتبروا بها.

﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القصة.

﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ المعنى: أعينهم صحيحة، وقلوبهم عُمي، والعمى الضار هو عمى القلب، فأما البصر، فليس بضار في أمر الدين.

* * *

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ولما قال: النضر بن الحارث ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، نزل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾(١) بإهلاك الكفار وعذابهم، فأنجز الله ذلك يوم بدر.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا﴾ من أيام العذاب الذي استعجلوه.

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا؛ في الشدة، فكيف تستعجلونه؟! قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: (يَعُدُّونَ) بالغيب؛ لقوله: (يَسْتَعْجِلُونَكَ)، وقرأ الباقون: بالخطاب؛ لأنه أعم؛ لأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين[1].

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكَمْ من أهل قرية، عطف الأولى بالفاء؛ لأنها بدل عن قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وهذه بالواو؛ لأنها في حكم ما تقدمها من الجملتين؛ لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة، وأن تأخيره لعادته تعالى.

﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أمهلتها كما أمهلتكم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلكم.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ وإلي حكم الجميع.

* * *

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أوضِّحُ لكم ما أُنذركم به، ليس إلي أن أعجل عذاباً، ولا أن أؤخره.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٠).

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ثم قسم حالة المؤمنين والكافرين بقوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الجنة، ورزقهم فيها.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ بالطعن فيها ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بتشديد الجيم من غير ألف؛ أي: مثبطين الناس عن الإيمان، وقرأ الباقون: بالتخفيف والألف[1]؛ أي: مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

* * *

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ولما ألقى الشيطان بقراءة نفسه في قراءة النبي ﷺ محاكياً نغمته ـ عليه السلام ـ لما قرأ في الصلاة: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى؛ بحيث يسمعها من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قوله عليه السلام، وأشاعوها، حزن لذلك ﷺ، فنزل تسلية له:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩١).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾[1] هو الذي جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ﴿ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ هو الذي لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ أي: تلا وقرأ كتاب الله.

﴿ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بقراءة نفسه ﴿ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ في قراءته، المعنى: ما من رسول[2] ولا نبي قبلك إلا مكنا الشيطان أن يلقي في قراءتهم مثل ما ألقى في قراءتك، فلا تهتم لذلك. قرأ أبو جعفر: (أُمْنِيَتِهِ) بتخفيف الياء، والباقون: بتشديدها[3].

﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي: يبطله.

﴿ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴾ أي: يثبتها.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال الناس ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يفعله بهم، وما نقل من أن الشيطان ألقاها على لسان النبي ﷺ، أو أنه أصابته ـ عليه السلام ـ سِنَة، فقالها، أو حدَّثَ نفسه فسها، فهذا كله ضعيف واه لم يُرو بسند صحيح؛ لعصمته ﷺ، ونزاهته عن مثل ذلك، وعن جريان الكفر على قلبه أو لسانه عمداً أو سهواً، أو يكون للشيطان عليه سبيل.

* * *

---

(١) تقدم ذكر قصة الغرانيق والتعليق عليها، فيما ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٩١ـ٣٩٣). وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٤٣٩).

(٢) «ما من رسول» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩١).

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ .

[٥٣] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ اختباراً.

﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هو الشك .

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ عن قبول الحق، وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نسخ ورفع، فازدادوا عتواً، وظنوا أن رسول الله ﷺ يقوله من عند نفسه، ثم يندم فيبطل .

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي : خلاف شديد .

***

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ .

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون ﴿أَنَّهُ﴾ أي : القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وتعطف عليه (وليعلم).

﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ أي : تلين ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ وتطمئن ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام. وقف يعقوب (لَهادِي): بإثبات الياء[1].

***

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨ـ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٢).

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ ﴾ شك ﴿ مِّنْهُ ﴾ من القرآن.

﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة.

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ أي: عقم فلا خير فيه للكفار، وهو يوم بدر في قول الأكثر؛ لأنه ذكر الساعة من قبل، والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم: إذا مُنع من الولد.

* * *

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ تقديره: الملك لله يوم يزول شك الكافرين، وهو يوم القيامة ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ بين المؤمنين والكافرين.

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ يُهانون فيه.

* * *

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ونزل في الذين قالوا للنبي ﷺ: مالنا إذا هاجرنا فقتلنا أو متنا؟ ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[١] فارقوا أوطانهم في طاعة الله تعالى.

﴿ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ﴾ قرأ ابن عامر: (قُتِّلُوا) بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[٢].

﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة، وقيل حسناً؛ أي: حلالاً.

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ فإنه يرزق بغير حساب.

* * *

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ﴾ هو الجنة؛ لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مَدْخَلاً) بفتح الميم، والباقون: بضمها[٣].

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ فلا يعجل على المسيء بالعقوبة.

---

(١) انظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ١١٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٢).

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ونزل في المسلمين الذين طلب المشركون قتالهم في الأشهر الحرم، فامتنعوا عليهم، ثم قاتلوهم ﴿ ۞ ذَٰلِكَ ﴾[١] أي: الأمر ذلك.

﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ﴾ أي: جازى الظالم بمثل ظلمه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (عَاقَب بِّمِثْلِ) بإدغام الباء في الباء[٢] ﴿ ثُمَّ بُغِيَ ﴾ تُعُدِّيَ[٣] ﴿ عَلَيْهِ ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة.

﴿ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾ على ظالمه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ ﴾ عن المؤمنين.

﴿ غَفُورٌ ﴾ لهم قتالهم في الأشهر الحرم.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ النصر ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ يدخل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بمغيب الشمس، وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٩٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٧١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٣).

(٣) «تعدي» زيادة من «ت».

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ الذي لا يجوز أن يعبد إلا هو ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ من الآلهة ﴿ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ على كل شيء.

﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ عن أن يكون له شريك.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ استفهام معنى الخبر.

﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ بالنبات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ محكم للأمور برفق ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بما ظهر وبطن.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٣).

﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ خلقاً وملكاً.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ في ذاته عن كل شيء.

﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ جعلها مذللة لكم.

﴿ وَٱلْفُلْكَ ﴾ أي: وسخر الفلك ﴿ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ ﴾ أي: لكيلا تسقط.

﴿ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ إلا بمشيئته، وذلك يوم القيامة. **قرأ** أبو عمرو، وقالون، والبزي: (السَّمَا أَنْ) بإسقاط الهمزة الأولى بلا عوض منها، ويهمزون الثانية، **وقرأ** ورش، وقنبل، وأبو جعفر، ورويس: بتسهيل الثانية، فيجعلونها بين الهمزة والألف، ويفتحونها شبه مَدَّة، **وقرأ** الباقون، [وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين(١).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. **قرأ** نافع، وابن كثير، وأبو جعفر،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٤).

وابن عامر، وحفص: (لَرَءُوفٌ) بالإشباع حيث وقع على وزن فَعول، وقرأ الباقون][1]: بالاختلاس على وزن فَعُل[2]، والرأفة: أشد الرحمة.

* * *

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦﴾.

[٦٦] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ في الأرحام.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ عند انقضاء الأجل.

﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ﴾ بالبعث.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هو بديل بن ورقاء ﴿لَكَفُورٞ﴾ بالله تعالى وبأنعمه.

* * *

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾.

[٦٧] ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾ يعني: شريعة هم عاملون بها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (مَنسِكاً) بكسر السين، والباقون: بفتحها، وتقدم توجيه القراءتين في الحرف المتقدم [الآية: ٣٤].

﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ أي: لا تنازعهم في الأمر.

---

(١) ما بين معكوفتين ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٥).

﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: في الذبائح، وذلك أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله ـ يعني: الميتة ـ، فنزلت الآية:

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[1] إلى دينه.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق إلى الحق سويٍّ.

***

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وقد ظهر الحق.

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المجادلة الباطلة.

***

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل.

***

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ فلا يخفى عليه شيء.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣١).

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الموجود فيهما.

﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ في اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الإحاطة به ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

* * *

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ثم أومأ إلى جهالة الكفار بعبادتهم غير المستحق لها، فقال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة وبرهاناً على جواز عبادته ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ يعني: فعلوه عن جهل لا عن علم.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين ﴿مِن نَّصِيرٖ﴾ يدفع عنهم العذاب.

* * *

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن.

﴿بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: أثر الإنكار ﴿ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾ يصولون ويبطشون.

﴿بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ هم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وأصل السطو: القهر.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهم: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾ أي: بأشد من سماع القرآن.

﴿ٱلنَّارُ﴾ أي: هي النار ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النار.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ولما كانت دعواهم بأن لله شريكاً جارية في الغرابة والشهرة مجرى الأمثال التي يسار بها، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ أي: جُعل ﴿مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ استماع تدبر وتفكر، ثم جهلهم لذلك فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهة. قرأ يعقوب: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1] ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ لن يقدروا على خلقه مع صغره، والمراد: الذباب المعروف؛ لأنه مثل في الضعف والحقارة ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ متعاونين عليه، فكيف إذا كانوا منفردين؟

﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ﴾ أي: يسلب ﴿ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ من حلي الأصنام، مع ضعفه ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ﴾ يخلصوه ﴿مِنۡهُۚ﴾ لعجزهم، وهذه صفة العاجز، فكيف تعبدونه؟! قال ابن عباس: «كانوا يُطْلون أصنامهم بالزعفران، فإذا

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٦).

جف، سلبه الذباب، فتعجز الأصنام وعابدوها عن أخذه منهم»[1] ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ المعبود.

***

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظموه حق عظمته، ولا وصفوه حق وصفه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه شيء، وآلهتهم مقهورة عاجزة.

***

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ولما قال المشركون: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[ص: ٨]، نزل: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾[2] يختار ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وغيرهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلاً، يدعون إلى الحق، ويبلغون ما نزل عليهم؛ مثل: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فأخبر أن الاختيار إليه، يختار من شاء من خلقه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لقولهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يختاره لرسالته.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٣)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ٩٨).

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ما قدَّموا ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما خلَّفوا.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ في الآخرة. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾ في صلاتكم ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ وحّدوه، والعبادة عبارة عن الخضوع والتذلل، وهو تعظيم الله [بأمره ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ ﴾ من صلة الرحم ومكارم الأخلاق.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾](٢)؛ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة، وهذا محل سجود عند الشافعي وأحمد؛ خلافاً لأبي حنيفة ومالك، وتقدم اختلاف الأئمة في سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم.

* * *

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٢٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨-٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٧).

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ لله، ومن أجل إعلاء دينه ﴿ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ بنية صادقة خالصة لله عز وجل، وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(١)، وأراد بالجهاد الأصغر: جهاد الكفار، وبالأكبر: جهاد النفس.

﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ اختاركم ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ ضيق في شرعة الملة، والحرج: ما يتعذر عليه الخروج عما يقع فيه، وذلك أنها ـ أي: الملة ـ حنيفة سمحة، ليست كشدائد بني إسرائيل وغيرهم، بل فيها التوبة والكفارات والرخص، ونحو هذا مما كثر عده.

﴿ مِّلَّةَ ﴾ أي: كَمِلَّة ﴿ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ ونصب بنزع حرف الصفة، وقوله: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ ﴾ خطاب للعرب؛ لأنهم كانوا من نسل إبراهيم.

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ المعنى: الله سماكم المسلمين.

﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ أي: من قبل إنزال القرآن في الكتب المتقدمة.

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٩٥): غريب جداً، وذكره الثعلبي هكذا من غير سند. ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٢٣)، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ بإسناده فيه ضعف. وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٩٦)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٥١)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (١/ ٥١١).

﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ الكتاب، وهو القرآن ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يوم القيامة أن قد بلغكم ﴿ وَتَكُونُوا۟ ﴾ أنتم ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أن رسلهم قد بلَّغتهم، واللام في[1] (لِيَكُونَ) متعلقة بقوله: (اجْتَبَاكُمْ).

﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضةَ بالمداومة عليها.

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أدُّوها كما أنعم عليكم.

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ ثقوا به، وارفضوا التوكل على سواه.

﴿ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ الذي يليكم نصره وحفظه.

﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ لا إله إلا هو إليه المصير، والله أعلم.

* * *

(١) «في»: ساقطة من «ت».

سورة المؤمنون

مكية وآيها: مئة وثماني عشرة آية، وحروفها: أربعة آلاف وثماني مئة وحرفان، وكلمها: ألف وثماني مئة وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾.

[١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة، والفلاح: هو النجاح والبقاء، و(قَدْ) تُثبت المتوقع، كما أن (لما) تنفيه، ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك، صدرت بها بشارتهم.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد أُنزل علي عشر آيات، من قام بهن، دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات»[(١)]. قرأ ورش عن نافع: (قَدَ أَفْلَحَ) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهو الدال، وحذفها، وحمزة له النقل إذا وقف بخلاف عنه، والوجهان من

---

(١) رواه الترمذي (٣١٧٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المؤمنون، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٤٣٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦١)، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ. وإسناده ضعيف، انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ٤٦٠).

النقل والتحقيق عن حمزة صحيحان معمول بهما[1]. وقرأ أبو عمرو، وورش، وأبو جعفر[2]: (الْمُومِنُونَ) حيث وقع بواو ساكنة بغير همز، والباقون: يهمزونه[3].

* * *

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ مُخبتون أذلاء، ملزمون أبصارَهم مساجدَهم، وهو المسنون عند الأئمة الثلاثة، وقال مالك: ينظر أمام قبلته، وليس عليه أن ينظر إلى حيث يسجد، ولا إلى موضع معين، والخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والبصر والصوت، قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وأضيفت الصلاة إلى المؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

روي أن سبب نزولها: أن المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم[4] يمنة ويسرة، فنزلت الآية[5]، وأمروا أن يكون بصر المصلي حذاء قبلته، أو بين يديه، وفي الحرم إلى الكعبة.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠١).

(٢) «أبو جعفر» زيادة من «ت».

(٣) سلفت في عند تفسير الآية (٣) من سورة البقرة.

(٤) في «ش»: «صلواتهم».

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٨٣).

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ ﴾ وهو كل ما لا يجمل في الشرع من قول وفعل ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ ﴾ المفروضة[1] ﴿ فَٰعِلُونَ ﴾ أي : مؤدُّون .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ بالتعفف عن الحرام، والفرج : اسم يجمع سوءة الرجل والمرأة .

* * *

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ أي : زوجاتهم، والآية في الرجال خاصة؛ بدليل قوله :

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ من السراري .

﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ على إتيانهن في المآتي .

* * *

(١) «المفروضة» زيادة من «ت» .

﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾.

[٧] ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: طلب سوى الزوجات والسراري.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المعتدون، استدل بذلك بعض العلماء على أن الاستمناء باليد حرام، وهو مذهب الثلاثة، ومذهب أحمد: يُباح إذا لم يجد طَوْلاً لحرة، ولا ثمنَ أمة، وخاف الزنا، فإن فعله لغير حاجة، عُزر لفعله محرماً، وحكم المرأة عنده كالرجل، فتستعمل شيئاً مثل الذكر عند الخوف من الزنا.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾.

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ جمع أمانة، وهي كل ما يؤتمن عليه؛ كأموال وحرم وأسرار. قرأ ابن كثير: (لِأَمَانَتِهِمْ) بغير ألف بعد النون على التوحيد؛ لقوله: (وَعَهْدِهِمْ)، وقرأ الباقون: بالألف على الجمع؛ لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾(١) [النساء: ٥٩].

﴿ وَعَهْدِهِمْ﴾ لمن عاهدهم أو عاهدوه ﴿ رَٰعُونَ﴾ حافظون.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٢).

(صَلاَتِهِمْ) على التوحيد، والباقون: (صَلَوَاتِهِمْ) على الجمع[1] والتوحيد، اسم جنس، فهو في معنى الجمع.

﴿ يُحَافِظُونَ﴾ يداومون، وكررت الصلاة؛ لأنها أعظم العبادات.

***

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ يوم القيامة منازلَ الكفار من الجنة؛ لأن لكل واحد منزلين: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فالمؤمن يرث منزل الكافر من الجنة، والكافر يرث منزل المؤمن من النار.

***

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ هو أعلى الجنة.

﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ لا يموتون ولا يخرجون، وقد ورد «أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي! لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث»[2].

***

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَلَقَدْ ﴾ ابتداء كلام، والواو في أوله عاطفة جملة الكلام على

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٥٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٣٥)، عن عبد الله بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ.

جملة وإن تباينت في المعاني ﴿ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو آدم عليه السلام.

﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ أي: من طينة مستلة، والسلالة: خلاصة الشيء، والعرب تسمي النطفة: سلالة، والولد: سليلاً؛ لأنهما مسلولان من الرجل.

* * *

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: ابن آدم ﴿ نُطْفَةً﴾ من مني.

﴿ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ الرحم.

* * *

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وتقدم تفسيرها في سورة الحج، والنطفة تقع في اللغة على قليل الماء وعلى كثيره، وهي هاهنا مني ابن آدم.

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ و(خلقنا) في الثلاثة المواضع بمعنى: صيرنا.

﴿ فَكَسَوْنَا﴾ أي: ألبسنا ﴿ ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (عَظْماً) (فَكَسَوْنَا الْعَظْمَ) بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف

على التوحيد فيهما، **وقرأهما** الباقون: بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع[1].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه، وقيل: هو تغير أحواله من ولادة إلى رضاع إلى قعود إلى قيام إلى مشي إلى أكل وشرب إلى تقلب في البلاد.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالى وتقدس، وتبدل منه.

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المقدِّرين، والخلق في اللغة: التقدير.

روي أن ابن أبي السرح كان يكتبها لدى النبي ﷺ، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال ﷺ: «اكتبها، فهكذا أنزلت»، فارتد وقال: إن كان محمد يوحى إليه، فأنا يوحى إلي، ثم أسلم يوم الفتح[2].

قال[3] الكواشي: وليس لأحد بهذه الحكاية طعن في القرآن، ولا في إعجازه؛ لأن الكلمة والكلمتين قد تتفق لمن لم يتقدم له قدم في قرآن ولا كلام ولا شعر، ولا يحصل بالكلمة والكلمتين إعجاز، وأقل ما يحصل الإعجاز بالسورة الواحدة، قال ابن جريج: إنما جمع الخالقين؛ لأن عيسى كان يخلق.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٧)، عن السدي. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٤٤).

(٣) في «ت»: «فقال».

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد تمام خلقكم .

﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ عند انقضاء آجالكم، والميت: من مات، والمائت: من سيموت .

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ للمحاسبة والمجازاة .

* * *

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أي: سموات، جمع طريقة، سميت بذلك؛ لتطارق بعضها فوق بعض ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴾ فنسقط السماء عليهم .

* * *

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ بمقدار ما علمنا من كفايتهم .

﴿ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فجعلناه ثابتاً مستقراً، ثم أخرجنا منه ينابيع، وكل ماء في الأرض من السماء، ثم امتن عليهم بإبقاء الماء فقال:

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ ﴾ أي: على إزالته .

﴿لَقَادِرُونَ﴾ فتموتون عطشاً، وتهلك مواشيكم، وتخرب أراضيكم.

وفي الخبر: «أن الله تعالى أنزل أربعة أنهار من الجنة: سيحان، وجيحان، ودجلة، والفرات»(١).

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: «خمسة أنهار» فزاد بعد الأربعة: «والنيل»(٢).

***

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين(٣).

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تغذياً، وخص النخل والأعناب بالذكر؛ لأنها أكثر فواكه العرب بالحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما؛ ولأنهما أشرف الثمار، وذكرها مثالاً؛ تشريفاً لها، وتنبيهاً عليها.

***

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن ابن عطاف، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٥).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣١٥)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٣٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٥٧). وقد روى مسلم (٢٨٣٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كلٌّ من أنهار الجنة».

(٣) «بساتين» زيادة من «ت».

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على ﴿تَخْرُجُ﴾ أي: وأنشأنا لكم شجرة هي الزيتون.

﴿مِن طُورِ﴾ أي: جبل ﴿سَيْنَآءَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: بكسر السين، والباقون: بفتحها[1]، ومعناهما: البركة؛ أي: من جبل مبارك.

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (تُنْبِتُ) بضم التاء وكسر الباء؛ من أنبت، فالباء زائدة، وفائدة زيادتها دلالتها على ملازمة الإنبات للدهن؛ أي: تخرج الدهن، **وقرأ** الباقون: بفتح التاء وضم الباء؛ من نبت[2]؛ أي: تنبت بثمرة الدهن، وهو الزيتون، وقيل: تنبت ومعها الدهن؛ كما تقول: خرج زيد بسلاحه، فملخص الاختلاف بين القراء: أن قراءة ابن كثير، وأبي عمرو (سِينَاءَ) بكسر السين (تُنْبِتُ) بضم التاء وكسر الباء، **وقراءة** نافع، وأبي جعفر: بكسر السين، و(تَنْبُتُ) بفتح التاء وضم الباء، **وقراءة** الكوفيين، وابن عامر، وروح: بفتح السين، و(تَنْبُتُ) بفتح التاء وضم الباء، **وقراءة** رويس: بفتح السين وضم التاء وكسر الباء.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٥).

﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ والصبغ: هو الإدام، معطوف على الدهن؛ أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ فيه الخبز؛ أي: يُغمس فيه للائتدام.

* * *

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١)﴾.

[٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ آية تعتبرون بها.

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من الألبان. قرأ أبو جعفر (تَسْقِيكُمْ) بالتاء مفتوحة؛ أي: تسقيكم الأنعامُ، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: نحن، وفتح النونَ: نافع، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم، وضمها الباقون[١].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فتنتفعون بأعيانها.

* * *

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبل في البر.

﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٦).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ معبود سواه. قرأ أبو جعفر، والكسائي: (غَيْرِهِ) بكسر الراء على نعت الإله حيث وقع، والباقون: بالرفع على التقديم[1]؛ أي: ما لكم غيره من إله.

﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أفلا تخافون أن يهلككم إذا عبدتم غيره؟!

* * *

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ الملأ: الأشراف.

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يعلوكم؛ بأن يصير متبوعاً، وأنتم له تبع.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ألاَّ يعبد سواه ﴿ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ بإبلاغ الوحي.

﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ الذي يدعونا إليه نوح.

﴿ فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وفي قول هؤلاء استبعاد بعثة البشر، وهم مقرون بالملائكة.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٧).

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ أي: جنون.

﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ ﴾ فاحتملوه وانتظروا.

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى أن يموت.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ بعدما أيس من إيمانهم: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى ﴾ بإهلاكهم ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي. قرأ يعقوب: (كَذَّبُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بحفظنا؛ أي: محفوظة؛ لأنه كان يعمل السفينة، ولا يخطئ في عملها ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ أمرنا.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ بالركوب. واختلاف القراء في الهمزتين من (جاءَ أَمْرُنا) كاختلافهم فيهما من ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ روي أنه قيل لنوح: إذا فار الماء من التنور، اركب

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١١).

أنت ومن معك، فلما نبع الماء منه، أخبرته امرأته، فركب، وهو تنور الخبز في قول الأكثر، ومحله الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة، وقيل: عين وردة من الشام، وقيل غير ذلك.

﴿فَاسْلُكْ﴾ فأدخل ﴿فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ صنفين من الحيوان.

﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وقيل لهما زوجان؛ لأن كل واحد منهما يقال له زوج؛ لأنه لابد لأحدهما من الآخر. قرأ حفص: (مِنْ كُلٍّ) بالتنوين؛ أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً، والباقون: بغير التنوين على الإضافة[1]، على معنى: احمل اثنين من كل زوجين، والقراءتان ترجعان إلى معنًى واحد، وتقدم ذكر القصة مستوفًى في سورة هود.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحمل أهلك من النسب ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق عليه الحكم بالهلاك، وهو كنعان، وامرأتك واعلة مستثنى من الأهل.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا؛ بالدعاء لهم بالإنجاء ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة.

***

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨)﴾.

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ استقررت.

﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ راكباً فيها عالياً فوقها.

﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٨).

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٢٩ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم : (مَنْزِلاً) بفتح الميم وكسر الزاي؛ أي : مكاناً، والمراد : بطن السفينة، وقرأ الباقون : بضم الميم وفتح الزاي، مصدر بمعنى : الإنزال[1]، وبركة السفينة : النجاة فيها ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ ثناء مطابق لدعائه .

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠ ﴾ .

[٣٠] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿ لَأَيَٰتٍ ﴾ دلالات على قدرتنا .

﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ لمصيبين ببلاء، ومختبرين اختباراً يؤدي إلى ذلك، و(إِنْ) عند سيبويه مخففة من الثقيلة، واللام لام تأكيد .

* * *

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١ ﴾ .

[٣١] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد إهلاك قوم نوح .

﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ يعني : قوم عاد .

* * *

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢ ﴾ .

[٣٢] ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني : هوداً .

---

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٤٥)، و«التيسير» للداني (ص : ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٨) .

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتؤمنون.

وقيل: إن القرن هم ثمود، ورسولهم صالح، قال البغوي: الأول أظهر(١).

***

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)﴾.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي: بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نعمناهم، ووسعنا عليهم.

﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ منه.

***

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤)﴾.

[٣٤] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ لمغبونون؛ حيث أذللتم أنفسكم.

***

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥)﴾.

[٣٥] ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف عن عاصم: (مِتُّمْ) بكسر الميم، والباقون: بضمها(٢).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٩).

﴿ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ من قبوركم، استفهام بمعنى التوقيف على جهة الاستبعاد، وبمعنى الهزء بهذا الوعد، و(أَنَّكُمْ) الثانية بدل من الأولى، وفيها معنى تأكيد الأول، وكررت لطول الكلام.

* * *

﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) ﴾.

[٣٦] ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ﴾ كناية عن البعد، التقدير: بَعُدَ الوجود.

﴿ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: بكسر التاء منهما بغير تنوين، والباقون بفتحها فيهما، ووقف بالهاء: البزي، والكسائي، وروح، والباقون: يقفون عليهما بالتاء، وهو المختار[1].

* * *

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) ﴾.

[٣٧] ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ أرادوا: أنه لا وجود غير هذا الوجود ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: يموت بعض، ويولد بعض ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ بعد الموت كما تزعم.

* * *

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) ﴾.

[٣٨] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعنون: الرسول.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٩_٢١١).

﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين بالبعث.

* * *

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ بسبب تكذيبهم إياي. قرأ يعقوب: (كَذَّبُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١].

* * *

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ عن زمان قليل و(ما) صلة لتوكيد معنى القلة ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ على تكذيبهم إذا عاينوا العذاب.

* * *

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ بما استحقوا من أفعالهم، وبما حق منا في عقوبتهم، صاح عليهم جبريل عليه السلام، فدمرهم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ هلكى كغثاء السيل لا ينتفع به، وهو ما يحمله الماء على وجهه من الزبد والبالي من النبات.

﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل الإخبار والدعاء.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١١).

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواماً.

﴿ءَاخَرِينَ﴾ كقوم صالح ولوط وشعيب.

* * *

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ المكتوبَ لها ﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه.

* * *

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ﴾ مترادفين واحداً بعد واحد. قرأ أبو عمرو: (رُسْلَنَا) بإسكان السين حيث وقع، والباقون: بضمها، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (تَتْرًى) بالتنوين، ويقفون بالألف، وهي ألف إلحاق، وقرأ الباقون: بغير تنوين، ونصبها على القراءتين حال، وأمال فتحة الراء: ورش، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو عمرو في الوقف بخلاف عنه[1] ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ﴾ أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسِل، ومع المجيء إلى المرسَل إليهم؛ لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه، والمجيء الذي هو منتهاه إليهم. قرأ نافع، وأبو عمرو،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٢).

وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس: (جَاءَ أُمَّةً) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية[1]، وهي أن تجعل بين بين، وقرأ الباقون، وهم: الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين، ولم يقع في القرآن همزة مضمومة بعد همزة مفتوحة من كلمتين سوى هذا الحرف فقط[2].

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أهلكنا بعضهم في إثر بعض.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يُتمثل بهم في الشر ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله.

***

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة؛ كاليد والعصا وغيرهما.

***

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين بالظلم.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٣).

﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾ يعني: فرعون وقومه ﴿ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا ﴾ يعنون: موسى وهارون ﴿ وَقَوۡمُهُمَا ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿ لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ خاضعون متذللون كالعباد.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴾ بالغرق في بحر قلزم، وتقدم ذكره في سورة البقرة.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ يعني: قوم موسى.

* * *

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ عيسى عليه السلام ﴿ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ ولم يقل: آيتين؛ لأن المراد جعلنا قصتهما آية، وهي آيات مع التفصيل ﴿ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ﴾ أي: مكان مرتفع، وهو بيت المقدس، وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وقيل: دمشق، وقيل: رملة فلسطين.

قال ابن عطية: ويترجح أن الربوة هي بيت لحم من بيت المقدس؛ لأن

ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذ كان الإيواء، وقيل: الربوة بأرض مصر[1]. قرأ ابن كثير، وعاصم: (رَبْوَةٍ) بفتح الراء، والباقون: بضمها[2] ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر؛ من المعن: الإسراع والإبعاد.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ هو خطاب لمحمد ﷺ، والمراد به: أن الله تعالى أخبر أنه قد قال لجميع الرسل قبله: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ الحلالات.

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ والصلاح: هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة.

﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

* * *

﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملتكم التي أنتم عليها ﴿أُمَّةً﴾ شريعة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وهي الإسلام. قرأ الكوفيون: (وَإِنَّ) بكسر الهمزة على الابتداء، والباقون: بفتحها، وانفرد ابن عامر بتخفيف النون، وجعل (أن) صلة، مجازه: وهذه أمتكم، والباقون: بتشديد [النون[3]]؛ على معنى: وبأن هذه.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٣).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«النشر في القراءات =

﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ فاحذرون. قرأ يعقوب: (فَاتَّقُونِي) بإثبات][1] الياء.

* * *

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ ﴾.

[٥٣] ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ أي: الأتباع ﴿ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ تفرقوا دينهم.

﴿ زُبُرًا ۖ ﴾ جمع زبور، وهو الفرقة والطائفة، فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً، وتحزبوا في دينهم أحزاباً.

﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ بما عندهم من الباطل.

﴿ فَرِحُونَ ﴾ بما ابتدعوه، معتقدون أن دينهم حق.

* * *

﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ ﴾.

[٥٤] ثم قال تهديداً لهم وتسلية له ﷺ: ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ ﴾ جهالتهم.

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى حين إتيان العذاب، ونُسخت بآية السيف.

* * *

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ ﴾.

[٥٥] ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾ أي: ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم.

﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ في الدنيا.

* * *

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٤ـ٢١٥).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ش».

﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ ﴾ أي: لا يتوهمون أن تعجيلنا[1] لرضانا عنهم. قرأ الدوري عن الكسائي: (نُسَارِعُ) و(يُسَارِعُونَ) بالإمالة[2] .

﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ أن ذلك استدراج لهم.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ثم أخبر عن المسارعين إلى الخيرات فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون من عقابه.

***

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون.

***

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

[٥٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ شركاً جلياً ولا خفياً.

***

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

[٦٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ ﴾ يؤدون ما أدوا من زكاة وغيرها.

---

(١) «أن تعجلينا» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٦-٢١٧).

﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة ألاَّ تقبل منهم ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي: لأنهم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ فحذفت اللام؛ أي: لأنهم يوقنون أن مرجعهم إلى الله، فيكون قوله ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ علة لقوله: ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾.

* * *

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يبادرون إلى الأعمال الصالحة.

﴿ وَهُمْ لَهَا ﴾ أي: من أجلها ﴿ سَٰبِقُونَ ﴾ إلى رضوان الله تعالى.

* * *

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ ﴾ طاقتها، فمن لم يستطع القيام، فليصلِّ قاعداً، أو من لم يستطع الصوم، فليفطر.

﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ بما سُطر فيه.

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ لا يُنقص من حسناتهم، ولا يزاد على سيئاتهم.

* * *

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ثم ذكر الكفار فقال: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ في غفلة.

﴿ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ القرآن.

﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: دون الشرك، وهي سعايات فساد.

﴿ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ فيعذبون بها.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام الجملة الشرطية، وهي:

﴿ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ أي: أغنياءهم ﴿ بِٱلْعَذَابِ ﴾ وهو قتلهم يوم بدر.

﴿ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ يرفعون أصواتهم بالدعاء.

* * *

﴿ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ ﴾ لا تضِجُّوا.

﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ لا تُمنعون، المعنى: استغاثتكم لا تمنعكم من عذابنا.

* * *

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ ترجعون القهقرى عن الإيمان.

* * *

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ متعظمين بالبيت الحرام، كانوا يقولون:

لا يظهر علينا أحد؛ لأنا أهل الحرم.

﴿سَـٰمِرًا﴾ أي: سمَّاراً؛ أي: متحدثين، ونصبه على الحال.

﴿تَهْجُرُونَ﴾ **قرأ** نافع: بضم التاء وكسر الجيم؛ من الإهجار، وهو الإفحاش؛ أي: تفحشون، **وقرأ** الباقون: بفتح التاء وضم[1] الجيم؛ من هجر، وهو الهذيان؛ من قولهم: هجر الرجل في منامه: إذا هذى[2].

* * *

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾.

[٦٨] ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ ألم يعتبر المشركون القرآن، فيعلموا حال من تقدمهم، فيؤمنوا ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جاءتهم براءة من العذاب لم تأت آباءهم.

* * *

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾.

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ محمداً ﷺ.

﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ جاحدون، وهو استفهام توبيخ وإنكار عليهم؛ لإعراضهم عنه بعد معرفتهم إياه بالصدق والأمانة.

* * *

---

(١) في «ت»: «وكسر» وهو خطأ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٨).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ جنون، وليس كذلك.

﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالقرآن وما فيه من شرائع الإسلام.

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾؛ لأنه يخالف شهواتهم.

* * *

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ في جعل شريك له، والحق هو الله.

﴿ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾ لما سبق تقريره في سورة الأنبياء في قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾ [الآية: ٢٢].

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ بما يذكرهم، وهو القرآن.

﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يلتفتون إليه.

* * *

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ ﴾ على ما جئتهم به.

﴿ خَرْجًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (خَرَاجاً) بفتح الراء وألف بعدها، والباقون: بإسكان الراء من غير ألف، وتقدم تفسيره في سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ [الآية: ٩٤].

﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ أي: رزقه وثوابه. قرأ ابن عامر: (فَخَرْجُ رَبِّكَ) بإسكان الراء من غير ألف، والباقون: بفتح الراء وألف بعدها[1].

﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أفضل المعطين.

* * *

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو الإسلام.

* * *

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ لعادلون عن الطريق.

* * *

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ولما أراد النبي ﷺ الدعاء برفع القحط عن قريش، نزل: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ قحط وجوع.

﴿ لَّلَجُّوا۟ ﴾ لتمادَوْا ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ وكفرهم بمحمد ﷺ.

﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ عن الهدى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥ و١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٠).

روي أن أهل مكة قحطوا حتى أكلوا العِلْهَز، وهو وَبَر الجمال، وذلك حين دعا رسول الله ﷺ بقوله: «اللهمَّ سَبْعاً كسني يوسف» الحديث، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، فقال: أنشدك الله والرحِمَ ألست تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين؟! فقال: «بلى»، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف، والأبناءَ بالجوع، فادع الله يكشف عنا هذا القحط، فنزلت الآية[1]. قرأ الدوري عن الكسائي: (طُغْيَانِهِمْ) بالإمالة حيث وقع[2].

***

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ يعني: القتل والجوع.

﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ فما خضعوا.

﴿ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ أي: لم يتضرعوا، بل مضوا على تمردهم.

***

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ هو القتل يوم بدر.

﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ آيسون من كل خير.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١١١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٤٠٥)، و«لباب النقول» للسيوطي أيضاً (ص: ١٥٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٠).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ القلوب.

﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لم تشكروا قليلاً ولا كثيراً.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ ﴾ خلقكم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تبعثون.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: القدرة التي عنها ذلك، والاختلاف هنا: التعاقب.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتستدلون بالصنعة على صانعها فتؤمنون؟!

* * *

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ وقوله: (بَلْ) إضراب، والجحد قبله مقدر؛ كأنه قال: ليس لهم نظر في هذه الآيات، أو نحو هذا، و(الأَوَّلُونَ) يشير به إلى الأمم الكافرة؛ كعاد وثمود.

* * *

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ محشورون،

قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب. واختلف القراء في (أَئِذَا) (أَئِنَّا) في الإخبار بالأول منهما، والاستفهام بالثاني، وعكسه، والاستفهام فيهما، وفي ضم الميم وكسرها من (متنا)، **فقرأ** ابن عامر، وأبو جعفر: (إذا) بالإخبار، (مُتْنَا): بضم الميم، (أَئِنَّا): بالاستفهام، فابن عامر يحقق الهمزتين، وأبو جعفر يسهل الثانية، ويفصل بينهما بألف، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين، **وقرأ** نافع: (أَئِذَا): بالاستفهام وتسهيل الهمزة الثانية، (مِتْنَا): بكسر الميم و(إِنَّا): بالإخبار، ووافقه رويس عن يعقوب في حكم الهمزتين، وخالفه في الميم، فقرأها: بالضم، **وقرأ** الكسائي: (أَئِذَا): بالاستفهام، ويحقق الهمزتين، (مِتْنَا): بكسر الميم، و(إِنَّا): بالإخبار، ووافقه روح عن يعقوب في حكم الهمزتين، وقرأ: (مُتْنَا) بضم الميم؛ كرويس، **وقرأ** الباقون: (أَئِذَا) (أَئِنَّا): بالاستفهام فيهما، فابن كثير، وأبو عمرو يسهلان الهمزة الثانية منهما، وأبو عمرو يفصل بينهما بألف، واتفقا على ضم الميم من (مُتْنَا)، وعاصم، وحمزة، وخلف: يحققون الهمزتين منهما، ويكسر حمزة وخلف الميم، واختلف عن عاصم، **فقرأ** أبو بكر عنه: بالضم، وحفص: بالكسر، فمن قرأ بالاستفهامين، فذلك للتأكيد، ومن استفهم في الأول فقط، فإنما يقصد بالاستفهام الموضع الثاني[1]، تقديره: أنبعث ونحشر إذا، ومن استفهم في الثاني فقط، فمعناه: إذا كنا تراباً، أنبعث؟

***

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٥) من سورة رعد.

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ ﴾ هذا الوعد ﴿ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: وعدهُ آباءَنا قومٌ ذكروا أنهم رسل الله، فلم نر له حقيقة.

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أكاذيبهم التي كتبوها، جمع أسطورة.

* * *

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ قُل ﴾ يا محمد مجيباً لأهل مكة:

﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ من الخلق.

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ خالقها؟

* * *

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] فإنهم ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ فثم.

﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأدلة الدالة على الصانع، فتؤمنون؟

* * *

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

* * *

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الله تعالى.

* * *

﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ الملكوت: الملك، والتاء فيه للمبالغة.

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ يمنع من[1] السوء ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ ولا يمنع[2] منه من أراده بسوء ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ قيل: معناه: أجيبوا إن كنتم تعلمون.

* * *

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ فكيف تخدعون عن طاعته؟ المعنى: كيف يخيل لكم الحق باطلاً؟ اختلف القراء في (سَيَقُولُونَ لِلهِ) في الحرفين الأخيرين، فقرأ أبو عمرو، ويعقوب: بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيهما، ورفع الهاء من الجلالتين جواباً على اللفظ؛ لأنك تقول: من رب هذا؟ فالجواب: فلان؛ لأنه جواب (من) لفظاً، وكذلك رسماً في المصاحف البصرية، وقرأ الباقون: (لِلهِ) بغير ألف فيهما، وخفض الهاء،

---

(١) في «ش»: «عن».

(٢) «ولا يمنع» ساقطة من «ش».

وكذلك رسماً في مصاحف الحجاز والشام والعراق[1]، فجعلوا الجواب على المعنى؛ كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان؛ أي: أنا لفلان، وهو مولاي، واتفقوا على الحرف الأول أنه (لِلهِ)؛ لأن قبله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾، فجاء الجواب على لفظ السؤال، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذْكُرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بالتشديد[2]، وقرأ رويس عن يعقوب: (بِيَدِهِ) باختلاس كسرة الهاء، والباقون: بالإشباع[3].

***

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في ادعائهم الشريك، وتكذيب الرسل.

***

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ثم أكد تكذيبهم بقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٤_٢٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٢).

﴿إِلَٰهٍ﴾ أي: شريك، فالتقدير: ولو كان معه آلهة.

﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ لانفرد به، ولم يرض بإضافة خلقه.

إلى غيره ﴿وَلَعَلَا﴾ ارتفع ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مغالبة وتكبراً؛ لأن كل إله يطلب انفراده بألوهيته وخلقه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: تعظَّم ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ له من الشريك والولد.

* * *

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾.

[٩٢] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (عَالِمُ) برفع الميم على الابتداء، واختلف عن رويس حالة الابتداء، وقرأ الباقون: بجرها على نعت الله في (سُبْحَانَ اللهِ)[١].

﴿فَتَعَالَىٰ﴾ الله[٢] ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام وغيرها.

* * *

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣)﴾.

[٩٣] ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ أي: إن أريتني.

﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من القتل والعذاب.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٢).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: فاجعلني خارجاً منهم إذا نزل بهم العذاب.

* * *

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ثم أومأ إلى حلول العذاب بهم فقال: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب ﴿ لَقَٰدِرُونَ ﴾ وقد أراه عذاب المشركين ببدر وغيرها.

* * *

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ثم أمره بالعفو عنهم فقال: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى ﴾ أي: بالخلة التي.

﴿ هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وهي الصفح ومكارم الأخلاق ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ ﴾ الصادرةَ منهم إليك[١]، ونسخت بآية السيف، ثم تهددهم بقوله:

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ من الشريك.

* * *

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ ﴾ أمتنعُ وأعتصم بك ﴿ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ وساوسِهم ونزغاتهم، وأصل الهمزة: شدة الدفع.

* * *

---

(١) «إليك» ساقطة من «ش».

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ عند الموت، ويحوموا حولي في شيء من الأحوال؛ لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ثم أخبره أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت، فقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ جمع الضمير تعظيماً لله تعالى؛ أي: ردوني إلى الدنيا. قرأ يعقوب: (يَحْضُرُونِي) (ارْجِعُونِي) بإثبات الياء فيهما، وحذفها الباقون[١]، واختلافهم في الهمزتين من (جَاءَ أَحَدَهُمُ) كاختلافهم فيهما من: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

* * *

﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ﴾ بأن أقول: لا إله إلا الله. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

﴿ فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ ضيَّعت من عمري.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٣).

﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن طلب الرجعة، واستبعاد لذلك ﴿ إِنَّهَا ﴾ يعني: سؤاله الرجعة ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ ولا ينالها.

﴿ وَمِن وَرَآئِهِم ﴾ أي: أمامهم ﴿ بَرْزَخٌ ﴾ أي: حاجز، وهو القبر.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فلا يرجعون أبداً؛ لأنه لا رجوع بعد البعث.

* * *

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ وهو القرن، وهذا عند النفخة الأولى، وقيل: عند النفخة الثانية إذا بعث الناس ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ يفتخرون بها ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ في الآخرة؛ كما يفتخرون في الدنيا ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ كما يتساءلون في الدنيا؛ لاشتغال كلٍّ بنفسه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَلاَ أَنْسَاب بَّيْنَهُمْ) بإدغام الباء الأولى في الثانية[1].

* * *

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بالحسنات.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات.

* * *

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٤).

[١٠٣] ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بالسيئات.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ غبنوها، فهم.

﴿ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ وجمع الموازين من حيث الموزون جمع، وهي أعمال، ومعنى الوزن: إقامة الحجة على الناس بالمحسوس على عادتهم وعرفهم.

* * *

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ تَلْفَحُ ﴾ تحرق ﴿ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ عابسون، بادية أسنانهم؛ لتشمير شفاههم منها؛ لشدة ما يلقون.

وفي الحديث: «إن النار لتشويه، وتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»(١).

* * *

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ أَلَمْ ﴾ أي: يقال لهم: ألم.

﴿ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ تذكيراً لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٧)، كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة أهل النار، وقال: حسن صحيح غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٣/٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٠)، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

[١٠٦] ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ أي: غلبنا الشقاء الذي كتب علينا فلم نهتد. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (شَقَاوَتُنَا) بفتح الشين والقاف وألف بعدها، وقرأ الباقون: بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف، وهما لغتان[١].

﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ عن الهداية.

* * *

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

[١٠٧] فعند دخولهم النار يقولون:

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا ﴾ خالفناك.

﴿ فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ لأنفسنا.

* * *

﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ قَالَ ﴾ الله لهم مجيباً بعد ألف سنة ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ ابعدوا في جهنم أذلاء؛ من خسأت الكلب: إذا زجرته.

﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ في رفع العذاب عنكم، فلا سبيل إليه. قرأ يعقوب: (تُكَلِّمُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[٢]، فعند ذلك أيس الكفار من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات=

الفرج، وهو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعده إلا بالشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلب، لا يَفْهَمون ولا يُفْهَمون.

* * *

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ وهم المؤمنون.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* * *

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[١]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (سُخْرِيّاً) بضم السين؛ من التسخير، وهو العمل بلا أجر، وقرأ الباقون: بالكسر؛ من الهزء والسخرية[٢].

= القرآنية» (٤/ ٢٢٥).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ١٥ـ١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٦).

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ من فرط انشغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم.

﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ نزلت في بلال وصهيب وعمار وسلمان، كان المشركون يسخرون بهم وبالإسلام، ويؤذونهم(١).

***

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ النعيم المقيم.

﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ بمطلوبهم. قرأ حمزة، والكسائي: (إِنَّهُمْ) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون: بفتحها(٢)؛ أي: لأنهم.

***

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

[١١٢] ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في الدنيا أحياء.

﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: (قُلْ كَمْ) بضم القاف بلا ألف بعدها، أمر لمالك أن يسألهم، وقرأ الباقون: بفتح القاف وألف بعدها(٣)، إخبار عن الله تعالى أنه هو الذي(٤) يسألهم، وقرأ نافع، وابن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٤) «الذي» ساقطة من «ش».

كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) بإظهار الثاء عند التاء حيث وقع، والباقون: بالإدغام[1]، وقرأ أبو عمرو: (عَدَد سِّنِينَ) بإدغام الدال في السين في هذا الحرف لا غير[2].

***

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣﴾.

[١١٣] ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا مدة لبثهم، وشكُّوا فيها؛ لعلم ما هم بصدده من العذاب.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ الحاسبين، وهم الملائكة الذين يحصون أعمال الخلق وأعمارهم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلْ) بالنقل، والباقون: بالهمز[3].

***

﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤﴾.

[١١٤] ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا.

﴿إِلَّا﴾ لبثاً ﴿قَلِيلًا﴾ لأن أيام السرور قليلة.

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مدة لبثكم، لما أجبتم بهذا الجواب. قرأ

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٧).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٧).

حمزة، والكسائي: (قُلْ إِنْ) على الأمر، والباقون: (قال)[1] على الخبر، كما تقدم في ﴿قَٰلَ كَمۡ﴾ [الآية: ١١٢].

* * *

﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ لا لغرض صحيح، ونصبه على الحال، وهو توبيخ على تغافلهم.

﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ في الآخرة، فنجازيكم. قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[2].

* * *

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾.

[١١٦] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ الذي يحق له الملك مطلقاً؛ أي: تنزه عن مقالتهم في جهته من الصاحبة والولد، ومن حسابهم أنهم لا يرجعون إليه، وغير ذلك.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ الحسن العظيم.

* * *

---

(١) «قال» ساقطة من «ت» و«ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨ـ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٨).

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ثم توعد تعالى عبدة الأصنام بقوله: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ يعبده.

﴿ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ أي: فلا برهان له به، أي: لا حجة له عليه، ولا فيما يفعل من عبادة غير الله.

﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: مكافأته عند الله، فهو يجازيه بما يستحقه.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ لا يبلغون أمنياتهم، ولا ينجح سعيهم، وجعل فاتحة هذه السورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وخاتمتها ﴿ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

* * *

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ثم أمر رسوله ﷺ أن يستغفر للمؤمنين، ويسأل لهم الرحمة، فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ لأن كل راحم يتصرف على إرادة الله تعالى وتوفيقه، وتقديره لمقدار هذه الرحمة، ورحمته تعالى لا مشاركة له فيها، والله أعلم.

* * *

سورة النور

مدنية، وآيها: أربع وستون آية، وحروفها: خمسة آلاف وست مئة وثمانون حرفاً، وكلمها: ألف وثلاث مئة وست عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾.

[١] ﴿سُورَةٌ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه السورة.

﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفتها.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو: (وَفَرَّضْنَاهَا) بتشديد الراء؛ أي: فصَّلنا وبيَّنّا ما فيها من الأحكام، والتشديد للتكثير، لكثرة ما فيها من الفرائض، **وقرأ** الباقون: بالتخفيف[١]؛ أي: أوجبنا ما فيها من الحدود والأحكام، وألزمناكم العملَ بها.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ﴾ بالأمر والنهي ﴿بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. **قرأ**

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٣).

حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال حيث وقع، والباقون: بالتشديد[1].

* * *

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ مبتدأ خبره ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾ فاضربوا.

﴿كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ﴾ يعني: إذا كانا حرَّين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين، وأما إذا كانا ثيبيّن، فعليهما الرجم بغير جلد بالاتفاق، والرجم بالحجارة حتى يموت، وشرائط الإحصان الموجب للرجم إذا زنى بعد وجودها فيه أربعة: العقل، والحرية، والبلوغ، والوطء في نكاح صحيح عند الشافعي وأحمد، ولم يشترطا[2] الإسلام؛ خلافاً لأبي حنيفة ومالك؛ فإن الإسلام عندهما شرط، فتكون الشرائط عندهما خمسة، ولا يُحفر لرجم الرجل بالاتفاق، ولا للمرأة عند مالك وأحمد، ويحفر لها عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: إن ثبت عليها بالبينة، استحب أن يحفر لها، وإن ثبت بإقرارها، لم يحفر لها[3]، وتقدم في سورة النساء الكلام على حكم الزنا والجلد والتغريب في حق الحر والرقيق، وثبوته بالإقرار والبينة،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٤).

(٢) في «ش»: «يشترط».

(٣) «وإن ثبت بإقرارها لم يحفر لها» زيادة من «ت».

واختلاف الأئمة في ذلك مستوفًى عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: ١٥]، وعند قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: ٢٥]، وقدم الزانية؛ لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل، وعرض نفسها عليه.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قرأ قنبل عن ابن كثير: (رَأَفَةٌ) بفتح الهمزة، واختلف عن البزي، وقرأ الباقون: بإسكانها(١)، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وورش: يبدلون الهمز بالألف على أصلهم، وأبو عمرو يدغم التاء في الجيم من قوله: (مِئَةَ جَّلْدَةٍ)(٢)، والرأفة: أرق الرحمة؛ أي: لا تخففوا جلدهما رأفة بهما، ولكن تصلَّبوا ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ في حكمه، وأوجعوهما ضرباً، وأقيموا حدوده كما أمركم.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ اقتداءً برسول الله ﷺ، لأنه قال: «والله لو سرقَتْ فاطمةُ بنتُ محمدٍ، لقطعتُ يدها»(٣)، فتجب إقامة الحد على من لزمه بالاتفاق، ويُضرب الرجل قائماً عند الثلاثة، وعند مالك: جالساً، وأما المرأة، فتضرب جالسة باتفاقهم، وسوط الحد عند الشافعي ما بين قضيب وعصا رطب ويابس، وعند الثلاثة: يضرب بسوط لا جديد

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٤).

(٣) رواه البخاري (٣٢٨٨)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (١٦٨٨)، كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

ولا خَلَق، ويجرد الرجل من ثيابه عند أبي حنيفة ومالك، وأما المرأة عندهما: ينزع عنها من الثياب ما يقيها ألم الضرب؛ مثل الفراء ونحوها، وعند الشافعي: لا يجرد، وعند أحمد: يكون على الرجل القميص والقميصان، والمرأة تشد عليها ثيابها، وأما الضرب، فلا يبالَغ فيه بحيث يشق الجلد، ويُفرق على أعضائه، إلا الوجه والفرج وموضع المقتل بالاتفاق.

واختلفوا في أشد الجلد، فقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، ثم الزنا، ثم الشرب، ثم القذف، وقال مالك والشافعي: الجلد في الحدود كلها سواء، وقال أحمد: أشده الزنا، ثم القذف، ثم الشرب، ثم التعزير.

واختلفوا في الذمي إذا زنى وهو حر بالغ عاقل[1] قد كان تزوج ووطىء في التزويج الصحيح، فقال أبو حنيفة ومالك: لا يرجم؛ لأن عندهما لا يتصور الإحصان في حقه؛ لأن الإسلام من شروط الإحصان عندهما كما تقدم، ويجلد مئة عند أبي حنيفة، وعند مالك يعاقبه الإمام اجتهاداً، وعند الشافعي وأحمد هو محصن، وليس الإسلام من شروط الإحصان، وعليه الرجم عندهما، وأما إذا كان غير محصن، فإنه يحد للزنا عند الثلاثة، وقال مالك: لا يحد.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ وليحضر حدّهما إذا أقيم عليهما.

﴿طَآئِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ زيادة في التنكيل بالتفضيح، قال مالك: ينبغي للإمام أن يُحضر في حد الزنا طائفة من المؤمنين الأحرار العدول، والطائفة أربعة فصاعداً، وقال أحمد: يجب حضور إمام أو نائبه

---

(١) في «ت»: «بالغ عاقل حر».

وطائفة، ولو واحداً، ويسن حضور شهوده، وبدأتهم بالرجم إن كان الحد رجماً، وقال الشافعي: يستحب حضور الإمام وشهوده، وقال أبو حنيفة: للإمام أن يحضره، ويجوز أن يبعث بأمين، ويأمره بإقامة الحد، ويبدأ الشهود برجم المحصن، ثم الإمام، ثم الناس إن ثبت بالبينة، وإن ثبت بالإقرار، ابتدأه[1] الإمام، ثم الناس.

وفي الحديث: «اتقوا الزنا؛ فإن فيه ستَّ خصال: ثلاث في الدنيا: يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وثلاث في الآخرة: السخطة، وسوء الحساب، والخلود في النار»[2].

* * *

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ نزلت في قوم فقراء من المهاجرين هموا أن يتزوجوا بغايا كُنَّ بالمدينة، فأنزل الله عز وجل تحريمه[3]؛ لأنهن كن زانيات ومشركات، وبين أنه لا يتزوج بهن إلا زان أو مشرك، وأن ذلك حرام على

---

(١) في «ت»: «ابتدأ».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣١٧)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٩٨)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٥٢٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٨ـ١٨٠).

المؤمنين، وإن كان ظاهر الآية خبر، فهو بمعنى النهي، وقيل غير ذلك.

***

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ قرأ الكسائي: (الْمُحْصِنَاتِ) بكسر الصاد حيث وقع، والباقون: بالفتح[١]، المعنى: الذين يقذفون بالزنا المسلمات الحرائر العفائف.

﴿ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ يشهدون على زناهن.

﴿ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ﴾ اضربوهم ﴿ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾ قرأ أبو عمرو: (بِأَرْبَعَة شُّهَدَاءَ) بإدغام التاء في الشين في هذا الحرف والذي بعده[٢]، والقذف: هو الرمي بالزنا، أو لواطٍ، أو شهادةٍ عليه، ولم تكمل البينة، فكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال: زنيت، أو يا زاني، فإن أقر المقذوف بالزنا، أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه، سقط الحد عن القاذف، وترتب الحكم على المقذوف، كما تقدم الكلام عليه مستوفًى في سورة النساء، وإن أنكر المقذوف، ولم يقم القاذف البينة، وجب عليه الحد، وهو ثمانون جلدة إن كان القاذف حراً، وأربعون إن كان عبداً بالاتفاق، إن كان المقذوف محصناً، فإن كان غير محصن، فعلى القاذف التعزير.

والإحصان: أن يكون حراً مسلماً عاقلاً عفيفاً عن الزنا بالاتفاق، وهل

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٦).

يشترط بلوغه؟ قال أحمد: لا يشترط إذا كان مثلُه يجامع، وقال الثلاثة: يشترط، ومالك يحد قاذف الصبية التي يوطأ مثلها، ولا يحد قاذف الصبي الذي يطأ مثلُه.

وهل هو حق لله أو للآدمي؟ قال أبو حنيفة: هو حق لله، فلا يصح العفو عنه، لكن لو عفا المقذوف لا يحد القاذف، لا لصحة عفوه، بل لترك طلبه، حتى لو عاد فطلب، يحد، وقال مالك: لا بأس بعفو المقذوف عن قاذفه قبل بلوغ الإمام، ولا يجوز عفوه بعد ذلك، إلا أن يريد ستر نفسه، وقال الشافعي وأحمد: هو حق للآدمي يسقط بعفوه.

﴿ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ ﴾ إذا شهدوا.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ لأنهم فسقوا برمي المحصنة.

* * *

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ثم استثنى منه ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ القذف.

﴿ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ حالهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

واختلفوا في قبول شهادة القاذف بعد إقامة الحد عليه إذا تاب، فقال أبو حنيفة: لا تقبل شهادة المحدود فيه، وإن تاب عن جريمة القذف، لكن لا يرد شهادته بنفس القذف، وإنما يردها بإقامة الحد، ومالك والشافعي وأحمد يردون شهادته بنفس القذف، وقالوا: تقبل شهادته بعد التوبة، سواء كانت قبل الحد أو بعده، وصفتها عند الشافعي: أن يقول: قذفي باطل، وأنا نادم، ولا أعود إليه، وعند مالك وأحمد: توبته أن يكذِّب نفسه، إلا أن مالكاً اشترط مع التوبة بعد الحد ألاَّ تقبل شهادته في مثل الحد الذي أقيم

عليه، ودليل أبي حنيفة على عدم قبول شهادته على التأبيد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، وذكره بالتأبيد يدل على أنها لا تقبل في كل حال، والاستثناء منصرف إلى ما يليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، ومن قال بقبول شهادته إذا تاب، قال: لأن الله تعالى استثنى التائبين عقب النهي بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾.

* * *

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦﴾.

[٦] ولما نزلت هذه الآية في الذين يرمون المحصنات، تناول ظاهرها الأزواج وغيرهن، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله! إن وجدتُ مع امرأتي رجلاً، أُمهله حتى آتي بأربعة شهداء! واللهِ لأضربنه بالسيف غير مصفح، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني»(١)، ثم جاء بعد ذلك هلال بن أمية إلى النبي ﷺ، فرمى زوجته خولة بشريك بن سمحاء، فعزم النبي ﷺ على ضربه حد القذف، فنزل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾(٢) أي: يقذفون نساءهم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ أي: غيرُ أنفسهم. واختلاف

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٤)، كتاب: المحاربين، باب: من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، مسلم (١٤٩٩)، كتاب: اللعان.

(٢) رواه البخاري (٤٤٧١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

القراء في الهمزتين من (شُهَدَاءُ إِلَّا) كاختلافهم فيهما من ﴿نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في سورة الحج.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ ليدرأ عنه الحد ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) برفع العين على خبر الابتداء (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) التي تدرأ الحد (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ)، وقرأ الباقون: بالنصب؛ أي: فشهادة أحدهم أن يشهدَ أربعَ شهادات بالله(1).

***

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾.

[7] ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: يلعن الزوج نفسه.

﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما قذف زوجته به من الزنا. قرأ نافع، ويعقوب: (أَنْ لَعْنَةُ اللهِ) بإسكان النون مخففة، ورفع (لَعْنَتُ)، وقرأ الباقون: بنصبها مشددة، ونصب (لَعْنَتَ)، و(لعنت)(2) رسمت بالتاء، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب(3).

***

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: 452)، و«تفسير البغوي» (3/ 267)، و«معجم القراءات القرآنية» (4/ 236).

(2) انظر: «التيسير» للداني (ص: 161)، و«المحتسب» لابن جني (2/ 102)، و«تفسير البغوي» (3/ 267)، و«معجم القراءات القرآنية» (4/ 237).

(3) سلفت عند تفسير الآية (61) من سورة آل عمران.

﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَيَدْرَؤُا ﴾ أي: يدفع ﴿ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ أي: حد الزنا.

﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ فيما قذفها به.

* * *

﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ فيما رماني به. قرأ حفص عن عاصم (وَالْخَامِسَةَ) بالنصب؛ أي: وتشهد الشهادة الخامسة، والباقون: بالرفع على الابتداء، وخبره في (أن) كالأولى[١]، وقرأ نافع، ويعقوب: بإسكان النون مخففة كالأولى، والباقون: بنصبها مشددة، واختص نافع بكسر الضاد وفتح الباء من (غَضِبَ) على الفعل الماضي، ورفع الجلالة بعده، واختص يعقوب برفع الباء من (غَضَبُ)، وقرأ الباقون: بنصب الضاد والباء على الاسم[٢].

* * *

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ وجوابه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٨).

محذوف للتعظيم؛ أي: لعذبكم، ولكشف الزناة بأيسر من هذا.

فلما نزلت الآية، جمعهما رسول الله في المسجد، وتلاعنا، فتلكأت المرأة عند الخامسة لما وعظت، وقيل لها: إنها موجبة، ثم قالت: لا أفضحُ قومي سائرَ اليوم، فمضت، وفرق رسول الله ﷺ بينهما، وولدت غلاماً أشبهَ خلقِ الله بشريك، ثم كان الغلام بعد ذلك أميراً بمصر، وهو لا يعرف لنفسه أباً.

وأما حكم الآية، فإنه إذا قذف الرجل المكلف امرأته المحصنة؛ أي: البالغة العاقلة الحرة المسلمة العفيفة بالزنا، وجب عليه الحد إن طلبت، وله إسقاط الحد باللعان، وهو شرعاً: شهادات مؤكدات بأيمان من الجانبين، مقرونة باللعن والغضب، قائمة مقام حد قذف في جانبه، وحد زنا في جانبها، وصفته: أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به امرأتي هذه من الزنا، ويشير إليها، وإن لم تكن حاضرة، سماها، ونسبها حتى يكمل أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: و﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما رميتها به من الزنا، فيلزمها حينئذ الحد، ويدرأ عنها بأن تقول هي: أشهد بالله أنه من الكاذبين فيما رماني به من الزنا، أربع مرات، ثم تقول في الخامسة: و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رماني به من الزنا، فإن لاعنت المرأة قبل الزوج، اعتد به عند أبي حنيفة؛ لأن المقصود تلاعنهما، وقد وجد، وقال الثلاثة: لا يعتد به؛ لأنه على غير الترتيب المشروع.

ويكون اللعان وهما قائمان بحضور الحاكم وجماعة في الأوقات والأماكن المعظمة، وإذا بلغ كل منهما الخامسة، وعظه الحاكم،

فيقول: اتق الله؛ فإنها الموجبة للعذاب، وعذابُ الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

ويصح اللعان بين الزوجين، ولو كانا ذميين أو رقيقين أو فاسقين عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: يشترط أن يكونا من أهل الشهادة؛ بأن يكونا حرين مسلمين[1] عاقلين بالغين غير محدودين في قذف، فإن لم يكن الزوج كذلك، فعليه الحد؛ لأن اللعان امتنع لمعنىً في جهته، فرجع إلى الموجب الأصلي.

وإن نفى الولد في التعانه، انتفى بالاتفاق، ما لم يكن أقر به، ومالك يشترط استبراءها بحيضة وعدم وطئها بعد الاستبراء، فإن لاعن، ونكلت، حبست حتى تقر أربعاً، أو تلاعن عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك والشافعي إذا امتنعت من اللعان، حدت للزنا، فجلدت إن كانت بكراً، وكانت على نكاحه، إلا أن يطلقها، وإن كانت ثيباً، رجمت، واستحق الميراث منها، فإذا تم اللعان بينهما، سقط عنه الحد، ووقعت الفرقة والتحريم بينهما أبداً عند مالك وأحمد، ولا يفتقر إلى تفريق الحاكم عندهما، وعند الشافعي تقع الفرقة المؤبدة بمجرد لعانه، وعند أبي حنيفة يشترط تفريق الحاكم بينهما بعد التعانهما، والفرقة طلقة بائنة عند أبي حنيفة، فلو أكذب نفسه، حُدَّ، وله أن ينكحها، وعند الثلاثة وأبي يوسف هي فسخ، ولا تحل له، ولو أكذب نفسه، والله أعلم.

* * *

(١) «مسلمين» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ولما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع في سنة ست من الهجرة الشريفة، ومعه عائشة رضي الله عنها، وقعت قصة الإفك في تلك الغزوة، وهي قذف عائشة بصفوان بن المعطل، وكان صفوان حصوراً لا يأتي النساء.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فو الذي نفسي بيده! ما كشفت من كَنَفِ أنثى قط، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله»، والقصة مشهورة في الحديث الشريف، فنزل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾[1] هو سوء الكذب ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ جماعة ﴿ مِّنكُمْ ﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق، ومِسطح، وحسان بن ثابت، وحَمْنة بنتُ جحش، وغيرهم.

﴿ لَا تَحْسَبُوهُ ﴾ أي: الإفك، والخطاب لعائشة وأهلها وصفوان.

﴿ شَرًّا لَّكُم ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: (تَحْسَبُوهُ)

---

(١) رواه البخاري (٣٩١٠)، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، ومسلم (٢٧٧٠)، كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

و(تَحْسَبُونَهُ) (يَحْسَبُهُ) (يَحْسَبُ) كيف أتى مستقبلاً بفتح السين، والباقون: بالكسر[1].

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بأن تثابوا، وتظهر براءتكم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ يعني: من العُصبة الكاذبة ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ جزاء ما اجترح من الذنب.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ قرأ يعقوب: بضم الكاف، والباقون: بكسرها، وهما لغتان[2]، المعنى: والذي تحمل معظم الإفك من الأفاكين هو عبد الله بن أبيّ.

﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أما ابن أُبي، فمات منافقاً، وأما حسان، فعمي بعد ذلك.

وعن مسروق قال: «دخلنا على عائشة، وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبب بأبيات له، وقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة: لكنك ليس كذلك، قال مسروق: فقلت لها: لم تأذنين له أن يدخل عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقالت: أي عذاب أشدُّ من العمى؟! وقالت: إنه كان ينافح ويُهاجي عن رسول الله ﷺ»[3].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٩).

(٣) رواه البخاري (٣٩١٥)، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، ومسلم =

وروي عنها أنها قالت: «ما سمعت شعره إلا رجوت له الجنة»[1].

وروي: أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة، فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين[2].

***

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ثم وبخ الخائضين فقال: ﴿لَّوْلَآ﴾ أي: هلاَّ.

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعني: الإفك.

﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ بأمهاتهم ﴿خَيْرًا﴾ المعنى: هلا ظننتم أيها المؤمنون بالذين هم كأنفسكم خيراً، والمؤمنون كلهم كالنفس الواحدة، نظيره ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذب ظاهر، وسمي الإفك إفكاً؛ لكونه

= (٢٤٨٨)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ. قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣): «الأكثرون على أن المراد بذلك، يعني: الذي تولى كبر الإفك، إنما هو عبد الله بن أبي سلول قبَّحه الله ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. وقيل: المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك، لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره أنه كان يذبُّ عن رسول الله ﷺ بشعره».

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٨٨).

(٢) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧٩).

مصروفاً عن الحق؛ من قولهم: أفكَ الشيءَ: إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف، فمن رماها بالسوء، قلب الأمر عن وجهه.

وروي أن هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب الأنصاري وامرأته، وذلك أنه دخل عليها فقالت: «يا أبا أيوب! أسمعت ماقيل؟! فقال: نعم، وذلك كذب، أكنتِ أنتِ يا أم أيوب تفعلين ذلك؟! قالت: لا والله، قال: فعائشة واللهِ أفضلُ منك، قالت أم أيوب: نعم»(١)، فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله المؤمنين؛ إذ لم يفعله جميعهم. قرأ أبو عمرو، وهشام، والكسائي، وخلف(٢): (إذ سَّمِعْتُمُوهُ) بإدغام الذال في السين، والباقون: بالإظهار(٣).

***

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ثم بين الحكم في القذف فقال: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أي: على ما زعموا ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ على القذف.

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٦٩٨)، والطبراني في «تفسيره» (١٨/ ٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤٨).

(٢) في «ت»: «خلاد».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٩).

﴿ فَأُولَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ وهذا في حق عائشة رضي الله عنها، ومعناه: فأولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

* * *

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أيها الخائضون بالحلم والإمهال لتتوبوا ﴿ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ ﴾ جريتم ﴿ فِيهِ ﴾ من القذف ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ دائم في الآخرة.

* * *

﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ ﴾ أي: تأخذون حديث الإفك من الأفاكين. قرأ أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِذ تَّلَقَّوْنَهُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بإظهارها، ومنهم البزي يشدد التاء على أصله، والتلاوة المتواترة (تَلَقَّوْنَهُ): بفتح اللام والقاف مع تشديدها؛ أي: تقبلونه، وقرىء بكسر اللام وضم القاف مخففة؛ من الولق، وهو الإسراع بالكذب[١] ﴿ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ ﴾ بأن يرويه بعض عن بعض.

﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم ﴾ كلاماً بلا مساعدة من القلوب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٠).

﴿ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم.

﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ ﴾ أي: خوضكم في عائشة ﴿ هَيِّنًا ﴾ صغيرةً.

﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ كثير الوزر.

* * *

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَلَوْلَآ ﴾ أي: وهلاَّ ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ يعني: الإفك. وتقدم اختلاف القراء في الإدغام والإظهار في (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) ﴿ قُلْتُم مَّا يَكُونُ ﴾ أي: ما يجوز

﴿ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ ﴾ هذا اللفظ هنا بمعنى التعجب.

﴿ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ زور يبهت من يسمعه.

* * *

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ يَعِظُكُمُ ﴾ الله؛ أي: ينهاكم كراهة ﴿ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ أي: الخوض ﴿ أَبَدًا ﴾ ما دمتم أحياء.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فإن الإيمان يمنع عنه.

* * *

﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ ﴾ في الأمر والنهي.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأمر عائشة وصفوان ﴿ حَكِيمٌ ﴾ حكم ببراءتهما.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ونزل في عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾(١) أي: يفشُو القذف بها.

﴿ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ بالجلد ﴿ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ عذاب النار.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ براءةَ عائشة، وشرَّ ما خضتم فيه، وكذبَ الخائضين.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ونزل في مِسْطح وحسان وحَمنة: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، وجواب (لولا) محذوف؛ أي: لعاجلكم بالعقوبة، وتكرير ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ زيادة مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، وحفص عن عاصم: (رَءُوفٌ) بالإشباع على وزن فَعول، والباقون: بالاختلاس على وزن فَعُل(٢)، والرأفة: أشد الرحمة.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٨١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٢).

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ ﴾ تزيينه في قذف عائشة. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب، والكسائي، وقنبل، وحفص عن عاصم(١): (خُطُوَاتِ) بضم الطاء، والباقون: بإسكانها(٢).

﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ بالقبيح ﴿ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ هو ما أنكره الشرع.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ لكم في الدارين ﴿ مَا زَكَىٰ ﴾ أي: لم يكن زاكياً ﴿ مِنكُم ﴾ أي: ما طَهُر من دنسها ﴿ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ آخر الدهر. قرأ روح عن يعقوب بخلاف عنه: (زَكَّى) بتشديد الكاف، والباقون: بالتخفيف(٣).

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى ﴾ يطهِّر ﴿ مَن يَشَآءُۗ ﴾ من الذنب بالرحمة.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لمقالهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم.

***

---

(١) «عن عاصم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٣).

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ولما حلف أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ألاَّ ينفق على مسطح، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين بدرياً؛ لخوضه في عائشة ـ رضي الله عنها ـ، نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾(1) **قرأ** أبو جعفر: (يَتَأَلَّ) بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة، **وقرأ** الباقون: بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام خفيفة، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: يبدلون الهمزة بألف ساكنة على أصولهم(2)، ومعنى القراءتين: لا يحلفْ ﴿ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ في الدين ﴿ وَٱلسَّعَةِ ﴾ في المال.

﴿ أَن يُؤْتُوٓا۟ ﴾ على ألاَّ يؤتوا ﴿ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ صفات لموصوف واحد؛ أي: ناساً جامعين لها.

﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ﴾ عنهم خوضَهم في عائشة.

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ إذا عفوتم.

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر، قال: «بلى أحب أن يغفر الله لي» ورجع إلى مسطح نفقتَه التي كان ينفق عليه، وقال: «والله لا أنزعها منه أبداً».

* * *

---

(1) تقدم تخريجه في حديث الإفك.

(2) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٣).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ونزل في شأن قذف[١] عبد الله بن أُبيٍّ عائشةَ رضي الله عنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾[٢] العفيفات ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفاحشة ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالله ورسوله.

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ عُذِّبوا في الدنيا بالحد[٣]، وفي الآخرة بالنار.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وجمع المؤمنات، وإن أريدت عائشة وحدها؛ لأن من قذف واحدة من نسائه ﷺ، فكأنه قد قذفهن.

قيل لابن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة؟ قال: «ذلك لمن قذف عائشة خاصة»[٤].

وقال ابن عباس: «هذا فيمن قذف زوجات النبي ﷺ، ليس له توبة، ومن قذف مؤمنة، فقد جعل الله له توبة»[٥].

* * *

---

(١) «قذف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٨٢).

(٣) في «ت»: «بالجلد».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥١). وقد روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٣١) عن ابن عباس، مثله.

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٦٤).

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ العامل في قوله: (يَوْمَ) فعلٌ مضمر يقتضيه العذاب؛ أي: يعذبونه يومَ، ونحو هذا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَشْهَدُ) بالياء على التذكير؛ لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث[1]، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، روي أنه يختم الأفواه، فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا.

* * *

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ حسابهم العدلَ.

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ الذي لا شك فيه.

* * *

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ ﴾ من الكلمات والقول.

﴿ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ من الناس ﴿ وَٱلْخَبِيثُونَ ﴾ من الناس ﴿ لِلْخَبِيثَٰتِ ﴾ من القول.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٤).

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ من القول ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس.

﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ من الناس ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ من القول، المعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس، والطيب لا يليق إلا بالطيب، فعائشة لا يليق بها الخبائث من القول؛ لأنها طيبة، فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها، وقيل: معناه: الخبيثات: الزواني للخبيثين: الزناة، وبالعكس، والطيبات: العفائف للطيبين: العفيفين، وبالعكس، والتكرير للتأكيد إيذاناً أن كل واحد منهما لا يصلح إلا لصاحبه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: عائشة وصفوان، ذكرهما الله بلفظ الجمع؛ كقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: أخوان، وقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الطيبين والطيبات.

﴿مُبَرَّءُونَ﴾ منزهون ﴿مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ الخبيثون والخبيثات فيهم من القذف.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ هي العفو عن ذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الجنة.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع، وحفص عن عاصم: (بُيُوتاً) (بُيُوتِكُمْ) بضم الباء، والباقون: بكسرها[1] ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ تستأذنوا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ بأن تقولوا: السلام عليكم أأدخل؟

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من تركه.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ وتعملون بما هو أصلح لكم. وتقدم اختلاف القراء في (تَذَكَّرُونَ) أول السورة.

* * *

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا﴾ له الإذن ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ عند الاستئذان للدخول: ﴿ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ﴾ ولا تُلِحُّوا في الدخول ﴿هُوَ﴾ أي: الرجوع.

﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ أطهر لقلوبكم من الريبة والدخولِ بغير إذن.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ فيجازيكم[1] عليه.

* * *

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾.

[٢٩] فلما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام، وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى:

= (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٥-٢٤٦).

(١) في «ت»: «فمجازيكم».

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾[1]؛ كالرباط والخان ﴿ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ﴾ أي: منفعة.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد، أوتطلع على عورات.

* * *

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ ينقصوا من نظرهم، و(من) تبعيض؛ لأنهم إنما نُهوا عن النظرة إلى ما لا يحل لهم، فلا يجوز للرجل النظر إلى الأجنبية قصداً لغير ضرورة عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة: يجوز له النظر إلى الوجه والكفين مع أمن الشهوة، فإن لم يأمن، لم يجز إلا لضرورة، فإن كانت عجوزاً[2] لا تُشتهى، جاز النظر إلى وجهها وكفيها عند أبي حنيفة ومالك، وعند أحمد: إلى وجهها فقط، واختلف في مذهب الشافعي، فألحقها الغزالي بالشابة، وجوز الروياني النظر إلى وجهها وكفيها.

﴿ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ عن الزنا، ولم يدخل (من) في حفظ الفروج؛ لأن الزنا لا رخصة فيه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غض البصر وحفظ الفرج ﴿ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ أنفع لهم وأطهر.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٦).

(٢) في «ش»: «عجوزة».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون.

***

﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال، وهي العورة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك: ما عدا الوجه والأطراف، والأصح من مذهب الشافعي: أنها لا تنظر إليه كما لا ينظر هو إليها.

﴿وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ.

﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ المستترة؛ كالسوار والخلخال والقلائد لمن لا يحل له النظر إليها ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ كالثياب والخاتم؛ فإن في سترها حرجاً، وقيل غير ذلك.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ ليسدلن ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمع خمار، وهو غطاء الرأس.

﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ صدورهن. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر: (جِيُوبِهِنَّ) بكسر الجيم، والباقون: بضمها[1].

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ التي أمرن بسترها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي: أزواجهن.

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ فيجوز لجميع المذكورين عند الشافعي النظر إلى الزينة الباطنة سوى ما بين السرة والركبة، إلا[2] الزوج، فيباح له ما بينهما، وعند مالك: ينظرون إلى الوجه والأطراف، وعند أبي حنيفة: ينظرون إلى الوجه والرأس والصدر والساقين والعضدين، ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها، وعند أحمد: ينظرون إلى ما يظهر غالباً؛ كوجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق، وأبيح النظر لهؤلاء؛ لكثرة مداخلتهم عليهن، واحتياجهن إلى مداخلتهم.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: نساء أهل دينهن، وهو قول الشافعي، فيحرم عنده نظر الذمية إلى المسلمة؛ لأنها لا تتحرج عن وصفها للرجال، وعند الثلاثة: يجوز نظرها إلى ما عدا ما بين السرة والركبة؛ لأنها من جملة النساء، ولأن النساء الكوافر من اليهوديات وغيرهن قد كن يدخلن على نساء النبي، فلم يكنَّ يحجبن، ولا أمرن بالحجاب، وأما المسلمة، فلا

---

(1) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٨).

(2) في «ت»: «إلى».

خلاف في جواز نظرها إلى المسلمة سوى ما بين السرة والركبة، فأبو حنيفة يوجب ستر الركبة، والثلاثة لا يوجبونه.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ اختلف العلماء في حكم الآية، فقال قوم: هو عام، فيكون عبد المرأة محرماً لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً، وأن ينظر إلى مولاته كالمحارم، وهو مذهب مالك والشافعي، وكل منهما على أصله في النظر كما تقدم، وقال آخرون: المراد: الإماء دون العبيد، فيكون العبد حكمه حكم الأجنبي معها، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، مع اتفاقهما على جواز رؤيته إليها، فأبو حنيفة يجوز رؤيته إلى وجهها وكفيها، وأحمد يجوز رؤيته إلى ما يجوز للمحرم النظر إليه منها كما تقدم، قال أحمد: ولا يلزم من النظر المحرمية، فلا يباح لها الحج ولا السفر معه.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم، لا همة لهم سوى ذلك.

﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ المعنى: غير ذوي الحاجة إلى النساء، وهو من لا ينتشر عليه، ولا يطيق غشيانهن، ولا يشتهيهن ولا تشتهينه، فعند أبي حنيفة ومالك: ينظر الوجه والكفين، وعند الشافعي وأحمد: ينظر كالمحارم. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (غَيْرَ) بالنصب على الحال من الذكر الذي في (التَّابِعِينَ)، وقرأ الباقون: بالخفض على نعت (التابعين)(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٨).

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ أي: الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يعرفوها؛ لعدم التمييز، فلا حجاب منهم بالاتفاق.

والعورة: من العوار: العيب، وتقدم ذكر عورة الرجل والمرأة والأمة، واختلاف الأئمة في ذلك مستوفًى في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ كانت المرأة إذا مشت، ضربت برجلها؛ ليَسمع صوتُ خلخالها، فنزلت الآية نهياً عن ذلك[١] ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ من التقصير الواقع في أمره ونهيه.

﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قرأ ابن عامر: (أَيُّهُ) بضم الهاء إتباعاً للضمة قبلها بعد حذف الألف للساكنين، ويقف بلا ألف على الخط، وقرأ الباقون: بفتحها؛ للدلالة على الألف المحذوفة وصلاً[٢]، ويقف أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (أَيُّهَا) بالألف على الأصل، والباقون: يقفون بلا ألف متابعة للمصحف[٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بسعادة الدارين.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٩٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١-١٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٩).

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَأَنكِحُواْ﴾ أي: زوِّجوا ﴿ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ جمع أَيِّم، وهو من لا زوج له من الرجال والنساء، بكراً كان أو ثيباً.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: الخيرين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ اتفق الأئمة على أن النكاح سنة؛ لقوله ﷺ: «من أحبَّ فطرتي، فليستنَّ بسنتي[(١)]، ومن سُنَّتي النكاحُ»[(٢)]، فإن كان تائقاً يخاف العنت، وهو الزنا، وجب عليه عند أبي حنيفة وأحمد، وقال مالك والشافعي: وهو مستحب لمحتاج إليه يجد أهبته، ومن لم تتق نفسه إليه، فقال أبو حنيفة وأحمد: النكاح أفضل له من نفل العبادة، وقال مالك والشافعي: بعكسه، وعند الشافعي: إن لم يتعبد، فالنكاح أفضل.

واختلفوا في تزويج المرأة نفسَها، فأجازه أبو حنيفة؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] نهى الرجال عن منع النساء عن النكاح، فدل على أنهن يملكن النكاح، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، أضاف النكاح إلى المرأة أيضاً، ولقوله ﷺ: «الأَيِّمُ أَحَقُّ بنفسها من وليها، والبكرُ تُستأمر بنفسها، وإذنُها صُماتُها»[(٣)]،

---

(١) «بسنتي» ساقطة من «ش».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٧٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٧)، عن عبيد بن سعد مرسلاً.

(٣) رواه مسلم (١٤٢١)، كتاب: النكاح، باب: استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

والاستئمار طلب الأمر من قبلها، ومنعه الثلاثة وقالوا: إنما يزوجها وليها؛ بدليل هذه الآية؛ لأن الله خاطب الأولياء به؛ كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات، ولقوله ﷺ: «أَيُّما امرأةٍ نكحت بغير إذن وليها، فنكاحُها باطل، ثلاث مرات»[١].

واختلفوا هل يجبر السيد على تزويج رقيقه إذا طلبوا ذلك؟ فقال أحمد: يلزمه ذلك إلا أمة يستمتع بها، فإن امتنع السيد من الواجب عليه، فطلب العبد البيع، لزمه بيعه، وخالفه الثلاثة.

﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لا يمنعَنَّ فقرُ[٢] الخاطب أو المخطوبة من المناكحة؛ فإن في فضل الله غنيةً عن المال.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ذو سعة لا تنفد نعمته ﴿عَلِيمٌ﴾ يبسط الرزق ويقدر بحكمته. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه: (يُغْنِهُمُ اللَّهُ) بضم الهاء والميم، والباقون: بكسرهما[٣].

واختلف الأئمة في الزوج إذا أعسر بالصداق والنفقة والكسوة والمسكن، هل تملك المرأة فسخ نكاحها؟ فقال أبو حنيفة: لا تملك الفسخ بشيء من ذلك، وتؤمر بالاستدانة للنفقة لتحيل عليه، فإذا فرضها

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٨٣)، كتاب: النكاح، باب: في الولي، والترمذي (١١٠٢)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء: لا نكاح إلا بولي، وقال: حسن، وابن ماجه (١٨٧٩)، كتاب: النكاح، باب: لا نكاح إلا بولي، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) «فقر» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٠).

القاضي، وأمرها بالاستدانة، صارت ديناً عليه، فتتمكن من الإحالة عليه، والرجوع إلى تركته لو مات، وقال مالك: لها الفسخ بإعساره بالصداق قبل الدخول، فيؤمر بطلاقها، فإن امتنع، فرق الحاكم بينهما، ويتشطر صداقها عليه، ويبقى ديناً في ذمته تتبعه به إذا أيسر، ولم يفرق بإعساره به بعد الدخول، وإن أعسر بنفقتها، أُمر بفراقها، فإن امتنع، فرق الحاكم بينهما بطلقة رجعية، وله الرجعة إن أيسر في العدة، وقال الشافعي: إذا أعسر بالنفقة، فلها فسخ النكاح، وكذا بالكسوة والمسكن، ويمهل ثلاثة أيام، وتفسخ صبيحة الرابع، ولها الفسخ بالإعسار بالمهر قبل وطء لا بعده ويسقط به المهر، وقال أحمد: إن أعسر بنفقة أو ببعضها، أو بكسوة أو ببعضها، أو بسكنى، فلها الفسخ، وكذا إن أعسر بمهر حالٍّ قبل الدخول أو بعده، ما لم تكن عالمة بعسرته، فإن فسخت قبل الدخول، سقط المهر، وبعده، يستقر في ذمته، واتفق الشافعي وأحمد على أن الفسخ لا يصح إلا بحكم حاكم، فيفسخ بطلبها[1]، أو تفسخ بأمره.

***

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ يطلب العفة عن الزنا ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي:

---

(١) «بطلبها» زيادة من «ت».

قدرة على النكاح ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوسّع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾.

قال ﷺ: «يا معشرَ الشباب! من استطاع منكم الباءة، فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء»(١).

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: يطلبون عقد الكتابة.

﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمة ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمر ندب.

وسبب نزول الآية: ما روي أن غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه، فأبى عليه، فأنزل الله الآية، فكاتبه حويطب على مئة دينار، ووهب له منها عشرين، فأداها، وقتل يوم حنين في الحرب(٢)، والكتابة بيع سيد رقيقه بمال في ذمته مباح معلوم، وهي مستحبة بالاتفاق، فيقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من المال، والعبدُ يقبل ذلك، فإذا أدى المالَ، عتق، ويصير العبد أحقَّ بمكاسبه بعد الكتابة، وسميت كتابة؛ لأن العبد كتب عليه الوفاء بالمال، والسيد كتب عليه العتق عند أدائه، وتصح عند أبي حنيفة ومالك بمال حالٍّ ومؤجَّل ومنجَّم، وعند الشافعي وأحمد تصح في نجمين فأكثر، ولا تجوز عندهما حالاً، ولا في نجم واحد.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ كسباً وأمانة، وهو قول الشافعي وأحمد، وقال

---

(١) رواه البخاري (١٨٠٦)، كتاب: الصوم، باب: الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، ومسلم (١٤٠٠)، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٦). و«تفسير القرطبي» (١٢/ ١٨٤).

مالك: الخير هو القوة على الأداء، وقال بعض الحنفية: المراد بالخير: إقامة الصلاة وأداء الفرائض، وقال بعضهم: المراد: ألاَّ يضر بالمسلمين بعد العتق، فإن كان يَضُرُّ بهم، فالأفضل ألاَّ يكاتبه، فلو فعل، صح.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، فعند أبي حنيفة ومالك: هو مستحب، وعند الشافعي وأحمد: هو واجب، فمذهب الشافعي ليس له حد، بل عليه أن يحط عنه ما شاء من المال، أو يدفعه إليه، والحط أولى، وفي النجم الأخير أليق، ومذهب أحمد: يجب على السيد أن يؤتيه ربع مال الكتابة إن شاء، ويضعه عنه، وإن شاء قبضه ثم دفعه إليه[١].

قال ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم: المكاتب الذي[٢] يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»[٣].

واختلفوا فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم، فقال أبو حنيفة ومالك: إن ترك وفاء بما بقي عليه من المكتابة، كان حراً، وإن كان فيه فضل، فالزيادة لأولاده الأحرار، وقال الشافعي وأحمد: يموت رقيقاً، وترتفع الكاتبة، سواء ترك مالاً، أو لم يترك؛ كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع.

---

(١) «ثم دفعه إليه» زيادة من «ت».

(٢) «الذي» زيادة من «ت».

(٣) رواه النسائي (٣١٢٠)، كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب، وعون الله إياهم، وقال حسن، وابن ماجه (٢٥١٨)، كتاب: العتق، باب: المكاتب، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾ إماكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الزنا.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ إن طلبن تعففاً وامتناعاً عن الزنا، [و(إنْ) هنا بمعنى (إذْ)؛ لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا][1] إن لم يردن التحصن، نزلت في عبد الله بن أبيٍّ بن سلول المنافق، كانت له ست جوار يكرههن على الزنا، وضرب عليهن الضرائب ـ جمع الضريبة، وهي الغلة المضروبة على العبد والجزية ـ، فشكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ، فنزلت[2]. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (الْبِغَاءِ إِنْ) بتحقيق الهمزتين، وأبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى، وقرأ قالون، والبزي: بتسهيل الأولى بين بين، مع تحقيق الثانية، وأبو جعفر، ورويس: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختلف عن قنبل وورش، فروي عن الأول جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني إبدال الهمزة الثانية ياء مكسورة، وروي عنه تسهيلها بين بين[3].

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ﴾ أي: أموال ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكسبهن وبيع أولادهن.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٩)، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان عبد الله بن أبي سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله ـ عز وجل ـ. وفي لفظ: أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها مسيلة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يُكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٧ـ١٨٨).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٠ـ٢٥١).

﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ على الزنا.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهن، والوزرُ على المكرِه. قرأ ابن ذكوان بخلاف عنه: (إِكْرَاهِهِنَّ) بالإمالة.

***

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ مفصَّلات بالحلال والحرام، والحدود والأحكام. قرأ، ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُبَيِّنَاتٍ) بكسر الياء، والباقون: بفتحها(١).

﴿ وَمَثَلًا مِّنَ﴾ أمثال ﴿ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ مضوا.

﴿ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: ما ذكر من قصص القرون الماضية.

﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك والكبائر، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحقَ مَنْ قبلهم من المكذبين.

***

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: صاحب نورهما،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥١).

ونورُهما: الشمس والقمر، المعنى: هو هادٍ مَنْ فيهما بنوره.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة نور الله في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [هي الكوة في الجدار غير نافذة، روي أن المراد بالنور الثاني هنا: محمد ﷺ، وقوله: (مَثَلُ نُورِهِ)؛ أي: نور محمد إذ كان مستودعاً في الأصلاب، وقيل: إن المشكاة هندية معربة. **قرأ** الدوري عن الكسائي: (كَمِشْكَاةٍ)][1] بالإمالة[2] ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم، والمعنى: مثل مصباح في مشكاة ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل، مثل بها؛ لأن النور فيها أشد، ثم شبه القنديل بالكوكب فقال: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ **قرأ** أبو عمرو، والكسائي: (دِرِّيءٌ) بكسر الدال مع المد والهمز؛ من الدَّرْء، وهو الدفع؛ لأن الكوكب يدفع الشيطان من السماء، **وقرأ** حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بضم الدال والمد والهمز، بمعنى: أن الكوكب يدفع الظلام بضيائه، **وقرأ** الباقون: بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز[3]؛ أي: شديد الإنارة، نُسب إلى الدُّر في صفائه وحسنه، وإن كان[4] الكوكب أكثر ضوءاً من الدر، لكنه يفضل الكواكب بصفائه؛ كما يفضل الدرُّ سائرَ الحب.

﴿يُوقَدُ﴾ **قرأ** أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي؛ أي: توقد المصباح، **وقرأ**

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٣_٢٥٤).

(٤) «كان» ساقط من «ش».

نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير مجهول مستقبل؛ [أي: يوقد المصباح، وقرأ الباقون، وهم: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بضم التاء والدال مع التخفيف على التأنيث مجهول مستقبل][(١)][(٢)]؛ أي: توقد الزجاجة؛ أي: نارها؛ لأن الزجاجة لا توقد.

﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: زيت شجرة ﴿مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ كثيرة النفع؛ لأن دهنها الزيت، فهو إدام وفاكهة ومصحة من الباسور ﴿زَيْتُونَةٍ﴾.

قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادَّهِنوا بالزيت؛ فإنه من شجرة مباركة»[(٣)].

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما؛ كالشام وأجودُ الزيتون زيتونهُ.

وقال ابن عباس وغيره: معناه أنها في منكشف من الأرض؛ لتصيبها عين[(٤)] الشمس طول النهار، وتستدير عليها، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي شرقية وغربية، تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضوأ[(٥)].

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٥ـ٢٥٦).

(٣) رواه الترمذي (١٨٥١) كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في أكل الزيت، وابن ماجه (٣٣١٩)، كتاب: الأطعمة، باب: الزيت، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) «عين» ساقطة من «ت».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٠١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٩٦).

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ لصفائه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فكأنه لفرط ضيائه.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: نور المصباح على نور الزجاجة. قرأ أبو عمرو (يَكَاد زَّيْتُهَا) بإدغام الدال في الزاي[1]، وفائدة جعل المصباح في زجاجة، والزجاجة في كوة غير نافذة، شدة الإضاءة؛ لأن المكان كلما تضيق، كان أجمع للضوء، بخلاف الواسع، فالضوء ينتشر فيه، وخص الزجاج؛ لأنه أحكى الجواهر لما فيه، وهذا تمثيل للنبي ﷺ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح النبوة فيه، ومن شجرة مباركة شجرة النبوة، يكاد زيتها يضيء: يكاد أمر محمد يتبين للناس أنه نبي، ولو لم يتكلم؛ كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ لدين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فإن الأسباب كلها بمشيئته.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ظاهراً كان أو خفياً.

* * *

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ (٣٦)﴾.

[٣٦] ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ متعلق بما قبله؛ أي: (كَمِشْكَاةٍ) في بيوت.

﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أي: تُعظَّم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٥٧).

قال ابن عباس: «المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»(١).

وقيل: هي أربعة بناها الأنبياء: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، والأقصى بناه داود وسليمان، [بل بناه يعقوب ـ عليه السلام ـ كما ورد في الحديث، فلا تغفل عنه](٢)، ومسجد المدينة، ومسجد قباء بناهما رسول الله ﷺ.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ يتلى فيها كتابه ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (يُسَبَّحُ) بفتح الباء مجهولاً القائم مقام الفاعل له، فيحسن الوقف على (وَالآصَالِ)؛ لأنك تضمر فعلاً؛ كأنه لما قيل (يُسَبَّحُ لَهُ)، قيل: من يسبحه؟ قيل: يسبحه رجال، ولا يجوز الوقف عليه، وقرأ الباقون بكسر الباء، جعلوا التسبيح فعلاً للرجال (يُسَبِّحُ)(٣)؛ أي: يصلي له فيها بالغداة والعشي، والمراد: الصلوات المفروضات، فالتي تؤدى بالغداة: صلاة الفجر، والتي تؤدى بالآصال: صلاة الظهر والعصر والعشاءين؛ لأن اسم الأصيل يجمعها.

* * *

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٤٨).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٧).

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ رِجَالٌ ﴾ قيل: خص الرجال بالذكر في هذه المساجد؛ لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المساجد.

﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ ﴾ لا تشغلهم ﴿ تِجَارَةٌ ﴾ هي صنعة التاجر عن بيع وشراء.

﴿ وَلَا بَيْعٌ ﴾ قال الفراء: التجارة لأهل الجلب، والبيع ما باعه الرجل على يديه.

﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ عن الصلاة المفروضة ﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ لوقتها.

﴿ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ لمستحقيها عند وجوبها؛ لأن مؤخر الصلاة عن وقتها لا يكون مقيماً لها.

﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا ﴾ هو يوم القيامة ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ وتقلُّبُها تنقُّلُها[١] عن أماكنها؛ لهول ذلك اليوم، فتنقلب القلوب في الجوف، وترتفع إلى الحنجرة، ولا تنزل ولا تخرج، وتقلُّب البصر: شُخوصه.

* * *

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ اللام في ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ﴾ متعلقة بـ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ المعنى: كان تسبيحهم وخوفهم ليثيبهم، وقوله:

﴿ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: ثواب أحسن ما عملوا.

---

(١) «تنقلها» زيادة من «ت».

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

قال كثير من الصحابة: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة، تركوا كل شغل، وبادروا إليها، فرأى سالم بن عبد الله بن عمر أهل الأسواق وهم مقبلون إلى الصلاة، فقال: «هؤلاء الذين أراد الله بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾»[1].

***

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ثم ضرب لأعمال الكافرين مثلاً فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾ هو ما يُرى من ضوء الشمس نصفَ النهار كالماء على وجه الأرض.

﴿بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع، وهو المستوي من الأرض، وفيه يكون السراب.

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ يتوهمه العطشان.

﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ جاء ما غلب على ظنه أنه ماء.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما ظنه، فيزداد عطشاً، فكذلك الكافر، يحسب أن عمله ينفعه، فعند الموت والبعث، لم يغن عنه شيئاً، فيزداد انقطاعاً.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٧).

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: بالمجازاة، والضمير في.

﴿عِندَهُۥ﴾ عائد على العمل.

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ جزاءَ كفره، فألقي في النار.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب.

***

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ عطف على قوله: ﴿كَسَرَابٍۭ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار؛ أي: أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كالظلمات.

﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق، منسوب إلى اللج؛ أي: ذو لُجٍّ، وهو معظم الماء.

﴿يَغْشَىٰهُ﴾ يعلو البحرَ.

﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ فوق الموج ﴿مَوْجٌ﴾ آخر؛ لأن الموج يركب بعضه بعضاً؛ لكثرته.

﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ فوق الموج ﴿سَحَابٌ﴾ قرأ البزي عن ابن كثير: (سَحَابُ) بغير تنوين (ظُلُمَاتٍ) بالخفض على الإضافة، وقرأ قنبل عنه: (سَحَابٌ) بالتنوين (ظُلُمَاتٍ) بالخفض على البدل من قوله: (أو كَظُلُمَاتٍ)، وقرأ

الباقون: (سَحَابٌ) (ظُلُمَاتٍ) كلاهما بالرفع والتنوين[١]، فيكون تمام الكلام عند قوله: (سَحَابٌ)، ثم ابتدأ.

﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ فشبهت أعمال الكفار واغترارهم بها بسراب يغتر به من طلبه، ثم شبهت لسوادها لكفرهم بظلمات بعضها فوق بعض، والمراد: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج على الموج، وظلمة السحاب على الموج، فشبه عمل الكافر بالظلمات، وقلبه بالبحر، وما يغشى قلبَه من الشرك بالموج، والختم على قلبه بالسحاب، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، وقلبه وجميع أحواله ظلمة، ومصيره إلى جهنم.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ﴾ يعني الناظر[٢] ﴿يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ﴾ لم يقرُبْ من أن ﴿يَرَىٰهَاۗ﴾ فضلاً أن يراها؛ لشدة الظلمة.

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ هداية وإيماناً في الدنيا.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ هداية في الآخرة إلى الجنة.

نزلت هذه الآية عامة في جميع الكفار، وقيل: إنها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية، تَعَبَّدَ في الجاهلية، ولبس المسوح، والتمس الدين، فلما جاء الإسلام، كفر[٣].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٥-٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) «يعني الناظر» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٦).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تنبيه، والرؤية رؤية الفكر.

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ باسطاتٍ أجنحتَها في الهواء يُصفقن بهن، قيل: خص الطير بالذكر من جملة الحيوان؛ لأنها تكون بين السماء والأرض، فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض.

﴿ كُلٌّ ﴾ من المصلين والمسبحين ﴿ قَدْ عَلِمَ ﴾ اللهُ ﴿ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ وقيل: المعنى: كل مكلف علم عبادته ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

***

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تقديرها وتدبير أمورها وتصريف أحوالها كما يشاء.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ مرجعُ الجميع.

***

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى ﴾ أي: يسوق ﴿ سَحَابًا ﴾ أي: غيماً؛ لانسحابه في الهواء.

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ بين أجزاء الغيم، فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان قطعاً.

قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (يُوَلِّفُ) بفتح الواو من غير همز[١].

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ متراكماً بعضُه فوق بعض.

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ فُتوقِه، جمع خَلَل.

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ معناه: ينزل من جبال في السماء، تلك الجبالُ من برد.

قال ابن عباس: «أخبر الله تعالى أن في السماء جبالاً من برد»[٢]، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها برداً، فاستغنى عن ذكر المفعول؛ للدلالة عليه.

قال أهل النحو: ذكر الله تعالى (من) ثلاث مرات في هذه الآية، فقوله: (مِنَ السَّمَاءِ) لابتداء الغاية؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله: (مِنْ جِبَالٍ) للتبعيض؛ لأن ما ينزله الله بعضُ تلك الجبال، وقوله: (مِنْ بَرَدٍ) للتجنيس؛ لأن تلك الجبال جنس البرد[٣].

﴿ فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بالبرد ﴿ مَن يَشَآءُ﴾ فيهلك زرعه وأمواله.

﴿ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ فلا يضره.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦١).

(٢) ذكره عنه البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٧)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٩) دون نسبة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٧).

﴿يَكَادُ سَنَا﴾ أي: ضوء ﴿بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يختطفها من شدة ضوئه. قرأ أبو جعفر: (يُذْهِبُ) بضم الياء وكسر الهاء، فقيل: إن باء (بِالأَبْصَارِ) تكون زائدة؛ كما هي في: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال ابن الجزري: والظاهر أن تكون بمعنى (مِنْ)؛ كما جاءت في قول الشاعر:

شُرْبَ النزيفِ ببردِ ماءِ الحَشْرَجِ(١)

أي: من برد، ويكون المفعول محذوفاً؛ أي: يذهب النور من الأبصار، وقرأ الباقون: بفتح الياء والهاء(٢)، وأبو عمرو يدغم الدال من (يَكَادُ) في السين من (سَنَا بَرْقِهِ)(٣).

***

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يذهب بأحدهما، ويجيء بالآخر، وينقص من أحدهما، ويزيد في الآخر.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لأصحاب الاعتبار.

---

(١) عجز بيت منسوب إلى الراعي النميري، وعروة بن أذينة، وعمر بن ابي ربيعة، وجميل بن معمر، وصدره:

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها

وانظر: «الكامل» للمبرد (١/ ٣٨١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦١).

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ أي: من نطفة، والمراد: كل حيوان يشاهد في الدنيا، ولا يدخل فيه الملائكة والجن؛ لأنا لا نشاهدهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (خَالِقُ) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وخفض (كُلِّ) بالإضافة، وقرأ الباقون: (خَلَقَ) بفتح اللام والقاف من غير ألف على الفعل، ونصب (كُلَّ) مفعولاً به[(١)].

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيات، وسمي الزحف على البطن مشياً؛ اتساعاً؛ لقيامه مقام المشي.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالأناسي والطير.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم، ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض؛ لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع، وتذكير الضمير؛ لتغليب العقلاء، والتعبير بـ(من) عن الأصناف؛ ليوافق التفصيل الجملة، والترتيب؛ لتقديم ما هو أعرق في القدرة.

﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مما ذكر، ومما لم يذكر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يفعل ما يشاء. واختلاف القراء في

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٣).

الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من ﴿نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في سورة الحج [الآية: ٥].

***

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] و﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ تقدم تفسير (آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ)، واختلاف القراء فيها، واختلافهم في (يَشَاءُ إِلَى) كاختلافهم في (يَشَاءُ إِنَّ).

***

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ولما خاصم بشر المنافقُ يهودياً كان بينهما خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف؛ فإن محمداً يحيف علينا، نزل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ﴾(١) يعني: المنافقين ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ لهما.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ﴾ بعد قولهم هذا.

﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليسوا بالمخلصين في الإيمان.

***

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٨).

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى كتابه .

﴿ وَرَسُولِهِۦ ﴾ محمد ﷺ .

﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفر : (لِيُحْكَمَ) بضم الياء وفتح الكاف[١] ، وكذلك في الحرف الآتي مجهولاً ، وقرأ الباقون : بفتح الياء وضم الكاف ؛ أي : ليحكم الرسولُ بينهم بحكم الله .

﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن الإتيان إليه ؛ خوفاً أن يحكم عليهم .

* * *

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ منقادين بسرعة ؛ لثقتهم أنه كما يحكم عليهم بالحق ، يحكم لهم أيضاً بالحق .

* * *

﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كفر ﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾ شكوا في نبوته؟! هذا استفهام ذم وتوبيخ ، أي : هم كذلك .

﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي : يميل في الحكم .

﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لإعراضهم عن الحق ، وطلبهم ما ليس لهم .

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٤) .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ﴾ نصب خبر (كانَ) المعنى: إنما كان الواجبُ.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: إلى كتاب الله ﴿ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا ﴾ قولك ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ أمرك، والطاعة: موافقة الأمر طوعاً، وهي تجوز لله ولغيره ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: القائلون هذا القول ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ البالغون آمالهم في دنياهم وآخرتهم.

* * *

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما يأمرانه و﴿ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ على ما صدر عنه من الذنوب ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ فيما بقي من عمره ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ الناجون. قرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: (وَيَتَّقِهْ) بكسر القاف وإسكان الهاء على نية الوقف، وحفص: بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء تخفيفاً، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون، وهشام: بكسر القاف واختلاس كسرة الهاء، وأصله (يتقهي)، حذفت الياء التي بعد الهاء؛ لسكونها وسكون الياء قبل الهاء، ولم يعتد بالهاء حاجزاً لسكونها، وبقيت الكسرة تدل عليها، ثم حذفت الهاء الأولى للجزم، وقرأ الباقون: بكسر القاف وإشباع كسرة الهاء وصلتها بياء حالة الوصل[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٥).

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ ﴾ يعني: المنافقين ﴿ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ والقسم جهد اليمين أبلغُ ما يمكن من الأقسام، فمن قال: أقسم بالله، فقد جهد يمينه.

﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت، نكن معك، لئن خرجت، خرجنا، وإن أقمت، أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد، جاهدنا، فقال الله تعالى:

﴿ قُل ﴾ لهم: ﴿ لَّا تُقْسِمُوا۟ ﴾ لا تحلفوا، تم الكلام، ثم قال:

﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ أي: أمثل من إقسامكم طاعة لا يُشك فيها؛ لأنكم لا تصدقون.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم.

* * *

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به؛ مبالغةً في تبكيتهم.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أي: تتولوا. قرأ البزي: (فَإِن تَّوَلَّوْا) بتشديد التاء[١].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٦).

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ.

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من الطاعة.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: التبليغ البين، ونُسخت بآية السيف.

***

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾.

[٥٥] ولما اشتد خوف الصحابة، واستبطؤوا النصر، نزل تسليةً لهم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ وهو جواب قسم مضمر تقديره: وعدهم، وأقسم ليستخلفنهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾[1] بأن يجعلهم خلفاءها وساكنيها بعد الكفار متصرفين فيها.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (كَمَا اسْتُخْلِفَ) بضم التاء وكسر اللام مجهول الفاعل (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، ويبتدىء ألفه بالضم، وقرأ الباقون: بفتح التاء واللام معلوماً، ويبتدئون

(١) روى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٧) عن أبي العالية، نحواً منه. وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٦٢٧) عند تفسيره لهذه الآية.

ألفه بالكسر(١)، ضميره يرجع إلى (الله)، المعنى: يستخلفكم استخلافاً كاستخلاف الله داود وسليمان وبني إسرائيل أرضَ الجبارين.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام؛ بأن يظهره على جميع الأديان.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ **قرأ** ابن كثير، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: بإسكان الباء وتخفيف الدال؛ من أبدل، **وقرأ** الباقون: بفتح الباء وتشديد الدال؛ من بدَّل، وهما لغتان(٢)، وقيل التبديل: تغيير حال إلى حال، والإبدال: رفعُ الشيء وجعلُ غيره مكانه.

﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ثم هاجروا إلى المدينة، وكانوا يصبحون في السلاح، ويبيتون فيه، فأظهر الله دينهم، ونصرهم، وأبدلهم من بعد الخوف أمناً.

﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ فعل مستأنف؛ أي: هم يعبدونني.

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ أي: يعبدونني موحدين.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ هذه النعمَ.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ العاصون، وكان أول من كفر بهذه النعمة بعدما أنجز الله وعده الذين قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه فغير الله تعالى ما بهم، وأدخل عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٨ـ ٤٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٦).

(٢) المصادر السابقة.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمركم به.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: افعلوها على رجاء الرحمة.

* * *

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٥٧﴾.

[٥٧] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة: (يَحْسَبَنَّ) بالغيب، ونصب السين؛ أي: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين، وقرأ الباقون: بالخطاب وكسر السين[١]؛ أي: لا تحسبن يا محمد الذين كفروا.

﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن لا يقدر عليهم.

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ التقدير: الذين كفروا ليسوا معجزين، ومأواهم النار.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المأوى الذي يصيرون إليه.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٧).

بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] قال ابن عباس: وجه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة؛ ليدعوه، فدخل ورأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾(١) هذه اللام لام الأمر.

﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعني: العبيد والإماء، هم.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ من الأحرار، وليس المراد منهم: الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل الذين عرفوا أمر النساء، ولكن لم يبلغوا.

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ أي: ليستأذنوا في ثلاثة أوقات.

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرحِ ما يُنام فيه من الثياب.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ للقيلولة.

﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ إلى وقت الظهر؛ لأنه وقت القيلولة والتكشف.

﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرد للنوم، فهذه الأوقات أوقات خلوة، فالاستئذان لهؤلاء مشروع فيها لهم، ولغيرهم في جميع الأوقات.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٩).

عاصم: (ثَلَاثَ) بنصب الثاء بدلاً عن قوله: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) أي: أوقاتَ ثلاثِ عوراتٍ، وقرأ الباقون: بالرفع[١]؛ أي: هذه الأوقات ثلاثُ عورات لكم؛ لأن الإنسان يختل ستره فيها، واتفقوا على النصب في قوله: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) المتقدم؛ لوقوعه ظرفاً، وقرأ أبو عمرو (بَعْد صَّلَاةِ الْعِشَاءِ) بإدغام الدال في الصاد[٢].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: العبيد والخدم والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ إثم في الدخول بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد هذه الأوقات الثلاثة.

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يطوف.

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: إن كان بكم وبهم حاجة إلى المخالطة.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الأحكامَ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيما يشرع لكم.

واختلف في حكم الآية، فقال قوم: هي منسوخة[٣]، قال ابن عباس: «لم يكن للقوم ستور ولا حجاب، وكان الخدم والولائد يدخلون، فربما يرون منهم ما لا يحبون، فأُمروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق، فاتخذ الناس الستور»[٤]، فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان، وذهب قوم إلى أنها

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٨).

(٣) في «ت»: «هو منسوخ».

(٤) رواه أبو داود (٥١٩٢)، كتاب: الأدب، باب: الاستئذان في العورات الثلاث، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» =

غير منسوخة، قال سعيد بن جبير: «إن ناساً يقولون: نسخت، واللهِ ما نُسخت، ولكنها مما تهاون به الناس»(١).

***

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ أي: الأحرار إذا بلغوا ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات في الدخول عليكم.

﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأحرار البالغين.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرر تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان.

***

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هي من قعدت عن الحيض والولد؛ لكبرها.

= (٧/ ٩٧). قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٠٤) عن إسناد ابن أبي حاتم، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. وقال القرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٣): هذا متن حسن، وهو يرد قول سعيد بن جبير، فإنه ليس فيه دليل على نسخ الآية، ولكن على أنه كانت على حال ثم زالت، فإن كان مثل ذلك الحال فحكمها قائم كما كان، بل حكمها لليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٣).

﴿ ٱلَّتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا ﴾ أي: لا يُردن الرجال؛ لكبرهن.

﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ الظاهرة؛ كالملحفة والجلباب الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار، فلا يجوز وضعه.

﴿ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ ﴾ غير مظهرات محاسنَهن.

﴿ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ ﴾ عن وضع الثياب.

﴿ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ ﴾ لأنه أبعد من التهمة.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لمقالهن للرجال ﴿ عَلِيمٞ ﴾ بمقصودهن، وتقدم ذكر الخلاف في النظر إلى العجوز التي لا تشتهى في السورة.

* * *

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٦١) ﴾.

[٦١] ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ ﴾ كان هؤلاء يتوقَّون مؤاكلة الناس ومجالستهم؛ لأن الأعمى ربما سبقت يده

إلى ما سبقت عين أكيله إليه، والأعرج يأخذ من المجلس أكثر من موضع، والمريض لا يخلو من رائحة يؤذي بها، أو شيء ينجس، فنزلت الآية مبيحة لهم.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه دلالة على أن يأكل في بيته من مال عياله وزوجته، فيدخل فيها بيوت الأولاد؛ لأن بيت الولد كبيته؛ لقوله ﷺ: «أنتَ ومالُكَ لأبيك»[1]، ولذلك لم يذكر الأولاد في الآية.

وتقدم استدلال الإمام أحمد بهذا الحديث على أن للرجل أن يأخذ من مال ولده ما شاء ويتملكه في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: ٢٦٧].

﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ وهذا فيما ليس مُحرزاً. **قرأ** ابن كثير، وابن عامر، وقالون عن نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِيُوتِ) و(بِيُوتاً) و(بِيُوتِكُمْ) و(بِيُوتِهِمْ) وما جاء منه بكسر الباء حيث وقع، والباقون: بالضم[2]، **وقرأ** حمزة: (إِمَّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم،

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٠)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، وابن ماجه (٢٢٩٢)، كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٤)، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٥ـ٢٤٦).

والكسائي بكسر الهمزة فقط، وذلك في الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك[1].

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ هو بيت موكله، فله أن يأكل من زرعه وضرعه إذا احتاج، ولا يدخر، والمفاتيح: الخزائن.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق: الذي صدقك في المودة، قال ابن عباس: «نزلت في الحارث بن عمرو، خرج غازياً مع رسول الله ﷺ، وخلف مالك بن يزيد على أهله، فلما رجع، وجده مجهوداً، فسأله عن حاله، فقال: تحرَّجْتُ أن آكل من طعامك بغير إذنك، فأنزل الله الآية»[2].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة، كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده حتى يجد ضيفاً يأكل معه[3].

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت للأكل أو غيره ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: على أهل دينكم، وقال ابن عباس: «معناه إذا دخلت المسجد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[4] ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر؛ أي: تحيون أنفسكم تحية.

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ وصفت بالبركة والطيب؛ لما فيها من

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٩).
(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٢٢٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٧٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٠).
(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٦٣).

الأجر والثواب؛ لأن البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كرره ثالثاً؛ لمزيد التأكيد.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الحقَّ في الأمور.

* * *

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)﴾.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ثم أكد الحصر بقوله:

﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: مع رسول الله ﷺ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ نحو الجهاد والعيد والجمعة، والتشاور في أمر نزل ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لم يتفرقوا ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ في الانصراف، وكان ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد رجل الخروج، وقف حيث يراه، فيأذن له إن شاء، ثم أكد ذلك بقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فأفاد أن المستأذن مؤمن، وأن الذاهب بغير إذن ليس كذلك ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ﴾ في الانصراف ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ قصدهم. قرأ أبو عمرو: (لِبَعْض شَّأْنِهِمْ) بإدغام الضاد في الشين في هذا الحرف فقط[1].

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٠).

﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ لا اعتراض عليك.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ إن خرجوا بإذنك لخروجهم عنك.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لفرطات العباد ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بالتيسير عليهم.

* * *

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً: يا محمد، ولكن فخموه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، وهذه الآية مخاطبة لجميع معاصري محمد ﷺ، وقال ابن عباس: «معناه: احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه؛ فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره»(١).

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ﴾ أي: قد علم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ﴾ يخرجون واحداً بعد واحد ﴿ لِوَاذًا ۚ ﴾ يلوذ بعضهم ببعض يتستر به.

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ ﴾ أي: يميلون ﴿ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: عن أمر الله تعالى، أو أمر نبيه ﷺ ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: محنة وبلاء.

﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٢٣٠).

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الأحوال والأعمال، المعنى: علمه محيط بجميع الأشياء.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ جميعاً، الخطاب للمنافقين على سبيل الالتفات. قرأ يعقوب: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[1].

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ﴾ بالمجازاة عليه.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ لا يخفى عليه شيء.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تُنْزِلوا النساءَ الغرفَ، ولا تعلموهنَّ الكتابة، وعلموهن الغزلَ وسورة النور»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧١٣)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٥٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٢٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٣): فيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال الدارقطني: كذاب.

مُحتَوَى المُجلَّد الرَّابِع

* * *